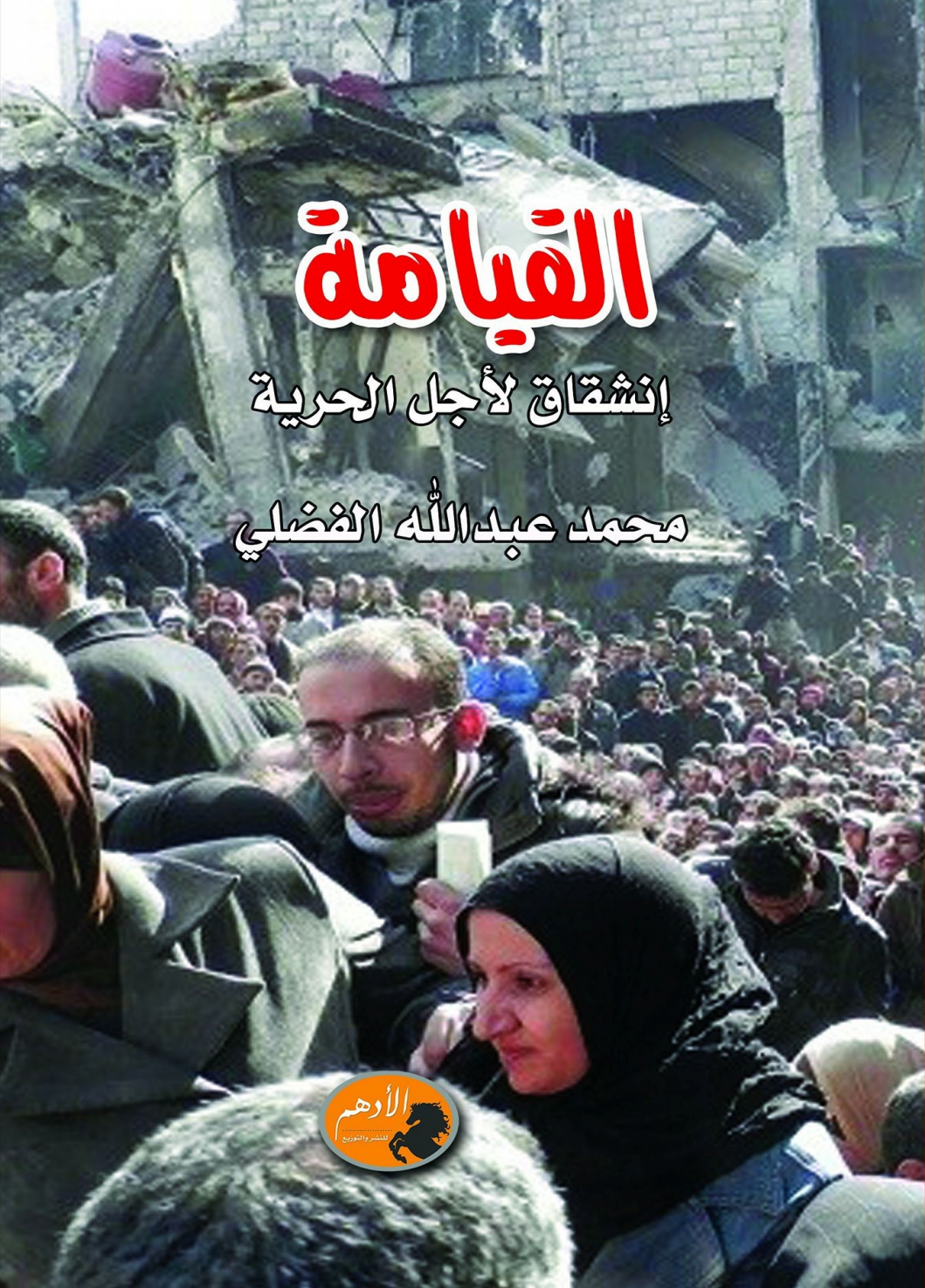
القيامة
إنشقاق لأجل الحرية
محمد عبدالله الفضلي
الأدهم
للنشر والتوزيع

القيامة

إنشقاق لأجل الحرية

محمد عبدالله الفضلي

الأدهم
للنشر والتوزيع
2018

القيامة

إنشقاق لأجل الحرية

محمد عبدالله الفضلي

الطبعة الأولى: 2018

رقم الإيداع: 2017/19037

الترقيم الدولي: 978-977-748-172-4

دار الأدهم للنشر والتوزيع

١٥ شارع عبد القهار من شارع الأصبغ - حدائق الزيتون - القاهرة، مصر

ت: 01023186228 - 01227341893

e-mail: fareskhedr69@gmail.com

دار الأدهم للنشر والتوزيع

المدير العام: **فارس خضر**

المدير الفني: **حسام عنتر**

[يوم «أسقط نظامي» وغيّر لي فكري وجعلني
تعل ثورة في كل معتقداتي] .

حلّ ذلك اليوم أخيراً... اليوم الذي قلب لي حياتي كلها رأساً على عقب، يومٌ غيّر كل الأنظمة والخطط والبرامج التي كنت أسير عليها منذ أن جئت إلى هذه المدينة، يومٌ أسقط نظامي الشخصي وغيّر لي فكري وجعلني أُشتعل ثورة في كل معتقداتي.

قبل هذا اليوم كنت موظفاً بسيطاً في بقعة منسية من سوريا، أتلقى الأوامر وأنفذها في منظومة قانونية وإدارية، أحاول فيها أن أجتهد ضمن خطوط عريضة مرسومة لا أتجاوزها.

هذا الإنفجار الكبير الذي أحدثه يوم ٢٠١١/٣/٢٥ في اللاذقية وما حصل بعد ذلك، أصابني في عميق نفسي وحرك كل مالدي من مشاعر واحاسيس، حاولت ألا أظهرها في عملي الذي يتطلب قدراً كبيراً من الحيادية في الحكم على الأمور.

حسناً.. إنها الثورة يا صديقي، التي انتشلتني من المستنقع الذي دخلته بملء إرادتي، كنت شاباً سورياً يحمل هموم مجتمعه وأمراضه، يهرب إلى كلية الشرطة بعد تخرجه من كلية الحقوق في دمشق، حتى لا يعمل خادماً في مزرعة ضابط الجيش الذي كان ينتظره في الخدمة الإلزامية، أو لكي لا يصبح محامياً تافهاً يبحث عن وسيلةٍ للنصب على موكليه، شابٌ يحلم بالإستقرار وتغيير مايقدر عليه من ظلم السلطة، ويحاول أن يكون واجهةً للقيم والأخلاق الفاضلة التي تربى عليها.

لكن كيف ذلك؟ والعمل في نظامٍ كالنظام المتربع على صدورنا، لا يتجرأ فردٌ فيه على رفع رأسه أو حتى مجرد أن يفكر في ذلك؟ وفي وظيفةٍ كجهاز الشرطة، حيث طاعة رئيسك في العمل هي أهم من كل القوانين والقيم والأخلاق؟!

كيف ذلك وكل ماحولي يقتل كل ما أحلم فيه من تغيير؟!.

أصبحت أغوص في أوحال النظام التي فرضها واقع العمل، وأعيش في دوامة الكذب والنفاق التي تحيط بي ، كنت في رمقي الأخير قبل أن تأتي الثورة لتخرجني من واقعي الأليم ذاك.

تلك الثورة التي قابلها النظام بكل توحشٍ وبشاعةٍ وقتلٍ وتهجير، كنت فيها شاهداً على جانبٍ كبيرٍ مما فعله النظام في منطقة عملي في محافظة اللاذقية، وكيف تصرف وأشاع الفوضى واستخدم كافة الوسائل الهمجية لقمع الشعب، وكيف دخلت السجن، ثم تركت عملي ولجأت إلى تركيا.

هي الثورة والقيامة بكل تجلياتها، وهي الانسلال من قبرٍ أحكم إغلاقه.

هي تنفسي هواء الحرية التي انتظرتها منذ وُلِدت، وهي أحلامي ويقظتي، وهي ماتبقى لي من سطور في صفحات في حياتي.

***

بداية النهاية
٢٠١٢/٨/١٦

نحن هنا منذ أسبوع في تركيا،نزلنا فندقاً في مدينة أنطاكيا، الرائد محمود منكباً على جهاز الكمبيوتر بعد أن أنشأت له حساباً في إحدى منصات التواصل الإجتماعي على النت، وأنا أجلس في هذه الغرفة أمسك قلمي وأغوص في رحلتي في الماضي، ألملم أوراقي وذاكرتي وأكتب في مفكرتي،وأستذكر ما حصل معي منذ قيام الثورة السورية في اللاذقية، تلك المدينة التي عملت فيها ضابطاً للشرطة في قسم الرمل الجنوبي.

كنا قد وصلنا تركيا بعد إنشقاقنا[1] عن النظام، قاطعين الحدود البرية السورية.

لم يكن الوصول إلى أنطاكية سهلاً، كنا قد مشينا خمس ساعات في طريق التهريب الذي يخترق الجبال السورية الوعرة والأحراش الشائكة في عز ظهيرة يوم التاسع من شهر آب، وكان يوماً رمضانياً كنا فيه صائمين، أوصلنا إلى معبر الحدود بين سورية وتركيا أحد المرافقين الذين أمّنوا لنا طريق الإنشقاق ثم ودعنا وعاد.

---

(١) حركة انشقاق الجنود والضباط عن النظام السوري ، بدأت مباشرة بعد اندلاع الثورة ، حيث امتنع الأحرار من أفراد الجيش وقوى الشرطة، عن قمع الشعب ، وتصويب أسلحتهم نحوه ، وهو يقوم بالاحتجاجات السلمية، واستمرت هذه الانشقاقات تتالى ومن جميع الرتب العسكرية والأمنية والسياسية ، ثلاثة أعوام بعد اندلاع الثورة.

وقفت أنا والرائد محمود ننتظر دورنا للعبور أمام حشد غفير، فيه نساء ورجال وأطفال، الكل يحمل حاجيات وألبسة كان قد لفها بشالاتٍ ملونة، وقفوا يستعطفون الجندي التركي كي يسمح لهم بالمرور إلى الضفة الأخرى، لكنه بلغةٍ تركيةٍ وحركةٍ من يده يشير لهم بالرفض.

جلست أنا والرائد محمود غير بعيدٍ عن هذه الجموع ننتظر مع المنتظرين.

صوت من بعيد ينادي « محمد ..محمد» صوتٌ سرقني من هذا الزحام وجعلني أتلفت يمنةً ويسرة، « هل أنا هو محمد المقصود، فمن يعرفني هنا؟»

من بعيد .. شاهدت شاباً ممتلئاً مفتول العضلات يركض نحوي، أركز النظر لعلي أعرف مايدلني عليه، لكن دون جدوى، ظل الشاب يقترب ويقترب حتى بدت لي ملامحه كاملةً. أبو بدر؟!» شاب من الرمل الجنوبي[1] وأخٌ لصديقي. » الحمد لله على السلامة يامحمد" ثم احتضنني بقوة،

" أنت حيٌّ ترزق" ، وعاد مرة أخرى لضمّي، تبادلنا السلام وكلمات الترحيب والإطمئنان، وبين الكلمة والكلمة كان يقول لي "الحمد لله أنك لازلتَ حيّاً" ، كانت دموع عينيه خير دليلٍ على عميق محبته لي، بعد الإنتهاء من الترحيب والإطمئنان واستذكار الماضي، أخبرني أنه سَرَت إشاعة من عدة أشهر "أنه تم اعتقالي من قبل النظام ولا أحد يعرف عن مصيري شيئاً".

استفسرت منه عن سبب تجمع الناس الكثيف أمام المعبر فأخبرني أن عناصر الحدود التركية قاموا بإغلاق المعبر مؤقتاً ولن يفتحوه إلا في صباح اليوم التالي والناس تنتظر، لكنه

---

(١) أحد أحياء مدينة اللاذقية..ويكيبيديا

طمأنني لوجود طريق آخر لقطع الحدود، هو طريق طويل وشائك وأنه سيرافقنا حتى يطمئن إلى وصولنا إلى تركيا وتم ذلك.

أسبوع ونحن نعيش هنا في الفندق في مدينة أنطاكية التركية كاليتامى، بلدٌ غريبٌ ولغةٌ غريبةٌ وجيرانٌ لانعرفهم، باستثناء الرائد عدنان الذي كان قد وصل إلى هنا قبلنا بأيام بعد إنشقاقه.

أسبوعٌ يمضي ولا أعرف في تركيا سوى هذه الغرفة بأبعادها، سريرين وتلفاز وحمّام ، وقلمي ومفكرتي وأوراقي التي استطعت جلبها معي من اللاذقية ، وكنت قد دونت فيها ماحصل وما رأيته وكنت شاهداً عليه .

وها أنا ذا أنهي مابدأت بتدوينه منذ قيام الثورة في اللاذقية.

محمد...

أنطاكية تركيا ٢٠١٢/٨/١٦

*****

يقولان لي: نحن بأمانتك يا محمد، أنت في هذا القسم وهذه المنطقة منذ ست سنوات، ونحن جئنا إليها من مدة قليلة. وأنا أجيبهما : يا سيدي «أنا شو دخلني ، ورغم ذلك أنا جاهز لأي طارئ وسأكون درعاً لكما، مع أني متأكد أن هذا الشعب البسيط الفقير لايفكر من أنا ، ومن أنتم، ولايعرف الانتقام، بل يملك روح التسامح والعفو».

كيف بدأ الحراك الثوري في اللاذقية ٢٠١١/٣/٢٥

منطقة الرمل الجنوبي هي إحدى أعاجيب سوريا الأسد، هي منطقة عملي في قسم الشرطة، تمتد من نهاية الكورنيش الجنوبي[١]، وحتى قرية اليهودية[٢] ، بداية طوق المدينة، وتُشرف كل المنطقة على البحر، تعداد سكانها ما بين (٩٠) ألف شخص مسجل،إلى (١٢٠) ألف مقيم في المنطقة[٣]، الجميع

١ وتمتد الكورنيش فيها على الأمتداد المحاذي لشاطئ البحر من الشمال إلى الجنوب، تنتشر في الكورنيش الجنوبي الذي يمتد في جنوب مدينة اللاذقية العديد من المقاهي والمطاعم.ويكبيديا

٢ إحدى القرى الملاصقة لمدينة اللاذقية تبعد عن مركز مدينة اللاذقية (الشيخ ضاهر) حوالي ٤ كم كخط مستقيم وحوالي ١ كم عن جامعة تشرين. دليل اللاذقية

٣ في عام ٢٠١٠، كان يبلغ عدد سكان اللاذقية ٤٠٠ ألف نسمة، حوالي ٥٠ بالمائة منهم علويّين و٤٠ بالمائة سنّة و ١٠ بالمائة مسيحيين - معظمهم من الطائفة الأرثوذكسية. وجغرافياً، يحتل العلويّون ضواحي المدينة الشمالية والشرقية، في حين يتركّز السنّة في وسطها وفي الضاحية الجنوبية «الرمل الفلسطيني»، وهي المنطقة الأفقر في المدينة. ويعيش المسيحيون في ما يُعرف بحي «الأمريكان» الذي سُمّي على هذا النحو تيمّناً بالمدرسة البروتستانتية التي أنشأتها الولايات المتحدة هناك. وفي هذه المدينة السنّية تاريخياً، لا يزال سكّان المنطقة القدامى يعتبرون العلويّون أجانب. فلم تكن المدينة تضمّ أيّ سكّان علويين إطلاقاً حتى الانتداب الفرنسي الذي بدأ في عام ١٩٢٠، باستثناء خدم المنازل. وبعد أكثر من عقدين، في عام ١٩٤٥، أصبح العلويّون يشكّلون ١٠ بالمائة فقط من السكان، وكانوا يقطنون في ضاحية فقيرة تُدعى «الرمل الشمالي». غير أنّ التحوّل الديموغرافي المذهل الذي دفعته قدماً سياسة الرئيس السوري السابق حافظ الأسد والتي عرفت بـ «العلوية» أدت إلى أن يصبح العلويّون الأغلبية بحلول ثمانينيات القرن الماضي. معهد واشنطن للدراسات، وتقول دراسة أخرى في ويكبيديا أن عدد سكان الرمل الجنوبي حوالي ٢٥٠ ألف نسمة وسكان المخيم الفلسطينيون حوال ١١,٥ ألف نسمة لكن ينقصها المصادر. وفي مصادر الشرطة التي إطلعت عليها كان العدد في عام ٢٠٠٨ حوالي (١٢٠) ألف نسمة.

هم مسلمون من أهل السنة والجماعة، باستثناء الضاحية الجنوبية ومنطقة مساكن الضباط واللتان أنشئتا حديثاً، وهما خليط طائفي وديني ولا يشكلان نسبة تذكر.

الحالة الإقتصادية للناس تراوح ما بين محدودي الدخل الى الفقر المدقع، ويضم مخيم الفلسطينيين حوالي (٥) آلاف شخص فلسطيني مسجل في وكالة الغوث، واقعياً حوالي (٧) آلاف مقيم. ويشكل ذوو الأصول من إدلب حوالي ٤٠_٣٥ ٪ من السكان، وبقية السكان هم من مدينة وقرى اللاذقية.

أحد عشر حياً[1]، يسكنها الفقر والقهر و آلام لا تنتهي ، مياه المجاري المكشوفة بسبب انعدام شبكات الصرف الصحية ، صارت مَعْلَماً من معالم طرقات المنطقة ، العشوائيات، ندرة الخدمات، الجريمة، والمخدرات، هي أدوات السلطة للسيطرة على هذه المنطقة، ومع كل ذلك كنتَ تشاهد فيها، مَن يحملون كل ما نحلم به من الصفات السامية ونبل الأخلاق، كان الفلسطينيون في هذه المنطقة الأكثر انضباطاً وتعليماً وثقافةً، والجريمة تنحصر في بعض الأشخاص فقط، الناس كلهم على مختلف مشاربهم ومنابتهم شعب بسيط ودود، لم يعرف غير الله ثم العائلة والحارة ثم نادي حطين[2] لكرة القدم. شواطئ الرمل الجنوبي من أجمل شواطئ المتوسط، فهي رملية وتمتد من الكورنيش الجنوبي وحتى أحياء وحدات البيوت المستقلة الحديثة "الشاليهات" الجنوبية.

---

١ الأحياء هي مسبح الشعب وعين التمرة وبستان السمكة وبستان الحمامي وسكنتوري وحي القدس والغراف ومخيم الرمل وحي الطلائع وحي الشاليهات الجنوبية والضاحية الجنوبية دليل اللاذقية .

٢ نادي كرة قدم في اللاذقية يعتبر ممثلا للسنة في اللاذقية في كرة القدم في مواجهة نادي تشرين الذي يشكل العلويون أغلبية جمهوره.

السلطات حاربت هذه المنطقة طائفياً، فهي منطقة سنية بالكامل ، وأفسدت كل مصادر جمالها، وجعلت «مكباً للنفايات» فيها، بعيداً حتى لا يتضرر الشاطئ الأزرق العَلَوي[1]، وذلك قبل تحويله خارج اللاذقية في ٢٠١٠.

أُهمِلَت المنطقة أيما إهمال ، خدمات الدولة هنا شبه معدومة و تعبيد الطرقات بالإسفلت حلم شبه مستحيل، المنطقة في معظمها منطقة مخالفات بناء ، ولا يوجد إلا بضع عقاراتٍ خاضعةٍ لتنظيم البلدية والمحافظة . يكفي أن أقول أن مصب النهر الكبير الشمالي في البحر يقع في هذه المنطقة، راسماً ذلك المنظر الطبيعي الرياني الذي لا تمل منه ، يمشي النهر بجوار البحر قبل أن يضع البحر حداً لغرور النهر و يلتقي به في حاجزٍ بديع.

الجميع هنا يراقب أخبار تونس ومصر وليبيا، الكل في صدمة تجاه هذا الانفجار الضخم لثورة الشعوب العربية، التي ظننا أنها ماتت وأقمنا على قبرها مأتماً وعويلاً، ربما هي "الغيرة" من هذه الشعوب جعلت نفسي تتمنى أن نَمُرّ بما يحدث هناك في تونس وميدان التحرير في القاهرة[2]، فنحن بحاجة للثورة أكثر منهم، وبلغ الفساد والحالة المتردية في سوريا حداً لا يطاق، ولن يتغير أي شيء إلا بأظفار وأنياب الشعب.

---

١ الطائفة العلوية أو النصيرية هي أحد فروع الشيعة الإمامية، وهي طائفة تتواجد في شمال غربي سوريا وجنوب تركيا ، لا يشكل المنتمون لها أكثر من ٩٪ من عدد السكان في أحسن التقديرات، وهي الطائفة التي ينتمي لها حافظ الأسد وابنه بشار ،والشاطئ الأزرق هي منطقة تمتد في المنطقة الشمالية لمدينة اللاذقية وهي منطقة علوية بالكامل.ويكيبيديا

٢ الميدان الرئيسي في القاهرة . وكان الميدان الرئيس لتجمع المتظاهرين إبان ثورة مصر.ويكيبيديا

ثم حدث ما كنا ننتظره جميعاً، اشتعلت نار الثورة السورية من درعا وتبعتها مباشرةً اللاذقية.

الثورة انطلقت من اللاذقية بروح شعبيةٍ ونخوةٍ وطنيةٍ وجراحٍ منكوءة[1] لم تندمل أبداً[2]، وعزائمٍ جبارةٍ، وإيمان عُشاق.

لكنَ جوارهم مع "شركاء الوطن"[3] جعلهم يدفعون الفاتورة الأكبر في بداية الثورة.

لذا كانت أعمال قمع الثورة في اللاذقية ، من الأشد ألماً وظلماً والأعظم همَّةً.

اليوم الجمعة ٢٠١١/٣/٢٥، الجميع في قسم شرطة الرمل الجنوبي لايعرف ماذا يفعل والأوامر تأتينا متضاربة: اطلعوا، لا تطلعوا !

لا أحد "فوق" يعلم ماذا يريد، أو يمتلك تصوراً، أو لديه استراتيجيةً للتعامل مع الوضع!

الكل ينتظر أوامر من هُم "فوق"، ومن كان "فوق" ينتظر أوامر من هو "فوقه". في تسلسل عبيد العبيد.

أخيراً استقر الرأي على أن نخرج ونبقى بعيدين عن

---

١ منكوء: نَكَأَ جُرْحاً قَدِيماً : أَعَادَ نَبْشَهُ مِنْ جَدِيدٍ كِنَايَةً عَنْ إِثَارَةِ مَسْأَلَةٍ قَدِيمَةٍ تُؤْلِمُ/معجم المعاني الجامع.

٢ عانى أهل اللاذقية كما غيرهم في سوريا من ممارسات النظام وتسلط الطائفة عليهم وخاصة في فترة الثمانينات حيث قام حافظ الأسد باعتقال الشباب وتقسيم المدينة بشوارع عريضة للفصل بين أحيائها ليسهل السيطرة عليها ..راجع ويكيبيديا.

٣ شركاء الوطن لفظ استخدمه النظام في بداية الثورة تجاه الثوار ومن خرج في مظاهرات ضده، ثم استخدمه بقية الشعب كنوع من السخرية تجاه المنتمين للطائفة العلوية المتغولة في السلطة ثم استقر التعبير تجاه كل من يوالي النظام.

المظاهرات، أي مجرد إثبات حضور لا يقدم ولا يؤخر، كنا أدوات للسلطة تقول للناس من خلال تواجدنا: "نحن هنا، ننتظر و سنقرر كيف سنتصرف معكم". أنا والعقيد الفاسد الدنيء(نضال) من إدلب ، خرجنا ومعنا حوالي خمسين عنصراً من كتيبة حفظ النظام.

سألته متهكماً: سيدي هل تقتل أحداً إذا حدثت مشكلة؟!.

أجابني: والله يا محمد لا أعرف.

قلت له: والله يا سيدي الموت لي أرحم، وأنا مستعدٌ لفعل كل شيء ولا يؤذى ولا واحد منهم.

فهز برأسه أن قد وصلت الرسالة. وصلنا إلى مفرزة الأمن العسكري[1] في بداية حي الرمل، والمفرزة تحتل حرم القطار الملاصق للمنطقة منذ إحداثها في الثمانينات ، دخلنا جميعاً إلى الداخل، وصلنا متأخرين كالعادة [2]، كانت المظاهرات قد مرّت من هنا، واتجهت من مكاننا إلى منطقة بستان الحمّامي للتجمهر أمام جامع خالد بن الوليد أحد أماكن التجمع الرئيسة في منطقة الرمل، ومنه سينتقلون إلى داخل مدينة اللاذقية، إلى حي الشيخ ضاهر حيث المظاهرة الأكبر.

المساعد رئيس مفرزة الأمن العسكري (أحمد)، كان أحد الثيران الهائجة الحاقدة من شركاء الوطن، تهجم على أحد رجال الدين عند البدء بالمظاهرة في هذه المنطقة، وأمسكه من لحيته،إلا أن المتظاهرين خلّصوه من بين يديه، وضربه أحدهم ضرباً مبرحاً، و حاولوا ضرب عناصر المفرزة،إلا أن العقلاء هتفوا سلمية سلمية، فانسحب عناصر المفرزة .

١ مفارز الأمن العسكري منتشرة في كل مناطق سوريا وهي تابعة للمخابرات العامة واستخدمها النظام كوسيلة للتسلط على المواطنين

٢ وصول الشرطة متأخرين هي سخرية يطلقها العامة عليهم لأنه في غالب الأحيان تحضر الشرطة بعد الحادثة بوقت طويل.

كان ذلك الإنتصار الأول للشعب في تاريخ سوريا منذ الثمانينات!

لقد حطم هؤلاء الناس جدار الخوف هنا.

خرجت أستطلع الموقف، فأوقفني العقيد نضال وقال: لا تخرج سيقتلونك!

ضحكت قلت له: لاتخف هم يعرفوني.

عند خروجي من حرم المفرزة، شاهدت صديقي أبا علي: خير ما الأخبار، ماذا حصل هنا أبا علي؟

نظر إليّ وقال بسخرية: ما بعرف يا رجل شو[1] يقولون أنهم يريدون حرية!

ولأن أباعلي صديق قديم قلت له همساً: خليهم يلعنوا أبوهم، يلعن أبو هكذا دولة.

ضحك وقام باستضافتي في مكتبه العقاري الواقع في بداية منطقة الرمل، غير بعيدٍ عن المفرزة، واستمعت منه للتحليلات الخنفشارية والتوقعات المستقبلية، عن الثورة وماذا سيحصل في سوريا، اعتقدنا أننا أمام ثورة كثورة تونس سيرحل فيها الرئيس في النهاية، وأن البلد ستعود قوية يسودها العدل والرخاء، وسيزول كابوس عائلة الأسد بشكل نهائي، كنا نرسم أحلامنا ومستقبل بلادنا بدون هذا النظام، غابت عنا في تلكم الساعات العظيمة ،ذاكرة الثمانينات وإجرام النظام وقتها وكيف تعامل مع الشعب وقمعه ثلاثين عاماً بالتخويف والإذلال.

تركته وعدت أدراجي إلى العقيد نضال، الذي كان يقتله الخوف مما سيحصل، يتأفف بين الحين والآخر، أرى وجهه المُصفر، وأسمع خفقات قلبه !

---

١ «شو» كلمة عامية شامية ، أصلها «إيش» ، منحوت من (أيّ شيء) ، بمعناه ، وقد تكلمت به العرب. معجم المعاني الجامع

مررنا في طريقنا على رئيس مفرزة الأمن العسكري المصاب، وهناك شاهدت «النظام وقد انهزم»، شاهدت بناء حافظ الأسد المجرم، بناء الخوف والرعب قد انهدم! .

كان المساعد قد أُشبِع ضرباً، وآثار ذلك تملأ جسده الممدد على سريرٍ عسكري، حالة الشماتة بادية في وجهي، لا أستطيع أن أخفيها، الحرب بين الشرطة والمفرزة مشتعلة منذ عام ٢٠٠٨ لأسباب كثيرة، أهمها المنافسة في فرض السيطرة على المنطقة، وكون المفرزة موجودة من ثمانينات القرن الماضي، وقسم الشرطة حديث جداً[1].

بعد الإطمئنان عليه، تركنا المفرزة واتجهنا نحو القسم، قال العقيد نضال: أرأيت مافعلوه بهذا؟ يستأهل[2].. ما أدخله بينهم؟!

كنت اضحك ضحكاً عالياً، استأنف العقيد كلامه: اضحك.. اضحك ، جيد أننا لم نكن في مكانه!

وصلنا القسم، فطلب مني العميد محسن إيصال العناصر إلى قسم شرطة الشيخ ضاهر[3]، لأنهم يعانون من نقص في عددهم، وكان تمركز المظاهرات الكبيرة هناك.

عند وصولي إلى قسم الشيخ ضاهر وسط مدينة اللاذقية، وأمام القسم كان العميد البغيض الطائفي (منصور) من

---

١ عام ٢٠٠٣تم استحداث القسم بعد أن كان مخفرا، وترأسه الضباط بعد أن كان يدار من قبل صف ضابط. وهذا مذكور ضمن قرار استحداث القسم الصادر عن وزير الداخلية.

٢ اسْتَأْهَل الشيءَ : استوجبه واستحقَّه/ معجم المعاني الجامع.

٣ حي الشيخ ضاهر هو حي عريق في اللاذقية ويشكل السنة أغلب سكانه ويقع في وسط المدينة وفيه أسواق المدينة الرئيسية، ويكبيديا

دروز[1] إدلب، كان يقف برفقة عدد من عناصر الشرطة، وإلى جوارهم شبان حاقدون من حي الرمل الشمالي[2]-من شركاء الوطن- يَحْتَمون بقسم الشرطة ، كان الجميع يقومون برجم المتظاهرين من بعيد بالحجارة ويشتمونهم ، دون أن يكترث لهم المتظاهرون ، حتى أني شاهدت شباباً يشكلون طوقاً حول المظاهرة، حتى لا يقوم أحد بردة فعل غير متوقعة. ابتعد المتظاهرون عن الساحة ، وتمركزوا في شارع القوتلي الممتد إلى صليبة[3] من ساحة الشيخ ضاهر، وعلمت[4] فيما بعد عن طريق تبادل المعلومات مع الضباط والعناصر المتعاطفين مع الثورة والمنتشرين في جميع الأقسام ومنهم الرائد عدنان معاون رئيس قسم الشيخ ضاهر ، أن قناصين من المخابرات الجوية المتمركزين على أسطح البنايات إلى جانب كازية حورية وفي مدرسة جول جمال في الشيخ ضاهر،

---

١. الدروز أو الموحدون، هم عرقية دينية تدين بمذهب التوحيد وذات التعاليم الباطنية؛ تعود جذور الدروز إلى غرب آسيا. ويكيبيديا
المذهب الدرزي هو واحد من الجماعات الدينية الكبرى في بلاد الشام، مع حوالي ١,٥ مليون نسمة. يتواجد الدروز في كل من سوريا، ولبنان، وفلسطين، إلى جانب مجتمعات محلية صغيرة من الدروز في الأردن وفي المهجر خاصة في فنزويلا والولايات المتحدة. تتواجد أقدم وأكبر المجتمعات الدروز في كل من جبل لبنان وجبل الدروز. تختلف العادات الإجتماعية لدى الدروز بشكل ملحوظ عن تلك بين المسلمين أو المسيحيين، كما ويُعرف الدروز كمجتمع متماسك، ولكن أيضًا كمجتمع مندمج بشكل كامل في أوطانهم.

٢. حي الرمل الشمالي حي يقع الى جوار الشيخ ضاهر ويشكل العلويون أغلب سكانه .المصدر السابق

٣. الصليبة أقدم أحياء مدينة اللاذقية، وأحد أكبرها، يتميز بموقعه في وسط المدينة وبالمرافق الهامة التي يحويها مثل المشفى الوطني . ويكيبيديا

٤. راجع صفحة ١١٤ القيامة ١٤.

قد قتلوا شابين حاولا إسقاط تمثالا لحافظ الأسد يتوسط الساحة المذكورة.

بعد أن أوصلت العناصر، عدت أدراجي الى قسمي في الرمل الجنوبي.

استمرت المظاهرات طوال الأسبوع ليلاً ونهارا. العميد (محسن) و(العقيد)، وقد بلغ بهما الخوف مبلغاً عظيماً، لايغيب عنهما ما فعلاه خلال فترة خدمتهما في سلك الشرطة من سرقة ورشوة وظلم، كانا يراقبان حركة هذه الجموع التي ظنّ الجميع أنها لن ترفع رأسها يوماً، ماأشد خوف المذنب من العقاب!.

يقولان لي: نحن بأمانتك يا محمد، أنت في هذا القسم وهذه المنطقة منذ ست سنوات، ونحن جئنا إليها من مدة قليلة. وأنا أجيبهما : يا سيدي «أنا شو دخلني، ورغم ذلك أنا جاهز لأي طارئ وسأكون درعاً لكما، مع أني متأكد أن هذا الشعب البسيط الفقيرلايفكر من أنا، ومن أنتم، ولايعرف الانتقام، بل يملك روح التسامح والعفو».

أعجب ما رأيت من الانفصام، وأثبتها هنا شهادة لله وللتاريخ، أن العميد (محسن) وهو الضابط الذي غرق في الرشوة، والذي ينتمي لإحدى الطوائف القريبة من طائفة النظام، قال في الاجتماع الصباحي لعناصر القسم: يا شباب الدم غالي والدم حقه دم، من يقتل أحداً فهو برقبته وأنا خصمه، وختمها بعبارة: «السيد الرئيس لا يرضى هذا الشيء».

العريف محمود، وهو من الشباب الثائر- والذي لعب معي دوراً كبيرا فيما بعد- يسألني كل يوم خميس: معلم[1] بربك أخبرني هل سيخرجون في مظاهراتٍ غداً؟؟..

---

١ تبدأ مخاطبة المرؤوس لرئيسه كقانون في الشرطة في سوريا بكلمة «سيدي» لكن يتم استخدام كلمة «معلم» من قبل العناصر المقربين. وهذا متعارف عليه.

فأجيبه: قول يارب، لكن تأكد غير ربك لن يطفئها هذه المرة!

***

لقد انقسم قسم شرطة الرمل الجنوبي بفعل الثورة، منذ يومها الأول، عناصر مؤيدون للثورة غير آبهين بشيء، وعناصر حاقدون يتجمعون ويتأهبون، وفئة ثالثة من عناصر خائفين لا يدرون ما يفعلون.

حدثت الانقسامات في اصطفافٍ طائفي طالما عشناه وشهدناه أثناء عملنا، لكنه لم يظهر بهذا الوضوح من قبل كما هو الآن.

اللاذقية اشتعلت الآن، ولا أعرف أين سترميني أمواج بحرها؟

*****

ربما جربتم خطاب الأرواح، وهو أن تجلس بالقرب من أحدهم وتسمع كلامه الداخلي دون أن ينطق بكلمة واحدة. كان الجميع هنا سنّة وعلويون ومن جميع الطوائف يدعون نفس الدعاء بالحرف الواحد، وكأننا في مظاهرة دعائية وابتهال جماعي، كأننا جوقة واحدة قد حفظت جملة واحدة تترددها: "اللهم اطفئها، واجعله يجد حلاً". لكنه أعلن الحرب على سوريا كلها شعباً وأرضاً وتاريخاً! أعلن الحرب حتى على أمانينا، ثم قتلها في نهاية الخطاب.

صوت خفيف وقع في أذني: «يلعن دينه أشعل الدنيا»!

خطاب الرئيس
30/3/2011 الخميس

يومٌ تاريخي في حياة كل سوري!! (الرئيس) سيلقي فيه خطاباً حول الوضع، وحول الثورة وحول ما جرى من قتل واستخدام للعنف.

منذ الصباح تجمعنا، الضُباط وأنا والعقيد نضال في مكتب العميد محسن للاستماع إلى خطاب (الرئيس). لم أترك دعاء أعرفه إلا وقلته في قلبي قلت: "يا رب يطفئها ويجد حلاً ، ويسجن عاطف نجيب ، ويحاسب المجرمين ، ويخفف القبضة الأمنية ، ويكون ابن حلال".

ربما جربتم خطاب الأرواح، وهو أن تجلس بالقرب من أحدهم وتسمع كلامه الداخلي دون أن ينطق بكلمة واحدة. كان الجميع هنا سنّة وعلويون ومن جميع الطوائف يدعون نفس الدعاء بالحرف الواحد، وكأننا في مظاهرة دعائية وإبتهال جماعي، كأننا جوقة واحدة قد حفظت جملة واحدة ترددها.

يا سيدي بالنهاية من يريد الخراب والفوضى!! لا أحد، ربما كل السوريين كانوا يأملون نفس أمانينا. بدأ الخطاب الساعة (٢,٣٤)عصراً، الكل مشدود إلى التلفاز، لايغيب عن نظرنا ثانيةً واحدة.

تكلم الرئيس... وكلما تقدم في الخطاب، كان إلحاحي بالدعاء يزداد «اللهم اطفئها، واجعله يجد حلاً»..

سبع وأربعون دقيقة مدة الخطاب، كانت صفعة قاسية على خدينا معا!

لقد بال الرئيس على كل كتب القانون التي درستها في كلية الحقوق بجامعة دمشق.

لقد سحق (عبود السراج، وعزيز شكري، والسنهوري ومصطفى الخاني)[1] وكل مفكري فقه القانون!!

سبى القيم والأخلاق الإنسانية، دنس الهلال وكسر الصليب، الكل صُدِم بالرئيس..

لقد أعلن الحرب على سوريا كلها شعباً وأرضاً وتاريخاً! أعلن الحرب حتىعلى أمانينا ، ثم قتلها في نهاية الخطاب.

صوت خفيف وقع في أذني:"يلعن دينه أشعل الدنيا" ! قالها العميد محسن المرشدي[2]الذي كنت أجلس إلى جواره، ولعله نطقها بلاشعور ففي الطائفة المرشدية ممنوع شتم أو سب الدين أو الرب، وتعتبر طامة كبرى في معتقدهم تصل به إلى حد الخروج من الطائفة.

ياالله، كم من الآمال و الأماني عقدنا على خطاب الرئيس! قبل أن يصيبنا خطابه بصداع وخيبة جعلا كلاً منا يتجه إلى مكتبه دون أن ينبس ببنت شفة.

خرجت المظاهراتٌ ضد خطابه،وكانت بداية شعار الثورة السورية: (الشعب يريد إسقاط النظام).

***

١ حقوقيون ولهم مؤلفات عدة كانت تدرس في كلية الحقوق جامعة دمشق.

٢ المرشدي ينسب إلى الطائفة المرشدية وهي إحدى الفرق الباطنية المنشقة عن النصيرية، ومحرم في دينهم شتم الدين أو الرب .ويكبيديا -

اليوم الجمعة ٢٠١١/٣/٣١، ويوم الجمعة هو يوم قلق دوائر الدولة والنظام.

في الصباح تفقدت العناصر، وقمت بتوزيعهم ضمن القسم جلست في مكتبي، فطور، كأس من القهوة، قناة الجزيرة قبل منعها بقرار إداري، أذان الظهر، الصلاة، كنت أترقب الأوامر.

المظاهرات تملأ المكان، اتخذ الناس ساحة القدس في الرمل الجنوبي مكاناً للتجمع.

يبدو أن أربعين عاماً من حكم الأسَدَيْن خزّنت لدى هؤلاء المتظاهرين ملايين من الكلمات في صدورهم، وامتلأ الوعاء ولم يعودوا يستطيعون الا أن يتكلموا، الكل يهتف لا أحد صامت: (سلمية سلمية، حرية حرية، تكبير "الله أكبر" الشعب يريد إسقاط النظام).

الأصوات ولشدة هديرها تثير البحر القريب من مكان التجمع وتضرب أمواجه.

كان اعتقاد أهل اللاذقية ساذجاً، حينما قرروا أن يتجمعوا في ساحة الشيخ ضاهر والإعتصام بها حتى إسقاط النظام المجرم ، كانوا يعتقدون أن اللاذقية هي القاهرة و بشار هو حسني مبارك!

انطلق أهالي الرمل بقضهم وقضيضهم، بصغيرهم وشيخهم، شيبهم وشبابهم، إلى ساحة الشيخ ضاهر.

كانت خطة النظام الأولية للتعامل مع المظاهرات كما خبرتها فيما بعد،من خلال ماجرى من أحداث، ومن خلال إطلاعي على الأوامر التي كانت تأتينا، ومن خلال التحري والبحث الذي قمت به برفقة بعض العناصر بعد إطلاق النار

ووقوع الإصابات في المظاهرات، على الشكل التالي[1]:

قناصوا المخابرات الجوية منذ ليلة الخميس، تمركزوا في تكتم وسِرِّيَة فوق أسطح البنايات العالية -أحصينا فيما بعد سبعة مبانٍ يتمركز فيها القناصون باتجاه منطقة الرمل الجنوبي- .

عناصر الأمن العسكري وأمن الدولة تجهزت في المكان للرد على المتظاهرين.

عناصر الأمن السياسي اندست بين المتظاهرين لجمع المعلومات ومحاولة إعتقال قادة المظاهرة والمحركين الرئيسين لها.

أما عناصر الشرطة فيتمركزون في أقسامهم ومخافرهم لحمايتها دون أن يتدخلوا في شيء، وكل ذلك تمّ ودون معرفة أي مجموعة بمهام المجموعة الأخرى، ولا بخططها، ولا طريقة توزعها، مما أدى إلى وقوع صدامات بين الجميع، كأن يعتقل فرع الأمن العسكري شخص يتبين فيما بعد أنه عنصر في الأمن السياسي، وقد حدث ذلك في أكثر من مرة.

تجمع المتظاهرون في مسجد خالد بن الوليد في بستان الحمامي، وانضم آخرون من جامع النور في حي الرمل، وعندما هَمّ البعض لقطع الشارع إلى الجهة المقابلة ليتوجه إلى ساحة الشيخ ضاهر، وأمام محطة القطار في بداية المنطقة، بدأ القناصة بإطلاق النار على المتظاهرين السلميين، وسقط أول الشهداء في المنطقة، وتم سحب جثمانه، وانفض الجميع، انسحب مَنْ انسحب، وتسلل مَنْ تسلل.

---

١ راجع أيضاً القيامة ١٤ الصفحة ١١٤

ثم عادوا ليتجمعوا في ساحة الرمل الجنوبي، والتي كان فيها القصة الأكبر.

***

وفي هذا اليوم أُعْطِيَت إشارات لم يعيها الشعب إلا بعد حين، وبدأ النظام بنشر الرعب والتلاعب بالناس وخاصة بكلمة ..مندس والحواجز الشعبية.

*****

الكل يقيء صمته المطبق خلال ثلاثين عاماً .

الرعب الأكبر
اللاذقية ٢٠١١/٣/٣١ الجمعة

اليوم هو من أطول أيام التاريخ منذ بدء الخليقة على مدينة اللاذقية، اليوم هو الجمعة!

بعد مهزلة خطاب الرئيس المجرم، وتحديه للشعب واعتباره أن مايجري هو مؤامرة على "الوطن"، وأن كل من يعترض على هذا النظام هو مندس وعميل، وضحكته المخبولة على الدماء التي سقطت في درعا، طُلِب من بعض عناصر فرع المرور في اللاذقية ارتداء اللباس المدني، وتجمعوا مع بعض عناصر فرع الأمن السياسي، للخروج في مظاهرةٍ وهميةٍ إلى جانب مستوصف سكنتوري، وذلك بغية الهجوم وقمع المظاهرة الحقيقية في حارة الشحاذين، وقوس النصر، وقهوة طابوشة، وساحة مشروع صليبة.[1]

بعد ربع ساعة من تجمعهم، أطلق قناصوا المخابرات الجوية عليهم النار، فقُتِل عنصران من الأمن السياسي!

---

١ **الصليبة** أقدم أحياء مدينة اللاذقية، وأحد أكبرها، يتميز بموقعه في وسط المدينة وبالمرافق الهامة التي يحويها مثل المشفى الوطني،أغلب سكان الحي من المسلمين السنّة ، وفيه وقعت أهم أحداث الثورة في اللاذقية. والأحياء المذكورة هي أحياء في صليبة .بما فيها مستوصف سكنتوري الذي يقع قبالة منطقة عملي مباشرة ..ويكيبيديا

كان واضحاً وجلياً أن النظام يحتاج لكبش الفداء، وهي إحدى شماعات النظام التي يجيد صنعها في محاولة منه لقمع الاحتجاجات والمظاهرات.

الأمن السياسي قام بدوره فيما بعد بالانتقام لعناصره القتلى، فأطلق النار على حاجز للمخابرات الجوية بالقرب من دوار البحرية على "اوتستراد[1] الثورة» ، وقتل عناصر من المخابرات الجوية ، ثم تم حل الخلاف فيما بعد في مكتب كمال الأسد[2] المكلف الأمني الأعلى في الساحل.

وهناك قصصٌ مشابهةٌ حدثت، قام فيها عناصر من الأمن بقتل عناصر من الشرطة ومن الجيش وحتى من رجال الأمن أنفسهم!ومن ذلك إطلاق النار على سيارة الشرطة، التي كنت أستقلها برفقة عناصر آخرين.

لدى عودة المتظاهرين إلى منطقة الرمل ساحة القدس، بعد إطلاق النار عليهم أمام محطة القطار، طلب مني قائد الشرطة العميد «محمد تركماني»-من اللاذقية- ارتداء اللباس المدني، و الذهاب بشكل شخصي إلى مكان قريب من المظاهرات وإخباره عن أعدادها ، ولأنني مأمور ..خرجت برفقة العريف محمود.

وصلنا إلى بلدية الفلسطينيين التي تقبع على زاوية الرمل، وتُكَوّن الحد الفاصل بين مناطق الفلسطينيين ومناطق السوريين.

عند وصولنا كانت الأصوات تصدح في السماء، الجميع هنا،الجميع!! لم أعرف معنى هذه الكلمة إلا هنا.

---

١ . «استراد» كلمة بالعامية تعني الطريق السريع ، ويسمى باسم الثورة ، نسبة لثورة البعث القديمة في الثامن من آذار 1968.

٢ كمال الأسد : هو ابن عم الرئيس السوري بشار الأسد .. أبوه اسماعيل الأسد الأخ الغير شقيق لحافظ الأسد. كمال الأسد يشغل منصب رئيس غرفة وصناعة اللاذقية. دليل اللاذقية وسيأتي الكلام عنه فيما بعد

إنها المرة الأولى التي يجتمع فيها الناس على هدف واحد وحلم واحد، الهتاف واحد، الكل يقيء صمته المطبق خلال ثلاثين عاما.

اقتربت حتى دكان "شاورما أبو السيد" في مقدمة الساحة، فشاهدت أحد الأشخاص، كان من أبسط الناس الذين عرفتهم طيلة السنوات الست الماضية، كان يهتف بكل كيانه حتى أشفقت على يديه من كثرة التصفيق.

-لك شو يا أبو صطيف، فرحان ومبسوط.

- هذه المرة، الله معنا يا سيدي.

عندما شاهدني أحدهم بدأ الهتاف "الشعب والجيش أيد وحدة"، كانت تلك من أبغض الجمل التي تتغصني من الداخل، وذلك لسبب بسيط، قلة من الناس لا تفرق بين الشرطة والجيش وحق لها ذلك، لكن مالا يعرفونه هو: «إنّ العلاقة بين ضباط الشرطة والجيش هي علاقة معقدة، لاختلاف طبيعة عملنا ، نحن نعمل في وظيفة قانونية قضائية إدارية، وهم يعملون في قطع عسكرية ، كما أن ضابط الشرطة غالباً خريج كلية الحقوق مثقف متعلم، و ضابط الجيش - في نظرنا كضباط شرطة-هو الإنسان الفاشل الذي حصل على شهادة الثانوية بمعدل متدني، وتطوع في الخدمة العسكرية، ولا يفقه شيئاً في الحياة والعمل غير نهب وسرقة المجندين وسرقة "بنزين"[1] السيارات العسكرية[2].

لاينظرون إلينا إلا من باب الحسد والغيرة، ولا ننظر إليهم إلا على أنهم مجرد قطيع من اللصوص والجاهلين.

---

١ ./كلمة «بنزين» هي احد مشتقات البترول المستعملة وقودا للمركبات.gasolin

٢ وهذا الشائع بين السوريين الذين يؤدون الخدمة العسكرية الإلزامية ، فينتشر بين ضباط الجيش سرقة وقود السيارات العسكرية التي تكون في معسكر التدريب وبيعها لمحطات الوقود.

في ذلك الوقت لم يتوقع أحد أن يتجرأ النظام على زجّ الجيش لقمع الناس ، هذا الجيش الذي تبين فيما بعد أنه لم يكن إلا قطيعاً من الوحوش المتعطشة للدماء والنهب والتعفيش[1].

اتصل بي قائد الشرطة : كم عدد المتظاهرين يا محمد ؟.

- ياسيدي مابين عشرة آلاف وإثنا عشر ألفا.

- شو ؟!! أرسلتك لأنك قادر على العدّ الصحيح، قبل قليل أخبروني أنهم لا يتجاوزون المئتين!

-يا سيدي تعال شوف، ما بقي أحد من سكنتوري وبستان الحمامي وبستان السمكة وعين التمرة ومسبح الشعب والغراف والرمل إلا وقد جاء إلى هنا.

- ليس صحيحاً، كلهم مئتين.

-كما تريد، سيدي.

أغلق الهاتف وعدت إلى منطقة المخيم.

بعد حوالي ساعة، أربع سيارات نوع (تويوتا هايلوكس) من فرع الأمن العسكري ، قامت بالهجوم على المتظاهرين، وأثناء وصولها إلى طريق البحر الملاصق لساحة القدس، بدأوا بإطلاق النار العشوائي فانفضّت المظاهرات.

فرّالمتظاهرون، وأصيب بعضهم إصاباتٍ مباشرة، وحده وقف في الساحة، شابٌ صغير(١٦) عاماً، كان برفقة شقيقته ووالدته، خلع ملابسه العُلوية، و صاح بهم : "قوّس[2]يا عرصة[3] »

١ عَفَشَ الشيءَ عَفْشَ عَفْشًا: جَمَعَهُ عَفَشَ

أثاث البيت :- نقل عَفْشَ البيت... معجم اللغة العربية المعاصرعَفْش

٢ قَوَّسَت السَّحَابَةُ : تَفَجَّرَتْ عَنْهَا الأَمْطَارُ .معجم المعاني الجامع. ولكن يتم إستخدامها في لهجة أهل الشام بمعنى أطلق النار.

٣ وقال ابن نجيم في البحر الرائق: يُعزر بلفظ معرص ،عرصة، لأنه الديوث في عرف مصر والشام.

ثم هجم عليهم عاري الصدر ...

قال لي من حضر المشهد : «أقسم بالله، صارعناصر الأمن يهربون مثل الكلاب، خائفين منه، حتى تجرأ أحدهم وأطلق النار عليه، فسقط على الأرض،عندها توقف الهاربون وقاموا بإطلاق النار عليه بحقد، وهم يقولون : «موت يا ابن الشرموطة، آبدكم[1] تهدأوا وتتضبوا»؟!

قتلوه ..وكأنه لا شيء، لم تخطر في فكر أي من هذه الوحوش عن هذا القتيل أي خاطرة، ماهي أحلامه؟ كيف يفكر في مستقبله؟!! كانت جريمته أنه ينتمي لأمة يجب ألا تستفيق!! تم الكشف على الجثة في المشفى الوطني باللاذقية، وسلمت الشرطة جسد الطفل "الشهيد" إلى خاله.

بعد الحادثة، جاءتنا برقية[2] لم نلق لها بالاً أول الأمر، تقول :«سرقة سيارة «بيك آب[3]» من مديرية الزراعة». كانت بالنسبة لنا برقية سخيفة في ظل ما يحدث، ثم من هذا الذي يقدر على سرقة سيارةمن مديرية الزراعة التي مُلئت حرساً؟!!.

قرابة الساعة الرابعة عصراً، تم بث أخبار في تلفزيون الدنيا الموالي للنظام والتلفزيون الرسمي، يفيد بوجود مندسين، وسيارات مجهولة تطلق النار بشكل عشوائي في كل المدن السورية[4]!

---

١ آبدكم :إحدى كلمات لهجة جبال اللاذقية وهو استفهام استنكاري ومعناها ألستم تريدون؟!

٢ بلاغ مكتوب عن طريق قيادة الشرطة وهي إحدى طرق المراسلات في دوائر الدولة.

٣ **شاحنة البيك-أب** أو **السيارة النصف-نقل** بالانجليزية: Pick-Up) هي شاحنة صغيرة مكشوفة الخلفية حيث تحمل البضائع والأحمال الثقيلة، وهي تشبه « نصف شاحنة »، يمكن استخدامها في نقل البضائع القليلة بسرعة ومرونة،ويكيبيديا

٤ -راجعوا تسجيلات التلفاز في نفس التاريخ.

من يقرأ خطاب بشار، يكتشف أنه خطاب غير عبثي كما روّج له، كان خطاباً يحمل في طياته كلمة السر لبث الرعب بين صفوف الشعب، كان يستخدم في الخطاب كلمات وعبارات بعينها يكررها:"مندس".. "أرادوها حرباً فأهلاً وسهلاً بها".. "الجراثيم".. "عمليات استئصالية"... بدأت البرقيات تتوارد إلى القسم، بوجود خمس سيارات تقوم بإطلاق النار بشكل عشوائي في حي الشيخ ضاهر، صليبة، شارع القوتلي[1]، وفي تمام الساعة الثامنة مساءً ، أعلمنا بوجود سيارة بيك آب مجهولة، تطلق النار بالقرب من مسجد أسامة بن زيد إلى جوار باب المفرزة في منطقة الغرّاف[2].

استيقظنا كموظفين حكوميين مهمتهم التحقيق الجنائي، وبدأت الأسئلة والتفسيرات بيني وبين العريف محمود، حول البرقية التافهة التي وردت قبل ساعات حول سرقة سيارة الزراعة!

صاح أحدهم في الرمل الجنوبي :"يا شباب، العلوية والشبيحة هاجمين عليكم" ، وتكفل شخص بهذا في كل منطقة، حتى في مناطق العلويين يصيح مجهول: "السنة هاجمين عليكم"!

تبين فيما بعد أن هؤلاء الأشخاص إما مخبرون أوعناصر تابعين للأمن العسكري، وقد قبض بعض الأشخاص على أحد "هؤلاء" في حي مسبح الشعب، ليتبين أنه عنصر مستخدم في فرع الأمن المذكور، وتم تركه طليقاً، وعلمت بهذه الحادثة من بعض الأصدقاء ومن خلال بعض صِلاتي بالأمن.

---

١ مناطق عمل في مدينة اللاذقية، وكذلك الرمل الجنوبي هي منطقة عمل أخرى تتبع للمدينة.ويكيبيديا

٢ أحد أحياء الرمل الجنوبي ضمن منطقة عمل قسم شرطة الرمل الجنوبي.ويكيبيديا

لقد بدأ بث الرعب هنا، لقد بدأ خطاب(الرئيس) يؤتي أكله ويصبح واقعاً نعيشه، وفق خطةٍ وُضعت مسبقاً، صار الجميع أداة فيها، هذا ما أراده بشار الأسد، إشغال الناس ببعضها البعض، إشغال الشعب بنفسه.

نحن الآن، شعباً وموظفين في كل أجهزة الدولة وحتى المجرمين منا، صرنا بيادق بيد النظام، سيتم التلاعب بها وبمصائرها.

لقد نزل الشباب والرجال كلهم للشوارع والأزقة والحارات، لا للتظاهر بل لحماية انفسهم وملكياتهم، نزلوا يحملون ما تيسر من عصيٍّ خشبية، وبعض قطع الحديد (شنتيانات)[1]. لقد اعتقدوا أنهم قادرون على ردع الخوف والوهن الذي خلقه النظام في أنفسهم.

الساعة العاشرة ليلاً، اتصل بي أحد الأصدقاء من منطقة الرمل، يعلمني بوجود سيارةٍ خاصةٍ مركونةً في منتصف الطريق، كما ورد اتصالٌ آخرٌ من فرع الأمن السياسي تعلمنا بوجود نفس السيارة ولكن بالصيغة التالية : سيارةٌ مجهولةٌ،محملةٌ بالأسلحة، أمام فرن غزال تقوم بتوزيع الأسلحة.

توجهت على الفور إلى حيث فرن غزال برفقة دورية، كان المنظر مخيف جداً، الكثير من الناس في الطريق، الشباب والرجال في كل زاويةٍ وزقاق، الجميع يتصنع الجسارة والشجاعة، وأعينهم تخبرك :أن النظام قد نجح في زرع الرعب هنا.

وصلت المكان، عندما نزلنا من السيارة، تجمع كثير من الناس حولي، قام بعض الأشخاص بإبعادهم: يا أخي بعدو خلوا الشرطة تشوف شغلها.

---

١ شنتيانة: كلمة تركية تعني سلاح أبيض قديم، وهو عبارة عن سيخ أو سيف معدني.معجم المعاني تركي عربي

الحمد لله كانت تلك الكلمات قد بعثت في نفسي، ونفس العناصر الذين معي الكثير من الطمأنينة والسكينة. تم الكشف على السيارة المذكورة، وتبين أن السيارة الخاصة، مفتوحة الأبواب فارغة وسليمة أمنياً، ووجدنا في في صندوق السيارة لوحتي تسجيل سيارة إضافيتين،أرسلت أحد العناصر ليقود السيارة إلى القسم.

كان الجميع في طريق العودة يلقون علينا التحية، تحية الشكر بعد أن خلصناهم من مصيبة كبيرة. تم الطلب من فرع المرور عن هوية السيارة ، فتبين أن مالكها يقيم في الضاحية إلى جوارنا (شريك وطن)، وأن إحدى اللوحات تابعةً لفرع المخابرات الجوية، وبما أننا لا نستطيع كشرطة استدعاء أي شخص من فرع الأمن، لذا قمنا بتسطير إذاعة البحث[1] عن مجهول!

***

بعد حوالي خمسة عشر يوماً حضر مالك السيارة، وبعملية ديناميكية سهلة، تم تسليمه السيارة، بعد اتصال رئيس فرع الأمن السياسي العميد (طه)بالعميد (محسن) رئيس القسم.

*****

١ إذاعة البحث :عمل قانوني وهو أحد أنواع المراسلات يسطره عناصر الضابطة العدلية. اذا كانت مرتكب الجرم فاراً او متوارياً عن الانظار ولم يتمكن رجال الضابطة العداية من القاء القبض عليه فينبغي عليهم ان ينظموا اذاعة بحث بحقه تدون بدفتر البرقيات وترسل بموجب برقية ويشارالى رقمها في متن الضبط الذي نظم على الا يتعدى نفاذها فترة الجرم المشهود او فترة التحقيق فيما اذا تمت الموافقة على تمديد فترة التحقيق من قبل رئيس الضابطة العدلية وتعميم اذاعة البحث على كافة الوحدات في الجمهورية العربية السورية. المصدر مجلة المحامون السورية.نظام خدمة الشرطة

الزنبقة السوداء وخطة بندر[1]
الأحد ٢٠١١/٤/٢

تبدو هذه الحادثة غير ذات أهمية، لكن النظام لا يتصرف بعبث كما نتصور، كل شيءٍ مدروسٍ وضمن خطة أُعدّت سلفاً، في البدء جاء خطاب بشار، ثم توالت علينا الحادثات.

وصل في البريد السري جداً [2]من الأمن القومي كتابين للعميد محسن، وُزِّعَا على الضباط، وقُرِّئا مُخْتَصَرَين على بقية عناصر فرع الشرطة، والكتابان من عدة صفحات، يتضمن أحدهما ما يُسمى (الزنبقة السوداء)، وهي تتمثل في عملية خيالية «يقوم» بها مجازاً المعروف بإجرامه العريق العقيد (حافظ مخلوف)[3]، بإلقاء القبض على خلية سعودية مؤلفة من ضباط مخابرات سعوديين في مدينة درعا، تحكي الخطة الخُلَّبيّة أن هدفهم ضرب منشآت مدنية، وقتل عدة

---

١ نشرت الخطة فيما بعد في عدة مواقع إخبارية ومنها القناة الرسمية السورية.

٢ الكتب السرية تحفظ في ملف سري من قبل رئيس الوحدة وعلى مسؤوليته وممنوع تداولها فقط مسموح الإطلاع عليها، لذا لم أتمكن من الإحتفاظ بها في حينها لكن بعد انتشار الكتب تم الحصول عليها.

٣ حافظ **مخلوف** ابن خال الرئيس السوري بشار الأسد وشقيق الملياردير رامي مخلوف ضابط في الاستخبارات السورية والمخابرات العسكرية السورية والقوات الجوية السورية ومكتب الأمن الوطني السوري ويتولى أمن دمشق وضواحيها يعتمد عليه الرئيس السوري في القضايا الأمنية ويكيبيديا

مدنيين، وإلصاق جريمتهم هذه بالجيش السوري «البريء»، بهدف تأجيج الأوضاع لاستمرار الثورة!!

كان الخيال والحبكة الدرامية في هذه القصة وعلى الرغم من تكاملها وقناعة من وضعها بأنها تتمتع «بالمصداقية».. سيئ جداً، وكان العنصر الساذج في قسم الشرطة قادراً على كشف كذبها وقدرة النظام على هكذا تلفيق.

الكتاب الثاني، كان يحتوي شيئا يُسمى: (خطة بندر)[1].

تتضمن هذه الخطة «الرهيبة»، وصفاً تفصيلياً لكل مراحل الثورة بأدق المراحل الحالية والمستقبلية، كما تتحدث عن تصرف النظام مع الثورة!! وهذا وصف حَرْفِيٌّ لما ورد في بعض أجزائها -وكل ذلك في أوائل الشهر الثاني للثورة!-:

بث موقع (فيلكا الاسرائيلي)[2] الإلكتروني في تموز ٢٠٠٦ أنباءاً عن كشف مخططٍ تنفذي لهذا الوعد- وعد إسقاط النظام السوري- بالاتفاق مع السفير الأمريكي الأسبق في لبنان جيفري فيلتمان} .

وأوضح الخبر أن تلك الخطة- الموهومَة المُختَرَعَة- تعتمد وبشكل أُعِدّ له بدقة متناهية- استراتيجياً كما ذكر الكتاب-، على استغلال رغبة الناس المشروعة في الحرية والكرامة والتخلص من الفساد، وتحويلها الى الثورة على النظام، عبر إقناعهم أن طريق الإصلاح من داخل النظام مغلق، وأن الحل هو ثورة شاملة للإطاحة (بالرئيس بشار الأسد)!! موقع النخيل الالكتروني[3] قال أيضا {أن هذه الخطة تعتمد

---

١ بندر بن سلطان بن عبد العزيز رئيس المخابرات السعودية حينها

٢ -وتبين فيما بعد أنه موقع تابع للمخابرات السورية. وهذا أحد المواقع من بين عشرات الذي نشر الخبر ويدعى الحدث نيوز

http://www.alhadathnews.net/archives/26104

٣ موقع الكتروني تابع للمخابرات السورية أيضا. راجع **وكالة سانا و أنباء فارس** في نفس التاريخ

على عدة وسائل وطرق مدروسة أهمها:

1 - الشبكات الداخلية والخارجية.

أ-الشبكات الداخلية: هي خلايا عسكرية نائمة يتم إيقاظها في أوقات وأماكن محددة، تكون مهمتها إطلاق النار على المتظاهرين وتفجير أماكن اقتصادية ومراكز عسكرية وأمنية للضغط على النظام بحجة الانتقام من جيش النظام وأجهزته الأمنية.

ب- الشبكات الخارجية: مهمتها تهريب الأسلحة. والمتفجرات، والمقاتلين ذوي المعتقدات الأصولية والسلفية إلى الدولة السورية عبر الأراضي اللبنانية والأردنية وغيرها من دول الجوار.

2 - الوسائل الإعلامية المؤمركة[1] :

تعتمد الخطة على الوسائل الإعلامية العربية والأجنبية المتأمركة والمتصهينة والموالية للسعودية، التي تسعى إلى الفتنة الطائفية والمذهبية من جهة، والفتنة بين الجيش والشعب من جهة أخرى، من خلال بث الشائعات والتركيبات والأفلام الملفقة، لإظهار النظام ورئيسه وأدواته بمظهر لا أخلاقي أمام الرأي العام الدولي والإقليمي، بأنه يقوم بقتل شعبه الأعزل الذي يريد التعبير عن رأيه في التغيير بطرق سلمية} .

ثم يقوم «المُغرضون» {بتهييج المصليين وتحريضهم للخروج في تظاهرات بحجة الاحتجاج على المجازر، التي ترتكبها الشبكات العسكرية الإرهابية في الداخل السوري أصلاً، إضافة الى ترويج شائعات بأن الفرقة الرابعة بقيادة شقيق الرئيس بشار الأسد (ماهر الأسد)، هي التي تقوم بإطلاق النار على المتظاهرين ، وتحميله وزر كل ما يحصل

---

١ المقصود أنها تابعة للمخابرات الأمريكية.

من خضّات أمنية في سوريا}!

كانت خطة مُفَصَّلَة بمراحلها كلها وأدق تفاصيلها ، وردتنا في مكان عملنا في كتاب أمني بتاريخ ٢/٤/٢٠١١! أي بعد أيام أو أسابيع على انطلاق الثورة!.

كنت أعتقد أنها إحدى تُرّهات النظام ، حتى نبهني العريف محمود قائلاً: يا سيدي أرأيت؟ هذه خطة النظام وليست خطة بندر، خطة النظام وماذا سيفعل في سوريا!...

وهذا ما حدث بحذافيره فيما بعد فعلاً.

السؤال: لماذا أرسلوا لنا هذين الكتابين؟؟ كان هدف الكتابين ما يلي:

١- إيجاد روايةٍ مقنعةٍ لمن هم ضد الثورة، من قطعان الوحوش الطائفيين، والمنتفعين من النظام، وللناس التي ستقف على الحياد.

٢-تخفيف الصدمة من ممارسات النظام المستقبلية، من قتلٍ وتدميرٍ وتوحشٍ.

٣ - شحن الطائفيين والموالين والمقتنعين بالنظام، نظراً إلى أن كل ما يحدث وسيحدث، هو مؤامرة ضد الرئيس وضد سوريا.

لقد نفّذ النظام خطته (خطة بندر) بحذافيرها فقتل وأحرق واعتقل ودمر وشرد الشعب.

ووفقاً لهذه «الخطة» التي وضعها النظام ، وألصقها بأهل الثورة منذ الأيام الأولى لاندلاع الاحتجاجات، فقد قامت مفرزة الأمن العسكري في الرمل الجنوبي، بتزويد عدة أشخاص -ومنهم أبو شكيب الذي سيلعب دوراً فيما بعد وشخص آخر، ب(٢٥)بارودة بومب أكشن[1]، لتوزيعها على أشخاص وتسجيل أسمائهم.

---

١ Pump-Action بندقية تستخدم للصيد

في المرة الأولى وجد العناصر أمام باب المفرزة تلك البواريد[1]، لقد رفض المتظاهرون حمل السلاح و القتل، ما جعل النظام يفقد عقله!

وما لبثت حتى تم توزيعها مرة أخرى في منطقة الرمل، عن طريق مخبرين، إضافة إلى (٢٥) بندقية صيد أخرى من نوع بومب أكشن أخرى، في منطقة سكنتوري وبستان الحمامي وبستان السمكة وعين التمرة ومسبح الشعب-كتلك التي وجدت مع (غسان سلواية[2] أبو نظير)- تم توزيع البنادق على المجرمين الجنائيين وأرباب السوابق ومتعاطي المخدرات، وتم تسجيل أسماؤهم لدى المفرزة، وهؤلاء جميعاً بالأصل لم يشتركوا بأية مظاهرة، لكن «الخطةالبندرية» المزعومة كانت تسير على قدمٍ وساق.

أما المخبرون والجواسيس والذين شكّلوا عصب معلومات النظام، فقد انتشروا كالذباب في كل مكان، على عادتهم المعروفة.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، ولتبيان هذا الوضع السائد قبل الثورة، كان قد حضر إليّ أحد رجال الدين الصوفيين (الطريقة الخزنوية)، والذي صنع (زاوية[3]) للتعبد في شارع الغرّاف[4]، قَدِم للشكوى ضد أشخاصٍ تهجموا عليه.

١ بواريد : جمع بارودة ، وهي في المعجم الغني : البندقية.

٢ من أهم الشخصيات التي سوق لها النظام في بداية الثورة على إعلامه، لإظهار الثورة أنها ثورة مجرمين راجع الفصل الثام من الكتاب.

٣ **الزاوية** هي عند المتصوفة موضع معد للعبادة والإيواء وإطعام الواردين والقاصدين، وتعرف بأنها مدرسة دينية ودار مجانية للضيافة تشبه كثيرا الدير المسيحية في القرون الوسطى وهي، بهذه النعوت، أشبه ما تكون بالخوانق أو الخانقات في المشرق. ويكبيديا

٤ . شارع الغرّاف في اللاذقية ، ويقع في منطقة الرمل الجنوبي وتابع لمنطقة عملي.. زاجع ويكيبيديا

بعد قليل من وصوله، رئيس فرع الأمن السياسي ورئيس فرع أمن الدولة يتصلان بي، ويطلبان الاهتمام بالشخص والشكوى، اهتماماً بالغاً ومعاملته وكأنهم هم.

قلت له: ما شاء الله معارفك كثيرة.

قال لي: أي والله أساعدهم بأشياء كثيرة.

-آها، طيب، الله يقويكم.

-اذا أردت معلم، أعطني رقمك وأنا أخبرك ماتريده في الرمل.

-لا، شكراً، لدي مصادري الخاصة.

هذا قبل الثورة، أما بعدها فقد كان مثل هؤلاء الخنجر القذر الذي يطعن ثورة الرمل في اللاذقية، ولم يكن يريد أحد أن يصدق أنهم مخبرون في البداية، هؤلاء ولدوا وترعرعوا ضمن رحم النظام القذرة.

كان للجواسيس دور كبير في منطقة الرمل،كما في سوريا كلها، قبل أن يحاول أهالي الرمل التغلب على هذه القصة، كما حدث في قصة العميل من دير الزور[1].

في يوم ٢٠١١/٤/٢ اتصل بي قسم صليبة يُعْلِمُني بوجود أحد الأشخاص مصاباً بطلق ناري وهو في مشفى خاص، ولأن العناصر من شركاء الوطن انكفؤوا وأصابهم الرعب بعد أن خوف النظام أطياف المجتمع من بعضها وبث الرعب والتسويق لذلك عن طريق قنوات إعلامه، فقد اقتصر عملهم على مهام الحراسة ضمن القسم، وكنتُ مع بعض العناصر الذين انتقيتهم، دورية واحدة جاهزة دائماً للتدخل.

انطلقنا سريعاً باتجاه المشفى المذكور، متوخين الوصول إلى المستشفى قبل أي فرع آخر، وبعد لحظات خرج طبيبٌ من غرفة العمليات في الخمسينات عمره، ودار بيننا الحديث التالي:

- دكتور هناك شابٌ عندكم مصاب بطلق ناري.

١ راجع الفصل الخامس من الكتاب .. المندس .

بكل رباطة جأش أجاب: لا ليس صحيحا لايوجد أحد، ولم يأتي أحد.

-يا دكتور يستر عرضك إذا كان عندك مُصاب، فأخبرنا قبل أن يأتي فرع أمن ويأخذه، وحين نُحقق نحن الشرطة وننظم ضبطاً بالموضوع، حينها فقط يأخذوا معلومات عنه ولن يتجرأوا على أخذه.

-يا سيادة الضابط والله العظيم لايوجد أحد هنا. أضحكني تصرفه وقلت له : إذن مِن عند مَن خرجت، ومَن كان بالعمليات؟

- امرأة ولدت، إذا أردت أدخلك و ترى بنفسك.

- لا أخي المهم أموره بخير! أقسمت عليك أن لا تخبر أحداً إلا مثل ما أخبرتنا ولا حتى أي فرع، دكتور كل الشباب معي ستر وغطاء، كلهم من عندنا أنا من ريف دمشق وهذا من حمص وهذا من إدلب.

-إن شاء الله خير، اقعدوا لنضيفكم.

تركناه وعدنا أدراجنا إلى القسم ونحن نضحك على تصرفه ونحيي شهامته.

****

ماإن ينادي أحدهم بكلمة «مندس»، حتى تجد الجميع يركضون بلا وعي، متسائلين «أين هو؟ ،» ثم يبدأ ضرب هذا المندس المزعوم، كان الجميع كما هو الحال على أرض ملعب كرة القدم الأمريكية «التركبي»[1]، الكل يضرب الكل للبحث عن الكرة، والكرة بيد شخص يقف بعيدا!

١ Rugby لعبة رياضية تقوم على تقدم اللاعب وتخطيه الفريق الخصم دون توقف.ويكيبيديا

(المندس)
نيسان ٣/٤/ ٢٠١١

المظاهرات التي تخرج هنا وتتجمع في ساحة القدس، هي الصورة الحضارية لشعب الرمل الفلسطيني الذي طالما أنفه[١] بقية سكان اللاذقية.

تنظيم، تنظيف، ترتيب، هتاف، رفع الأكف، أهازيج، شيباً وشباباً ورجالاً و نساء، الكل هنا قد اتخذ دوراً له فيّ المظاهرة.

اليوم الاثنين حضرت سيارات البلدية على غير العادة، فهي لا تأتي إلى هنا الا كل ثلاثة أشهر إن أتت.

أتت أخيراً، وقامت باعتقال حاويات القمامة! بناءً على أمر إداري صادر عن محافظ اللاذقية! وبتوجيه من فروع[٢] الأمن! كانت تلك الصدمة والظامة الكبرى في تاريخ البشرية على مايبدو! ولماذا؟ لأن الناس كانوا يستخدمون حاويات القمامة لقطع الطرقات، والوقاية من رصاص الأمن، فهي أفضل متاريس تم اتخاذها هنا.

---

١ مختار الصحاح: و أنفَ الشيءَ ومنه : تَنَزَّه عنه وكرهه .

٢ المعجم: الغني: فَرْعَ :- جمع أفْرُع وفُروع : غُصْن ، شُعْبَة ؛ امتداد خشبيّ قصير يخرج من الجذع الرئيسيّ للشّجرة . يقابله أصل فروع الشجرة : أغصانها/ وتطلق في سورية على أفرع الأمن المجرمة.

كان واضحاً أن النظام عازمٌ على تجريد المتظاهرين من كل وسيلة حماية أو دفاع عن النفس.

لكن الشعب هنا لم ييأس، أبو أحمد أحضر غسّالة قديمة من منزله، وأبو صطيف[1] أحضر برّاداً، وأبو علي تبرع بقطع حديديةٍ طويلةٍ لسد المداخل ، وتتداعى الجميع يحضر ما لديه من متاع، كان النتيجة عكس ما رتب لها النظام، لقد ازداد التضامن بين جميع الناس، وازداد التآلف والتكافل، لم تعد هناك مشكلة بدون حل، نسي الجميع خلافاتهم، صار الرمل الجنوبي المدينة الأفلاطونية الفاضلة.

انتشرت كما قلنا سابقاً أفاعيل النظام الإجرامية، وأشاع الخوف في كل مكان، حتى خاف المواطن من ظله، ساعدته في مهمته تلك، قناة "الدنيا"[2]الأكثر متابعةً بين كل قنوات النظام الإعلامية.

في بداية الأمر كانت كلمة (مندس) تثير الشباب، أولئك الذين كانوا قد تسلحوا بعصي خشبية وسيوفٍ وقطع حديدية، حتى أني شاهدت احدى النساء تحمل شوبك مطبخ[3].

ماإن ينادي أحدهم بكلمة «مندس»، حتى تجد الجميع يركضون بلا وعي، متسائلين «أين هو؟ ،» ثم يبدأ ضرب هذا المندس المزعوم، كان الجميع كما هو الحال على أرض ملعب كرة القدم الأمريكية «الرُكبي»[4]، الكل يضرب الكل للبحث عن الكرة، والكرة بيد شخص يقف بعيدا!

١ صطيف تخفيف كلمة مصطفى تستعمل في لهجات أهل الشام

٢ قناة الدنيا إحدى القنوات الإعلامية التابعة للنظام السوري تحولت فيما بعد لقناة سما

٣ **الشوبك** أو **المدلاك** أو **النشابة** أداة تستخدم في المطبخ لرق وفرد العجين منها الخشبي ويكون على شكل أسطوانة بمقبضين.

٤ الركبي (Rugby) لعبة رياضية تقوم على تقدم اللاعب وتخطيه الفريق الخصم دون توقف .ويكيبيديا

في حقيقة الأمر كان نوعاً من إفراغ شحنات الخوف الداخلي، ومحاولة لإبراز انتصار النفس الزائف على هذا الخوف، ومع هذا تجد في كل حي بعضاً من العقلاء الذين يقفون قليلاً ويبحثون في كل الاحتمالات ، ثم يسألون : من هو هذا المندس؟ وماذا يريد؟!

كان المشهد تراجيدياً كئيباً لا يخلو من الكثير من الكوميديا .

في الساعة العاشرة ليلاً اتصل بي صديقي يفيدني بإلقائهم القبض على مندس!!

وَلَّدَت تلك الكلمة صدمةً كبيرةً لي وقلت في نفسي:»يالله شو شعبنا جاهل وبلع الطعم، مندس؟!! أليست هي كلمة إعلامية أطلقها النظام ليشغلهم بأنفسهم»؟!

خرجت بدورية شرطة بإمرتي وباللباس الرسمي (لباس الشرطة)، وتوجهنا بسيارتين حتى وصلنا إلى بلدية الفلسطينيين، كان الطريق مقطوعا بحواجز شعبية، والمئات يحملون القطع الحديدية (الشنتيانات).

قال أحدهم : توقفوا، فتوقفنا .

حضر صديقي وقال لي: هو بالداخل، انزل وحدك، لن نقبل بأن يدخل أحد غيرك.

أجبته: ألا ترى كم واحد يحمل شنتيانة، نصفهم كانوا سجناء عندي، أحضر المندس إلى هنا .

-انزل لا تخف أقسم بالله هم يحبونك ولك شعبية بينهم، ولن يرضوا أن يسلموه غير هناك.

لكنني لا زلت خائفاً.. فكرت قليلاً، ثم توكلت على الله:

- طيب سأنزل أنا و العريف محمود أبو أحمد، فوافقوا .

غابة كثيفة من قطع الحديد(الشنتيانات)، رافقني أربعة أشخاصٍ من بينهم، ومررنا في ظل هذه الغابة، أشهر أحدهم سكيناً نوع كبّاس، وهجم علي يريد طعني بها - تبين لاحقاً أنه أحد متعاطي الحبوب المخدرة كما أخبرني مرافقي-، إلا أن أحد الأشخاص عاجله بضربةٍ على يده، وقام ببطحه أرضاً قائلا: "ولاه، هذا الملازم محمد من جماعتنا ".

من شدة فرحي بهذا التصرف،ومع اختلاط مشاعر الخوف بالفخر مع الفرح، قلت له: "النقيب محمد ليس الملازم مُحمد"!

-على رأسي سيادة النقيب والله نحن نحبك.

-تحبني؟!! على شو؟!!

تابعنا طريقنا وهو يقول: "ابتعدوا للملازم محمد يا شباب".

نقيب..ملازم ليس مهماً ..المهم هنا الدخول والخروج سالماً!

في الطريق إلى (المندس) قال لي صديقي : هذا الذي ستقبض عليه جاسوس لأمن الدولة، نحن قلنا عنه أنه مندس كما تريد الدولة!

ضحكت من كل قلبي وجوارحي، قلت في نفسي :"والله يا محمد طلعت حمار وما بتفهم شيء ، قال الدولة قادرة تضحك على شعبنا ، والله شعبنا يضحك على إبليس اذا أراد".

وصلنا إلى المندس المزعوم، وكان أحد رجال الدين قد قام بتخبئته عنده في منزله، كي "لا تحدث جريمة قتل ويُتّهم الناس بالفوضى والخراب" كما قال الشيخ.

لكن المندس، كان مضروباً ضرباً مبرحاً اختفت فيه معالم وجهه، عندما شاهدني قال: «يا سيدي أبوس يدك أخرجني من هنا».

وضعت له الجامعة الحديدية (الكلبشة)، وسلّمني أحدهم مسدس قديم جداً أكله الصدأ، وأخبرني أنه وجده مع هذا

المندس، فطلبت من أحدهم إدخال سيارة الشرطة إلى هنا، لأننا لن نستطيع إخراجه في ظل غابة الشنتيانات، وبعد ترددٍ بسيط، دخلت سيارة الشرطة، وقمت بوضع المندس فيها، وأثناء خروجي باتجاه القسم، صار الجميع يهتف (بالروح بالدم نفديك ملازم محمد)!

ياجماعة ..صدقا أنا نقيب!

لقد اعتقدوا أني خلصتهم من مصيبة كبيرة !! يا لخوفهم الذي زرعه النظام في كل مكان !!، ليتهم يعلمون أنهم هم الذين خلصوني ، وأعادوا لي لي ثقتي بنفسي بعدما كنت خائفاً منهم.

-«لا يا شباب لا تهتفوا هكذا».. قلت لهم..

فغيروا هتافهم إلى (بالروح بالدم نفديكي سوريا، الله سوريا حرية وبس).

بعض الأشخاص حاول رفع السيارة وحَمْلها، ونحن نسير ببطئ شديد بسبب امتلاء الشارع بالناس.

قال لي صديقي همساً: افرح يا عم! أنت وجمال عبد الناصر حملت لهم السيارة.

كانوا يريدون التعلق بقشة، كانوا يبحثون عن قائد، عن مُخَلِّصٍ مُخْلِص!

عدت إلى القسم، حيث كان بانتظاري المقدم (فادي)، وطلب مني العميد محسن تسليمه المندس، بعد أخذ تفاصيل هويته وأقواله الأولية، فأنكر كل ما قيل عن أنه مندس أو مخرب، وأنكر معرفته بالمسدس المهترئ، وتبين أنه شخص من دير الزور مقيم في منطقة الرمل منذ ثلاث سنوات، ثم

قمت بتسليمة للمقدم فادي من الأمن السياسي.

في اليوم التالي حضرت دوريةٌ من فرع الأمن السياسي بإمرة المقدم فادي نهاراً، وبعد اتصالات، دخلنا إلى منزل المندس، فوجدنا زوجته ترتدي خماراً! وفتشنا منزله فوجد المقدم فادي عدة كتب دينية، ومنها موسوعة الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولم نجد أي سلاح، قام المقدم فادي بمصادرة الكتب وأخذها للفرع.

بعد حوالي عشرة أيام، اتصل بي المقدم فادي وقال لي : "لك هذا طلع عميل لأمن الدولة، ونحن أشبعناه تعذيبا وضربا ، يا أخي تأكدوا قبل ما تبلونا بأحدهم" وأغلق سماعة الهاتف.

تم تسليم المندس لاحقاً إلى فرع أمن الدولة، وتم إطلاق سراحه فيما بعد، حيث شوهد في منطقة الرمل وهو يأخذ أغراضه ويقوم بتفريغ منزله، ورحل إلى منطقة أخرى لا اعرفها.

***

لقد انتصر الرمل الجنوبي انتصاراً كاسحاً على النظام في هذه الجولة.

وانتصر عليّ أيضاً حين اعتقدته جاهلاً!

*****

في ظل هذه «الغابة» التي تسمى في سورية «وظيفة سيادية»، كنا نعيش إحدى صور النفاق البشري.

لقد داسوا في بانياس رؤوسنا وأجسادنا جميعاً، وبدأ الشعور بالغضب الشعبي العارم يبلغ أوجه.

بانياس[1] الحرة
الخميس ٢٠١١/٤/٦

قادني حظي "التعيس" في مهنتي هذه، إلى معرفة معلومات ومصادقة أشخاص، لا يربط بيني وبينهم سوى هذه النجمات النحاسية التي وضعت على أكتافي، في كثيرٍ من الأحيان تأخذك الأقدار لتعيش بعيداً عن مدينتك التي خلقت فيها وما تحويه من عادات وقيم وثقافةخاصة بها، تأخذك بعيداً عن عقيدةٍ تأصلت فيك و مكانٍ لا يشبهك و أفراد ماكنت تلقي لهم بالاً. في ظل هذه "الغابة" التي تسمى في سورية "وظيفة سيادية"، كنا نعيش إحدى صوز النفاق البشري ، حيث كلمات (مُعَلِّم، سيدي، احترامي) هي جزء من أنفاسك النفاقية اليومية.

لو عشت كما كنت أحلم صغيراً، عندما كان يسألني معلمي في مدرستي عما سأفعله حين أكبر، لكنت -كما يتمنى كل أطفال سورية أن يكونوا- طبيباً أملك عيادة في مدينتي الصغيرة، ولم أكن أعرف وقتها سوى جيراني أبا محمود وأبا مصطفى، وكان قد انتهى كل هذا القهر ، أو أن هذا ما أتصوره.

---

١ بانياس هي مدينة ساحلية سورية تُطلّ على البحر الأبيض المتوسط وتتبع محافظة طرطوس، كانت من أوائل المدن المنضمة للثورة السورية. ويكيبيديا

كأن هناك يداً خفيّةً تحاول وضعك في مواقف وأماكن لا تنتمي إليها ، كي تحرق كل نفس من أنفاسك. ثم ما معنى أن تعرف الأمور وتمتلك كل تلك المعلومات و أنت تقف كشاهدة القبر لا تفعل شيئاً.

الساعة الآن الحادية عشرة ليلاً، قمت بإيصال صديقي من الكورنيش الجنوبي إلى دوار الزراعة، مررت من طريق الحرش، كان الجو كما المقبرة.. صمت رهيب في يوم ربيعي لطيف. هل جربت السير في طرقات فارغة و الحال كحالنا اليوم؟!! ثورة تهزّ أعتى نظام أمني! اجتمعت كل شياطين الأرض لتخلق كل مفصل فيه!عندها ستعرف أن كل ما حولك يتربص بك، حتى حفيف أشجار النخيل المنتشرة هنا في طريق الحرش.

عواء الكلاب الضالة يؤنسك، وصوت إنسان يجعلك تتلفت في كل الإتجاهات.

وصلنا إلى شارع الزراعة من جهة مطعم فينيقيا، لاحظنا تجمع عدة أشخاص بين منزل كمال الأسد[1] ومنزل محمد شاليش في بداية الشارع في الجهة المقابلة، قال لي صديقي: «هذا أبو جعفر محمد شاليش[2] خلينا نسلم عليه وأعرفك عليه.

– من وين لوين لنسلم عليه، لاأريد هذه المعرفة، تعرفني لا أحبهم.

---

١ كمال الأسد: هو ابن عم بشار الأسد.. أبوه إسماعيل الأسد الأخ الغير شقيق لحافظ الأسد. كمال الأسد يشغل منصب رئيس غرفة وصناعة اللاذقية ووكيل بشار الأمني في الساحل والداعم الرئيسي للشبيحة..جريدة زمان الوصل وموقع الشام اليوم
http://www.alshamtoday.net/post/read/6800

٢ محمد شاليش أبو جعفر المسؤول الرئيسي عن الشبيحة في اللاذقية وهو خال حافظ منذر الأسد ابن عم بشار الأسد ويكيبيديا

- بالله عليك ارجع ، الرجل صاحبي اشتغلنا سابقاً بتهريب الدخان[1] سويةً.

بعد تأفف مني، عدنا إلى جوار منزل كمال الأسد وبقيت في السيارة، نزل صديقي من السيارة وشاهدت شخصاً من المجتمعين يجدّ في سيره كي يصل إلينا، وصل قبل أن يمشي صديقي خطوتين، واستندا على سيارتي أهلاً كيفك، ليش آبقى نشوفكم.-

أهلاً أبو جعفر كيف حالك؟ ، والله مشاغل الدنيا. -

تبادلا قُبل اللقاء، شابٌ قميء يشعرك بالغثيان قصير نوعاً ما، بطين[2]، يحلق شعره كاملاً.

-من هذا في السيارة؟، قال أبو جعفر.

-والله صاحبي النقيب محمد بقسم الرمل الجنوبي، على كيف كيفك، قال صديقي.

اقترب محمد شاليش مني وتبادلنا السلام كيفك سيادة النقيب شو أخبارك. -

-أهلا أبو جعفر، كيفك أنت.

- "لك هل الأخوات الشرموطة يزعجوكم بعواهم، قال بدهم حرية يجعل أير الكر في قوت أماياتهن"[3]، ثم شتم الرب، وتابع: «ياالله هانت[4]».

أجبته: "خليها لربك يارجل".

---

١ أغلب آل الأسد وأقربائهم من آل شالييش عملوا كمافيا لتهريب الدخان والخمور والسلاح تحت أنظار النظام.راجع الشبيحة في ويكيبيديا

٢ رَجُلٌ **بَطِينٌ** : عَظِيمُ الْبَطْنِ .معجم المعاني الجامع

٣ شتائم جنسية، بلهجة جبلية، قذرة وقميئة جدا ،تتعلق بإهانة الأمهات، والمَسّ بالشرف.

٤ هان الأمر، اقترب وسهل.

ماذا يمكن لمثلي أن يقول في مثل هذا الموقف؟!! هم قادرون على استفزاز كل شعرة ومسامة في جسدك بشتائمهم البغيضة، التي تعبر عن أحقاد وحوش خرجت من أدغال جبال كريهة.

قد أفلح من ملك نفسه في هذه المواقف.

أبو جعفر قام بوداعنا وأعلم صديقي أنه في عجلة من أمره لأنه يريد الذهاب إلى بانياس.

ودعنا أبا جعفر ومررنا من أمام منزل كمال الأسد وصديقي يسلم على الجميع، كان الجميع يحملون أسلحة وجُعباً[1]، قطيع من الوحوش المتعطشة للدماء.

قال لي صديقي: هل رأيت الشاب الصغير؟

قلت له: نعم.

قال لي: «هذا حافظ الأسد بن منذر[2]»، ثم أردف قائلاً: «الله يجيرنا»، فهؤلاء ويقيناً لايجتمعون إلا لأجل مصيبة.

لم ندر ماهي المصيبة إلا لاحقاً من خلال الأخبار على قنوات الأخبار! فبعد حوالي ساعتين هجم هؤلاء المتوحشون على منطقة بانياس، وبدأوا بإطلاق النار العشوائي في كل مكان هناك، وتقصّدوا إطلاق النار على أحد المساجد، وجرح العديد من الأشخاص.

---

١ .جَعْبَة :- جمع جَعَبات وجِعْبات وجِعاب : وعاء السِّهام والنِّبال ، وقد يجوز إطلاقها اليوم على ما يضع الجنديّ فيه الرصاص :- قاتَل حتّى آخر سهم في جَعبته

٢ أحد أبناء عمومة بشار الأسد وأحد قادة الشبيحة في سوريا ، وهو ابن منذر ابن جميل الأسد شقيق الرئيس الراحل حافظ الأسد ، وهو يتمتع بمكانة خاصة بين العائلة كونه الوحيد الذي يحمل اسم حافظ.

في اليوم التالي قال لي صديقي : ألم أقل لك أنّ هؤلاء سيقومون بمصيبة؟!

أنكَر التلفاز السوري في اليوم التالي كل ما حصل، كالعادة، وقال عما حدث أنه دعاية مغرضة من قنوات الفتنة!

بتاريخ ٢٠١١/٤/١٢ دخلت القطعان الحاقدة مدينة بانياس، وروّعوا حتى الجَنين في بطن أمه، أصوات (علي عباس، و أبو هادي)[١] ولهجتهم السادِيّة التي خبرنا وحشيتها في وظائف الدولة، تتخر عقولنا بدلالاتها الجنسية التي تصمّ الآذان، وقذارتها المغرقة في الحقد والرجس ،اعتقلوا الشباب والرجال وقيدوهم ورموهم في ارض ساحة قرية البيضاء، وقاموا بدوس رؤوسهم وأجسادهم، وأوسعوهم ضرباً وإذلالاً، وانتشرت بعد ذلك فيديوهات الحادثة التي ادّعت المواقع الالكترونية للنظام أنها وقعت من هجوم للبشمركة على قرية في العراق! إلا أن الأمر افتُضِحَ بالفيديو الشهير[٢] الذي ظهر فيه عناصر الأمن هؤلاء عينهم وهم يدوسون على المواطن (أحمد بياسة) الذي أثبت بصورة بطاقته الشخصية أنه من قرية البيضاء، وأن هذا الهجوم وقّع فيها، وليس في العراق كما ادّعى النظام.

تلك المشاهد كانت سكيناً دخلت في أضلعنا، وحركت آلاماً مدفونة منذ سبعينيات المقبور حافظ.

لقد بلغت قلوبنا الحناجر، ولم يعد ينفعنا حذرنا، ولا عقلنا الذي حافظنا عليه في هذه الوظيفة النتنة.

العريف محمود يدخل إلى غرفتي وهو يشتم الجميع، وأنا

---

١ علي عباس وابوهادي هما من عناصر الأمن الذين دخلوا مدينة بانياس السورية يوم ٢٠١١, ٤, ١٢ ، وأذاقوا أهلها مرّ الهوان والإذلال.

2. https://www.youtube.com/watch?v=GxUJYz_7sjQ

كالمخبول أجلس في كرسيّ العفن مصدوماًمن هول مافعلوه هناك في بانياس.

لقد داس (علي عباس) رؤوسنا وأجسادنا جميعاً، لقد داسونا بأرجلهم.. وبدأ الشعور بالغضب الشعبي العارم يبلغ أوجه.

عاشت بانياس الكابوس الأكبر، بحكم أنها مدينة سنِّيَة صغيرة تقع وسط قرى قطعان الوحوش تتلمظ للدماء، قِردانٌ[1] لم تشبع بعد من امتصاص ما تبقى من دمائنا، لقد أراد لها النظام أن تكون عبرة لكل الساحل السوري حتى يبقى في حظيرة الرئيس وعائلته من المجرمين.

ما جعلني استصغر نفسي وألهب فيَّ مشاعر لا يعلمها إلا الله، هي مقولة امرأةٍ عجوزٍ من بانياس في إحدى المظاهرات بثتها كل القنوات: (بانياس حرة وأنا حرة بنت حرة).

كان الموت في بانياس ليس هو الخسارة الكبرى، الخسارة الأكبر هي ما بدأ يموت داخلنا ونحن نقف كالبلهان نتفرج، لا نستطيع حتى أن ننطق بكلمة واحدة.

لقد غدت ضحكة الأطفال لا معنى لها، ونظرات الناس تقتل فيك الرغبة في الحياة.

بعد الحادثة قامت قناة الدنيا بعمل لقاءات تلفزيونية في قرى بانياس مع بعض الأشخاص من (شركاء الوطن)، حين سألت مذيعة قناة الدنيا التابعة للنظام عن رأي أحدهم بالمظاهرات والمتظاهرين فأجابها : "ماذا يريد هؤلاء، هم يعيشون أحسن منا " وهو في كلامه قد فرق بين بقية الشعب السوري(هؤلاء)، وبين طائفة النظام (منا نحن).

***

[1] في المعجم الوسيط: القُرَادُ دُوَيْبَّةٌ متطَفِّلَة من المَفْصِلِيَّات . ذات أربعة أزواج من الأرجل ، تعيش على الدوابّ والطيور وتمتصُّ دَمَها.

لقد نجح النظام بإيصال رسالته إلى المنتمين له حتى يفرق الشعب عن بعضه البعض طائفياً ، بين من هم معه وبين من هم ضده، ليس معه، كانت الرسالة هي :

"نحن نحن، وهم هم"!!

سؤال استفز بحثي عن هويتي، سؤال أقابله بسؤال أحسن منا!! فمن أنتم ومن نحن يا ابن الكلب ؟!!

*****

وكأن نداءً خفياً صدر لهم فأضحوا كأنهم حُمرٌ مستنفرةٌ فرّت من قسورة ، وكانت الثورة السورية العظيمة هي ذلك الأسد الهاجم عليهم في نظرهم.

تحول الجميع إلى بيادق في شطرنج النظام، وخناجر تنخر جسم الوطن

مجزرة بن العلبي ساحة مشروع صليبية
٢٠١١/٤/١٧

بعد خطاب بشار الأخير في ٢٠١١/٣/٣٠ بدأ الهتاف بإسقاط النظام يعمّ المدن السورية، وكأنك تشاهد روحاً واحدةً من درعا حتى اللاذقية،هتافٌ واحدٌ ونشاطٌ واحد. يعتقد الناس أن النظام حرمهم من الوظائف العامة، ومن الانخراط في مفاصل الدولة الحساسة، وأن أيّ شخصٍ من طائفة الرئيس (شركاء الوطن) هو موجودٌ في أي وظيفة عامة وفقط، كي يمثل دورالرقيب والمستفيد من انتمائه الديني للنظام، لكن الذي خدث بعد المطالبة بتنحي الرئيس، أن الأخير قام بإسقاط الدولة مباشرة بعد خطابه الأخير!

وهناك فارق بين الدولة كمؤسسات بما تقدمه من خدمات، وبين النظام المتحكم في مفاصل الدولة.

هذا الفارق حوَّل كل موظف (شريك وطن)، أو كل منتفع منافق، إلى سلاحٍ جُنِّد لخدمة النظام، حتى صرنا نرى أنه حتى البائع المتجوِّل وسائق التاكسي والزبّال[1]قد وضعوا أنفسهم لخدمة فرع أمن ما، وصاروا يأتمرون بأمره، وكذا الحال بالنسبة لأطباء وممرضي المشافي الحكومية وكل دوائر الدولة بلا استثناء.

١ المعجم الرائد: الزَّبَّالُ : من يجمع القُمامة .

كذلك عناصر الشرطة هنا تَجَنَدوا لخدمة فرع الأمن السياسي أوبقية الضابط من شركاء الوطن، وكان عملهم الشرطوي عملاً ثانويا.

وكأن نداءً خفياً صدر لهم فأضحوا كأنهم حُمرٌ مستنفرةٌ فرّت من قسورة، وكانت الثورة السورية العظيمة هي ذلك الأسدالهاجم عليهم في نظرهم.

كانوا يُعْلِمون رئيس القسم بأنهم منصرفون بقولهم: "يا سيدي عندي شغل طلبني المقدم فادي أمن سياسي"، "يا سيدي طلبني المقدم سامر"، "طلبني العقيد طه" ، "طلبني معاون قائد الشرطة"، "طلبني الضابط فلان"... تحول الجميع إلى بيادق في شطرنج النظام، وخناجر تنخر جسم الوطن، وجسم المؤسسة التي ينتمون لها.

بتاريخ ٢٠١١/٤/١٦ دخل شابٌ إلى المشفى الوطني باللاذقية من حي بستان الحمامي[1] مصاباً بطلقٍ ناريٍ في قدمه، إثر استهدافه من قِبل من يُسَمَّوْن «مجهولين»، ونحن في قسم الشرطة هُنا نفهم من هذه التسمية، أن كلمة «مجهولين» تعني أن عنصراً من الجيش أطلق النار على أحد المواطنين من قبيل التسلية أو الخوف.

خرجت برفقة دورية والعريف محمود كالعادة لتكشف عن الحادثة و لأخذ أقوال الجريح، حيث وجدته في الطابق الأول في المستشفى الوطني، وقد لُفّت رجله بشاش طبي، وتبين أن الطلق الناري أصابه في عنق الفخذ، وتم إسعافه إلى المشفى المذكور، وأخبرني أنه تمّت إصابته أثناء عودته من مكان عمله

---

١ حي بستان الحمامي هو أحد أحياء اللاذقية وتابع لمنطقة الرمل الجنوبي منطقة عملي.

في صليبة[1] إلى منزله في بستان الحمامي ، و بعد أن قطع حاجز الجيش ووصل أمام المنزل، سمع صوت إطلاق النار وأصيب برجله على أثرها، ولا يعلم من أطلق النار.

في الصباح وحوالي الساعة الحادية عشرة، أعلَمَنا المشفى أن الشاب توفي أثر نزيف داخلي حاد!

أصابتني صدمة وقلت: ياللهِ ما هذا؟!!، البارحة أخذنا إفادته وما كان به شيء، كيف مات؟!!.

ذهبت برفقة دورية مرة أخرى إلى المشفى، وتم الكشف على الجثة وأكد الطبيب الشرعي وفاته أثر نزيفٍ حاد، وسُلمت الجثة لوالده ليدفنها، شابٌ بعمر الزهور حضر سريعاً وغادر وكأنه لا شيء.

كانت قهقهات وضحكات الممرضات والأطباء، والغزل الحيواني فيما بينهم أمام براد الموتى، تشعرك بالغثيان وتستفز مشاعرك.

ياالله ما هؤلاء ؟!! كيف يفكرون؟ كيف تحجروا؟!! أليسوا بشراً ؟!! كيف استطاعوا شنق إنسانيتهم بهذه السهولة ؟!! ألا تثيرهم دموع الثكلى المتكومة على جسد ولدها في الداخل؟! أوليس لديهم أطفال؟! هل حقاً كنا نعيش برفقة هؤلاء في وطنٍ واحد؟!!

ضَحِكُ هؤلاء في مثل هذه المواقف كان كالخناجر التي تطعن أرواحنا.

بعد الكشف على المتوفي و حوالي الساعة الثالثة أو بعدها بقليل، خرجنا من المشفى، فإذا بصوت المظاهرةهناك يملأ المكان " سلمية سلمية. . بالروح بالدم نفديك يا شهيد".

---

١ هو أحد أحياء مدينة اللاذقية العريقة ويوصف بأنه معقل أهل السنة، ونال قسما كبيرا من توحش النظام ، فقتل واعتقل وهجر من سكانه الخلق الكثير ويكيبيديا

كان الناس قد تجمعوا في الساحة القريبة، بعد دفن الشهيد "عمر صمودي"، وهو شابٌ مغتربٌ في الخليج من حي صليبة ، حضر إلى سوريا بغرض الزواج والعودة ، إلا أن يد الأمن القذرة اغتالته بالقرب من منزله ، وأثناء التشييع وبالقرب من المقبرة في مفرق شارع الزراعة، تجمعت الوحوش الطائفية من آل الأسد وشاليش وكل كلابهم الضالة،وتعرضوا لموكب التشييع ، على الرغم من أن المتظاهرين قد أخذوا ضمانات بعدم التعرض لهم، إلا أن الوحوش تبقى وحوشا.

بعد الدفن والعودة إلى صليبة ، تجمعت الجماهير الملتهبة مشاعراً والمحروقة قلباً والمملوءة غضباً ، والتي بدأت تشعر بأن كرامتها أهدرت ، وكبريائها سُحِق ، تجمعوا في الساحة بالقرب من محل "بُنّ[1] العُلبي»[2] في حي صليبية. لقد خلع الشعب هنا جلود الأغنام التي ألبسهم إياها المقبور حافظ ، عندما شقّ صليبة السُنّيَة بطرقات ليفرق بين سكّانها وأحيائها ويسهل عملية السيطرة عليهم.[3]

حطم الشعب قوقعة صمته وكسر جرّة الخنوع، لقد أحرق سفنه كلها وقرر الجميع أن يكون طارق بن زياد[4]، الكل شعر بإنسانيته، (أقسم بالله أنا إنسان مالي حيوان)[5]، هذا الشعور

---

١ في المعجم الوسيط: بُنّ: ثَمَرُ شَجَرَة البُنّ ، يُحَمَّص ، فَيَتَحَوَّلُ لَوْنُهُ إلَى أسْوَدَ مَفْتُوح ، وَيُطْحَنُ وَيُحَضَّرُ مِنْهُ مَا يُسَمَّى بالقَهْوَة بَغْلِيه في الإبْرِيق .

٢ ويطلق عليها شعبيا ساحة «بن العلبي» نسبة الى المحل الشهير لبيع البن والقهوة. ويكبيديا

٣ كانت صليبة أحياء شعبية قديمة متلاصقة، قبل أن يقوم النظام بشق طرق ضخمة بين أحيائها في بداية التسعينات.ويكبيديا

٤ القائد المسلم التاريخي الشهير الذي فتح الأندلس (إسبانيا حاليا) .ويكبيديا

٥ عبارة شهيرة أطلقها أحد االمتظاهرين ويدعى «محمد أحمد عبد الوهاب» /قرية خربة الجوز قريبا من الحدود التركية-السورية/ في الثورة السورية في رده على ممارسات النظام وصارت أيقونة لكل الشعب الثائر.

https://www.youtube.com/watch?v=RdaWeNy_PmA

التحرري من كل عبودية أعظم من أن يوصف بكل كلمات العربية..

هل جربت أن تكون حُراً محرراً في بلدٍ يُشنق فيه الإنسان، لأن شكله الخارجي –على سبيل المثال– لا يعجب ضابط الأمن؟!! وهل عشت تلك المتعة التي لا تجاريها متعة أخرى؟!! أقاموا صلاة الغائب، وصلّوا العصر، وبدأت المظاهرة الحاشدة، وانطلقت أنغام الهتافات التي تداعب الروح والفكر والجسد.

وأنا في السيارة برفقة السائق، توقفنا بعيداً نطل على ساحة صليبة حيث المظاهرة، كان الناس يملكون كل شبر وحبة تراب في ساحة صليبة والشوارع المؤدية إليها، أمواجٌ كأمواج البحر الذي خلفنا تتلاطم كإيقاع موسيقى كلاسيكية.

مجموعة من الضباط والمجندين شكلوا عدة أرتال أمامي وعلى بعد عدة أمتار، لم أستطع سوى تمييز الرُتَب، أما الأشكال ووجوه القتلة فلم أتمكن من مشاهدتها.

وقف عميدٌ في الجيش يترجّى الجميع أن يعودوا إلى منازلهم ويفضّوا المظاهرة الضخمة،لكن من سيستمع إليه هاهنا؟!! الألم يطغى على كل صوت ، وعشق الحرية ما بعده عشق.

فجأة ضابط برتبة عقيد ويرافقه مقدم، صاح بأعلى صوته الحاقد الطائفيّ البغيض وقال:" ابتعد يا سيدي، هَدول أبيفهموا بالحكي ؟!!"، ثم أطلق نار بندقيته الكلاشنكوف باتجاه مباشر نحو المتظاهرين.

وبدأ إطلاق النار الكثيف من الضباط والمجندين وأسطح البنايات العالية حيث يتمركز قناصوا المخابرات الجوية.

هل هؤلاء كانوا ينتظرون بندقية العقيد ليبدأوا توحشهم؟! أو هل كانت تلك كلمة السر ليفعلوا ذلك؟!! لا أدري.

وبسبب خوفي وخوف من معي من رصاصة طائشة، أو أن نكون أكباش فداء يريدها النظام ليتهم المتظاهرين بدمائنا، وبعد رؤيتنا كيف توحش هؤلاء وكيف كانوا يطلقون النار عشوائياً لا بل كانوا- في نظري - يستمتعون بالقتل، فطلبت من السائق العودة بنا إلى قسم الرمل الجنوبي من طريق المشفى، فالمرفأ، فالكورنيش الجنوبي ، طريق الحرش، دوار اليمن، الكراجات، فسوق الجمعة، فالقسم.[1] كانت مشاعري مختلطة بالقهر والعجز والخوف هناك في مكتبي بقسم الرمل الجنوبي.

صليت ودعوت بكل دعاءٍ أعرفه أن يحمي الله شعبنا، أغلقت باب المكتب وبكيت ، بكيت جبني وخوفي ، بكيت رجولتي الضائعة التي كنت أحاول إثباتها طيلة السنوات الماضية. "يا رب خلصني أو خذني إليك وريحني ، أنا هنا كقطعة الأثاث المرمية في المكتب"...

لماذا لم أفعل شيئاً هناك، ومالذي أملكه لأفعله وهؤلاء يملكون كل الأسلحة، وهل أستطيع إيقافهم وحدي، سيقتلوني كأنني لا شيء وسيتهمون المتظاهرين السلميين بذلك شعور العجز واليأس وتبريرهما وشعور انفصام الشخصية يلاحقني، بين من أنا و بين ما أنا عليه ؟!!

أنت تبكي يا محمد؟؟ شكراً لعواطفك التي لا تقدم ولا تؤخر!

هل جربتم الحديث مع النفس اللوامة؟ ستجدون أنه الحديث الأصدق والأكثر إيلاماً.

بعد ساعات عدت إلى قبري الوظيفي، ناديت للنقيب عَلِيّ ضابط الجيش:

---

١ جميعها أسماء شوارع ومحلات وأماكن في اللاذقية.

-شو يا عَلِيّ شو صاير بصليبة؟؟

-والله أبعرف [1]، بس يقولون بالجهاز اللاسلكي أن هناك إطلاق نارٍ كثيف، وهناك مسلحون، وقتل ناس، وخربانة الدنيا.

-الله يستر.

بعد أيام سألت عَلِيّ هذا عن العقيد والمقدم، الذين كانوا في صليبة وقت المجزرة -بطريقة غير مباشرة طبعاً، فأخبرني أن الجميع من طائفة شركاء الوطن، وكلهم من الفوج (٥٣) قوات خاصة، وغابت عني أسماؤهم.

كان وقع المجزرة رهيباً ، علمت أن ما بين حوالي ثمانين شخصاً قتلوا فيها، مع أن أحد العناصر في الأمن العسكري يدعى سامي أبو حيدر،والذي شاهدته بعد عدة أشهر وهو بحالة السكر، في الكورنيش الجنوبي قهوة شحود،أكّد لي : "أنه تم دفن ١٠١ شخص في ذلك اليوم في أحد ضواحي اللاذقية، وعلى الأغلب طريق بيت يا شوط أو البصة.[2]

علمت كذلك من مصادر أخرى في الأمن والجيش، أنه تم نقل بعض الجثث بسيارات القمامة وتم فرمها وإحراقها في منطقة البصة.

لقد أرادها النظام مجزرة لعدة أسباب ، منها تحييد أحياء المدينة عن الثورة، وحصرها فقط في الأحياء الشعبية والقرى، وكانت رسالةً واضحةً لكل من سولت نفسه بهدم صنم النظام في داخله.

***

---

١ لهجة جبلية ساحلية بمعنى لا أعرف.

٢ مناطق في ضواحي اللاذقية وهي مناطق زراعية يسكنها غالبية علوية.ويكيبيديا

كدت أن أنسى في زحمة هذا الهول ،أهم معلومات اليوم ، وهو أن اليوم يوم عطلة بمناسبة ذكرى الجلاء ، جلاء الاستعمار الفرنسي عن سوريا.[1]

الاستعمار الفرنسي الذي كان يتوقف جنوده ، حين يدخل المتظاهرون المحتجون ضده إلى ساحة أي مسجد أو كنيسة احتراماً لحرمة المكان .

كم هو مسكين وتافه[2] هذا الاستعمار؟!! فلم يورثنا شيئاً مادياً محسوساً، ولا حتى أغنية لنغنيها أو نهيقاً في لبوس أغنية كأغنيات «عَلِيّ الديك»[3]. لم يورثنا سوى (حافظ الأسد) حتى نترحم على أيام فرنسا كاستعمار.

لقد انتهى كل شيء... احترقت روحي وعقلي وفكري.

لقد آن الآوان لي أن انتفض.

*****

١ جلاء آخر جندي الفرنسي عن سوريا كان عام ١٩٤٦/٤/١٧ بعد انتفاضة الاستقلال.. ويكبيديا

٢ :تافهركيك ، لا قيمة له ، معجم المعاني

٣ مغني شعبي سوّق له النظام إعلاميا كونه من جبال اللاذقية وينتمي له طائفيا، حيث لا موسيقى ولا كلمات.

بدأ الإنسان يستفيق في هذه الجثث التي كانت تمشي على الأرض طيلة الأربعين عاماً التي مضت.

من صنع غسان سلواية أبو نظير (ربي ييسر)[١]
اللاذقية ٢٠١١ نيسان إبريل

النار تشتعل في كل مكان، والغضب الشعبي من تعاطي عصابات النظام مع المظاهرات السلمية قد بلغ أوجه، الشعب يغلي هنا حولنا، الشعب يتظاهر في كل مكان، لقد انكسر وعاء الصمت الذي كان يملأه الشعب طيلة ثلاثين عاماً، الشعب يقول كل شيءٍ الآن.

إنني أشاهد بأم عينيّ اليوم إنهيار حافظ الأسد وإمبراطورية الخوف التي بناها لبنةً لبنة .

أرقب الأحداث في منطقة الرمل الجنوبي وأسأل نفسي: «يالله كيف استطاع هذا الشعب المُغيب حتى في رغيف خبزه، والمغرق في الجريمة والمخدرات، وكل القباحة التي روّجت لها الدولة، كيف استطاع أن يصنع مظاهرات في قمة الحضارة والتنظيم واللباقة ؟!! كيف استطاعوا تنظيف هذه الطرقات وساحة حي القدس وتحويلها إلى حديقة أجمل من منزل المحافظ القريب من هنا؟!»

١ غسان سلوية تم إظهاره في وسائل إعلام النظام على أنه المحرك الفعلي وقائد التظاهرات في اللاذقية ، وأحدث ضجة في كل سوريا بسبب سذاجته وطريقة تعبيره. راجع يوتيوب
https//:www.youtube.com/watch?v_=VQsc_qa1-g&t12=s

لقد صار الشعب دولةً بجميع خدماتها، بدأ الإنسان يستفيق في هذه الجثث التي كانت تمشي على الأرض طيلة الأربعين عاماً التي مضت.

كان الكابوس يؤرقني مما ستفعله الأجهزة الأمنية، كما يؤرق عصابة النظام التي تبحث عن مخرج لمأزقها.

وفي تتمة لخطة النظام في التعامل مع الثورة ، فقد قام النظام وفي قنوات إعلامه ببث إعترافات كاذبة لأشخاص جلبهم من أرباب السوابق والمجرمين الجنائيين، وأبرَزَهُم كمحركين للأحداث وقادة للتظاهرات، بهدف تشويه الثورة والتنفير منها، وكان من أهمهم المدعو «غسان سلواية أو أبو نظير»، الذي بثت قناة الدنيا والقناة الرسمية اعترافاته وسُوق له تسويقاً كبيرا، وغسان هذا، شاب من منطقة سكنتوري[1]، سجين سابق، موقوف لدينا لعدة مرات بجرم السرقة الموصوفة وتعاطي المخدرات والإتجار بها،ناهيك عن «جرم الإيذاء»[2] أيضاً، وقد أشرفتُ على التحقيق معه في معظم هذه الجرائم، محكوم سابق لمدة سبع سنوات بجرم السرقة الموصوفة والمخدرات، شخصية دونية بامتياز، لا يملك هدفاً في حياته، يقوم بسرقة المنازل بشكلٍ خاص، وما يجنيه من السرقة ينفقه على تعاطي المخدرات ، ويقوم أحياناً بالترويج لصالح أبو علي الكبير تاجر المخدرات الأول، الذي يقيم إلى جواره في بستان الليمون، وفي أغلب أوقاته تجده في شارع

---

١ أحد أحياء اللاذقية ضمن قطاع الرمل الجنوبي

٢ يعرف الإيذاء لغوياً : أذى فلان وأذاه ، وأذية ، إذا أصابه الأذى والأذى : الضرر غير الجسيم آذاه يؤذيه إيذاء : إذا ألحق به الضرر وأصابه به .

وفي الاصطلاح القانوني : اعتداء يظهر بفعل او بأمتناع عنه يؤدي الى الاخلال بالسير الطبيعي لوظائف الاعضاء او ينتقص من تكامل الجسد او يوجد آلاماً لم يكن يشعر بها المجني عليه من قبل او يزيد هذه الالام ويمكن أن يكون الإيذاء مادياً أو معنوياً .قانون العقوبات السوري في المواد ٥٤٠ وحتى ٥٤٩ ..مجلة المحامون

بستان الحمامي جانب بسطة الخضار أمام ساحة منزله مقابل المختار جود، في ساحةٍ تشرف عليها منازل عديدة ومنها منزله، تربى في عائلة مبتلاة بالسقوط ، وقد ألقيت القبض على بعضهم بعد مذكرة إحضار[1] لقاضي التحقيق بجرم الدعارة.

مع بداية الشهر الرابع وأثناء وجودي في مكتبي في قسم شرطة الرمل الجنوبي ، كانت المعلومات تتوارد إلى القسم من بعض الأشخاص في المنطقة وبعض المخبرين بأن غسان سلواية يحمل بومبكشن[2] ولديه مسدس حربي، وأنه يُبَيِّتُ نيةً سيئة، وكوننا لا نستطيع الدخول إلى داخل المنطقة،لقيام المتظاهرين بقطع الطرقات بعد مسرحية النظام بوجود (مندسين)، وخوفهم من قيام الأمن بإطلاق النار على المظاهرات ، فلم يُسمح لأحد من دوائر الدولة الدخول إلا حسب مزاج الناس ومن يختارونه.

تم ترصد وملاحقة أبو نظير من بعيد بهدف إلقاء القبض عليه، عن طريق المخبرين وبعض الأصدقاء، لكننا لم نستطع إلى ذلك سبيلا.

في أحد الأيام وبعد خروج مظاهرة ضخمة في حي السكنتوري، قام غسان سلواية بحرق باص النقل الداخلي في الشارع العام، ومن ثم التهجم على محطة القطار، والهجوم على قسم شرطة صليبة، الذي لا يبعد عن منزله كثيراً من جهة حي الطابيات [3]، وذلك برفقة بعض أرباب السوابق من حيّه،الذين نعرف ماضيهم نحن وأقسام الشرطة وفرع الأمن الجنائي وفروع الأمن وحتى كل أهالي المنطقة .

---

١ إحدى المذكرات العدلية التي يصدرها قاضي التحقيق. مجلة المحامون

٢ بندقية تستخدم للصيد، قامت مفرزة الأمن العسكري بتوزيعها على بعض المطلوبين لتنفيذ مهام للإضرار بالثورة . راجع الفصل الرابع من الكتاب

٣ صليبة والطابيات أحياء في مدينة اللاذقية ضمن قطاع عمل قسم صليبة ويكيبيديا

ازداد إلحاحي للقبض عليه، كما حاول قسم صليبة البحث عنه، وصدرت إذاعة بحث[1] مؤرخة بتاريخ يوم الإعتداء على القسم و حرق الباص، والصادرة عن قسم شرطة صليبة بناء على طلب النيابة العامة باللاذقية.

زارني النقيب سامر من قسم صليبة برفقة دوريةللمساعدة في العملية الخاصة بالرجل، وتوجهنا إلى المنطقة إلا أننا لم نستطيع الدخول.

بعد الحادثة بأيام، طوّق الجيش مداخل منطقة الرمل الجنوبي، وأقام الحواجز في كل مكان من مدينة اللاذقية، و تمترسوا في ساحة قسم شرطة الرمل الجنوبي وبعض الأماكن الأخرى، وأضحت المدينة مسكونة بالرعب والخوف، والناس وقعوا في حيرة وصدمة، وهم يرون عساكر وجنود وضباط الجيش وقد ارتدوا لباسهم العسكري وتسلحوا بكل الأسلحة وكأنهم حضروا للحرب.

ما أسخف الشعور حين ترى جيشك هو سبب خوفك، ووجوده مبعث قلقك الوحيد!!.

بعد أيام صدر الأمر الإداري من وزير الداخلية محمد الشعار، القاضي بعدم تدخل الشرطة في أي عمل والالتزام بمراكزهم وأقسامهم ومخافرهم، وتنحصر مهامهم بتلقي الشكاوي فقط دون متابعتها، وهذا يعني التزامها بأعمالها المكتبية ضمن الأقسام وحسب!

وجود النقيب المجند في الجيش عَليّ من طرطوس، في ساحة قسم شرطة الرمل أتاح لي مصادقَته، والاطلاع على ما يجري في الخارج.

عَليّ هذا شاب في مثل سني، لكنه وكعقلية ضباط الجيش لا يعرف إلا تنفيذ الأوامر دون اعتراض، لكنه كان مرحاً ولديه بعض الثقافة وقابل للنقاش على غير عادة هؤلاء.

---

١ إحدى المذكرات القانونية التي تصدر عن الضابطة العدلية من الشرطة والأمن الداخلي.مجلة المحامون

يوم ٢٠١١/٤/٢٠عَليّ يجلس في مكتبي، فجأةً، صوت النداء على اللاسلكي الذي يحمله: «سيدي سيدي ألقينا القبض على غسان سلواية ومعه بومبكشن ومسدس»!!
-طيب أحضروه إلى قسم الشرطة هنا.
بعد دقيقة واحدة ، يأتينا نداء جديد: «سيدي طلبوا منا أن نسلمه للعقيد بحديقة المحافظ».
-عُلم ، حول .
كانَ الجيش قد أقام معسكراً للاعتقال في الحديقة المذكورة، وهي حديقة مترامية الى جوار قصر المحافظ في طريق الحرش وضمن منطقة عملي، وقد بدأ فعلاً باعتقال المدنيين عشوائياً، ومزاجياً أيضاً، يعتقل كل من لا يعجبه، في محاولة لفض التظاهرات في اللاذقية.
تم تسليم غسان سلواية إلى فرع الأمن السياسي ، وخلال نصف ساعة تم إطلاق سراحه ، وطُلب من الجيش كف البحث عنه!
في اليوم التالي: غسان يطَلق النار في الهواء بحي بستان الحمامي، لقد قام بتوجيه البندقية باتجاه حاجز للجيش دون أن يتخذ الأخير أي ردة فعل!
يوم ٢٠١١/٤/٢٢ الأمن العسكري يلقي القبض من جديد على غسان سلواية...
يوم ٢٠١١/٤/٢٣ غسان سلواية يُشاهد بمطعم (view)

المملوك لرامي مخلوف[1] برفقة أيمن جابر[2] صهر كمال الأسد[3] ،

١ رامي مخلوف من مواليد ١٠ يوليو ١٩٦٩ رجل أعمال سوري وابن خال الرئيس السوري بشار الأسد. يعتبر واحدا من أكثر الرجال نفوذا في المنطقة، وهو يعتبر أكبر شخصية اقتصادية في سوريا ،والمالك الرئيسى لشبكة الهاتف المجمول المسماة بسيريتل وفقا لصحيفة فاينانشال تايمز ،ويعتقد أنه يسيطر على ٦٠٪ من الاقتصاد السوري كما أنه حسب وزارة الخزانة الأمريكية :من كبار المستفدين من الفساد في سوريا. لدى رامي مخلوف العديد من المصالح التجارية والتي تشمل الاتصالات السلكية واللاسلكية والنفط والغاز ،والتشييد، والخدمات المصرفية ،وشركات الطيران والتجزئة ،ووفقا لمحللين سوريين فإنه لا يمكن لأي شركة أجنبية القيام بأعمال تجارية في سوريا دون موافقته ومشاركته ،وهو جزء من دائرة بشار الأسد الداخلية. ويكيبديا

٢ أيمن جابر رجل أعمال من اللاذقية ومدير مرفأ اللاذقية سابقا وصهر كمال الأسد متزوج من حفيدته،ويملك الشركة العربية للدرفلة والحديد في جبلة (الذي أصبح في وقتنا الحاضر مصنع البراميل المتفجرة التي ترسل لترمى فوق الشعب السوري)وشريك في شركة شام القابضة وقناة الدنيا الإعلامية التي تحولت الى قناة سما ويوصف بأنه الممول الأول للدفاع الوطني والشبيحة في الساحل السوري وزعيم مليشيا «صقور الصحراء».وشملته العقوبات الأوربية والأمريكية كداعمي للقتل في سوريا. جريدة زمان الوصل و ،.وزارة الخزانة الامريكية http://iipdigital.usembassy.gov/st/arabic/article/2012/12/20121212139886.html

٣ كمال الأسد : هو ابن عم الرئيس السوري بشار الأسد .. أبوه اسماعيل الأسد الأخ الغير شقيق لحافظ الأسد. كمال الأسد يشغل منصب رئيس غرفة وصناعة اللاذقية ووكيل لشركة المانية وصينية لمكنات الغزل والنسيج يحمل شهادة بالحقوق وشهادة دكتورا ... مجهولة الهوية. فساده الاقتصادي: عند تجديد وإشادة معمل جبلة للغزل والنسيج وبقدرة قادر كانت المناقصة من نصيب وكيل الشركة الألمانية كمال الأسد حيث تم تزويد المعمل بمكنات وتوسيع المعمل على أساس مواصفات عالمية لإنشاء المعمل، مالبث هذا المعمل على العمل والإنتاج حتى تبعثر في الهواء أثناء العاصفة الهوائية التي هبت على الساحل السوري والتي لم تتأثر بها الأبنية ولم يحدث أضرار مالية في كافة الأبنية في الساحل السوري سوى في معمل جبلة !!! هذا المعمل الذي يديره سامر الأسد ابن كمال الأسد الذي لا يحمل أي مؤهل علمي أو شهادة علمية حقيقية لإدارة هذه المنشأة الاقتصادية المهمة وبعد الإعصار بدء كمال الأسد بتوريد معدات جديدة من مكنات وإعادة إنشاء المعمل بدون إجراء مناقصة مع معمل جبلة للغزل والنسيج وقدر بمبلغ ٢٠٠ مليون دولار طبعاً تم العقد بين سامر الأسد وشركة أبيه بدون إجراء أي مناقصة حيث رفض عدد من العاملين بوضع اسمهم ضمن لجنة تسليم المعدات والمنشأة وسرعان ماوجدوا إختلافاً بين المعدات والمكنات التي تم التوقيع عليها في العقد مع الوكيل كمال الأسد وإختلافاً في معايير الأبنية حسب المواصفات العالمية فتم نقلهم إلى معمل حماة للغزل والنسيج وتم الإستلام مع سامر كمال الأسد شخصياً. وبعد التوقيع على محضر الاستلام والتسليم ظهرت مشكلة توقيف دفع المستحقات المالية للشركة الألمانية وعدم تسديد المبالغ التي

ورئيس فرع الأمن السياسي ، والمقدم سامر رئيس قسم أمن الشرطة، ومدير أوقاف اللاذقية وصديق لي وعدة أشخاص .
تم عرض مبالغ مالية على صديقي ومن معه ، حتى يقوم بتوزيعها على الناس في منطقة الرمل إضافة إلى عدة سلل غذائية في محاولةٍ لتهدئة الوضع، وطلبوا منه الانصراف وتم الابقاء على غسان سلواية بالمطعم.
يوم ٢٠١١/٤/٢٤ حضر المقدم سامر من مرتبات الأمن السياسي، إلى قسمنا وطلب من العميد محسن كل الطلبات والمذكرات القانونية الصادرة بحق غسان، والتي كانت بحوزتي، فقمت بإعطائه مذكرة إحضار صادرة عن قاضي التحقيق بجرم الايذاء، وتسليمه ورقة (فيش جنائي) يظهر الطلبات والسوابق والأحكام الصادرة بحق غسان والمتضمنة وجود سبع سوابق بجرائم مختلفة من سرقة ومخدرات ومشاجرات.

يجب أن تسدد بعد إستلام معمل جبلة للغزل المعدات. والسبب الحقيقي ليس بعدم التقيد بالمواصفات والعقد إنما بنسبة كمال الأسد حيث طلب إضافة مبلغ أكبر على «الكمسيون» المتفق عليه في بداية المشروع وتم حجز المبلغ ولكن الشركة الألمانية اعترضت لدى الحكومة واعترضت لدى وزارة الصناعة آنذاك وبعض إطلاع وزير الصناعة في ذلك الحين الوزير السابق (عصام الزعيم)على هذا الملف تم صرف المبالغ المستحقة للشركة الألمانية بشكل قانوني كون كافة الشروط التي كانت موجودٍ بالعقد قد تم تنفيذها من قبل الشركة الألمانية مما أدى بتدخل كمال الأسد شخصياً عند بشار الأسد وتلاعب رئيس الحكومة آنذاك مصطفى ميرو تم توقيف وحجز أموال عصام الزعيم ونائبه واعتبروا بأنهم مرتشين حيث وجهت تهمة قبض عمولة من الشركة الألمانية لأن هذه الشركة لم تلتزم ببنود العقد الموقع مع معمل جبلة للغزل والنسيج. حيث أقدم عصام الزعيم بوضع كافة مستندات هذه القضية أمام القضاء وتبين تورط كمال الأسد وأبنه سامر الأسد بالإضافة إلى تورط بشار الأسد شخصياً في هذه القضيحة حيث ألغيت هذه الدعوة مباشرة من قبل القضاء المختص وأغلقت القضية . شبكة شام اليوم الإخبارية http://www.net.alshamtoday/post/read/٦٨٠٠ وجريدة زمان الوصل وجريدة وطن يغرد خارج السرب ووزارة الخزانة الأمريكية ومجلة الاقتصادي الإمارتية.ومجلة العربي الجديد https://www.alaraby.co.uk/blogs/2017/2/28/الزعيم-أول-مسؤول-سوري-يقتله-بشار-الأسد

يوم ٢٥/٤/٢٠١١المقابلة التلفزيونية الشهيرة لغسان سلواية بمكتب المقدم سامر بقسم أمن الشرطة فرع الأمن السياسي باللاذقية.

كان الجميع هنا يضحك لدرجة البله على مقابلة هذا الساقط الرخيص، وحدي أتصنع الابتسامة السوداء .

-شو يا محمد هذه مطالب الشعب ، يريدون حشيش مخدر نظامي.

قال لي العميد محسن بعد المقابلة..

-يا سيدي والله نحن ضرنا بحاجةللحشيش لنفهم ماذا يحدث؟!.

***

لقد أصابتنا لعنة الحشيش المخدر فصرنا نضحك على اللا شيء.

كنت مدركاً تماماً أن مقابلة غسان سلواية على التلفاز لا تخاطب الشارع الثائر أو المتظاهرين في اللاذقية، كانت لخلق رواية ساقلة عن الثورة للفئات التي تحتاج تبريراً كي تبقى بعيدةً عن هذه الثورة. تخاطب التاجر، وتخاطب كل الطوائف التي آثرت أن تبقى إما مع النظام أو صامتة ترقب لمن الغلبة.

*****

الفلسطينيون في هذه المنطقة هم الأكثر وعياً ، الأقل جريمة، وأغلبهم مثقفون، ولا يتقبلون النظام السوري لما خبروه من ظلمه وجوره

الناس هنا في المخيم أرواح هائمة بين نار النظام التي لاترحم، وبين نور الأحلام بالتحرر والشعور بإنسانيتهم المهدورة بيد نظام لعين

نظرية المؤامرة
الفلسطينيون والثورة السورية
٢٠١١/٤ نيسان

الدخول إلى العقول وفهمها هو من أصعب معارك الإنسان لإنشاء روابط وعلاقات متينة، فتكوين صداقة ما مع شخص هي إحدى المعارك التي تستنزف مخزونك الثقافي والديني والأخلاقي كي تستطيع التواصل وإقامة علاقة صحية دائمة، ولا تعني الصداقة تغيير ما آمنت به طالما تمسكت بمبادئ ربيت عليها واستندت فيها إلى جدار عقيدتك في الحياة، والصداقة ستغذي ثقافتك وفهمك للواقع بشكل أوسع وتعرفك على جوانب أخرى من المجتمع كنت غائباً عنها.

الفلسطينيون في هذه المنطقة هم الأكثر وعياً ، الأقل جريمة، وأغلبهم مثقفون، ولا يتقبلون النظام السوري لما خبروه من ظلمه وجوره عليهم وعلى آبائهم من قبل ، لذا هم حذرون في قبول الآخر وخاصة موظفي الدولة، ولا يفضلون تدخل الشرطة في حل مشكلاتهم ، وقد عانيت طويلاً حتى اكتسبت الكثير من صداقاتهم، وأصبحت إلى حدما مقبولاً بينهم. في بداية الحراك الثوري سارت مظاهرة إلى منطقة الفلسطينيين في منطقة الرمل، وهتف المتظاهرون "بالروح بالدم نفديك أبو عمار"، يقصدون "ياسر عرفات"، وبعض الشباب المتظاهر طالب الفلسطينيين أن ينضموا للمظاهرة والحراك، إلا أن

شباب المخيم طالبوهم بعدم توريطهم بالأمر لأن عين الدولة عليهم والنظام لن يرحمهم، وهذا واقع، فعقوبة الفلسطيني المؤيد للثورة أضعاف ما للسوري،والكل في البلاءمشتركون. كان لأغلبية الفلسطينيين رأي بأنه لا حولٌ لهم ولا قوة، وانتشرت شائعة بينهم (سيرمينا النظام خارج سوريا ،يجب أن نلتزم الحياد، نحن ضيوف).

الناس هنا في المخيم أرواح هائمة بين نار النظام التي لا ترحم، وبين نور الأحلام بالتحرر والشعور بإنسانيتهم المهدورة بيد نظام لعين.

خزّنوا في ذاكرتهم ما عانى منه الآباء والأجداد في هجرتهم الأولى والثانية ، فلا نجاشي الحبشة احتضنهم ولا أنصار يثرب تلقفوهم من على التلال ، "رُدني إلى بلادي" و"عائد إلى حيفا" تشاهدها في صدر كل فلسطيني بدلاً من "طلع البدر علينا" ، في تعبيرٍ عن فقدان الشعور باندماجهم الكامل في سوريا للأسف الشديد ، وهذا لا يعني أنهم لا يعتبرون سوريا وطنهم، لكنها وطنهم الثاني، وحلم العودة إلى فلسطين لايبارحهم.

وماذا قدم لهم هذا النظام سوى فرع فلسطين[1] والضابطة الفدائية التابعة له وسجون التعذيب والقهر والفقر؟!! قتل كل أحلامهم و أمانيهم في الشعور بدفء حضن الأم سوريا! ربما كان الذي يعزي أنفسهم مساواتهم بالسوريين في الفقر

١ فرع فلسطين أو الفرع ٢٣٥ هو أحد فروع شعبة المخابرات العسكرية بالعاصمة دمشق. يرأسه العميد محمد خلّوف، وهو يعد أحد أسوأ الفروع الأمنية سمعة ومن أكثر الفروع التي يخشاها الناس. وله ثلاثة طوابق على الأقل تحت الأرض يُستجوَب فيها المعتقلون ويتعرضون للتعذيب حسب الشهادات التي وثقتها منظمة مراقبة حقوق الإنسان. يتبع للفرع "وحدة الضابطة الفدائية"، وتختص بشؤون "جيش التحرير الفلسطيني" والحركات الفلسطينية المسلحة، التي توجد بسلاحها رسميًا على الأراضي السورية.ويكيبيديا

والخوف والقهر وحالة الضياع، لكن نور الثورة أشد من ألا يراه أحد، لقد أصاب الجميع، فشارك الفلسطينيون فيما بعد واعتُقِل الكثيرون واستشهد البعض وظهر العملاء بينهم والجواسيس لفروع الأمن كحال السوريين ، وطالتهم نار النظام في هجومها على منطقة الرمل، وكان لهم نصيب كبير من حقده وتهجيرهم من المخيم الذي أضحى خاوياً على عروشه[1].

في أحد الأيام من شهر نيسان الساعة العاشرة ليلاً، وأثناء وجودي في القسم اتصل بي المقدم فادي من الأمن السياسي، يخبرني بوجود مشاجرةٍ كبيرةٍ جداً بين الفلسطينيين والسوريين في منطقة الطلائع، وأنه أرسل دورية ستصل للقسم خلال دقائق.

"يا لطيف، ما أسرعهم كيف علموا !؟ ومنذ متى يتدخل الأمن السياسي في فض المشاجرات؟ " سألت نفسي .

بعد قليل وصلت دورية من فرع الأمن السياسي مع دورية من حفظ النظام التابعة للشرطة، وخرجتُ معهم في دورية من عناصر قسمي .

لما وصلنا إلى باب معسكر الطلائع، كان كل المخيم هنا، كل الشباب والرجال والعجائز، يرشقون الحجارة على منزل (أبو سويدان الحلبي الأصل[2]).

قام أحد عناصر الأمن السياسي بتلقيم البندقية ومحاولة إطلاق النار، إلا أنني أخذتها من يده، وطلبت من جميع العناصر الصعود إلى السيارات ، وقمت بإطلاق النار في الهواء حتى أفرغت المخزن، ثم تقدمت بمفردي وطلبت من الناس الانفضاض و الابتعاد : «أخي لو سمحتم كل واحد منكم ليذهب الى بيته،انتهت المشكلة»، ثم طلبت من معارفي الفلسطينيين

---

١ خاوٍعلى عروشه : مُدمّر لا حياة فيه بعد هلاك ساكنيه ، خرب مهجور. معجم المعاني الجامع

٢ اللص العجوز ،هو و أولاده تم توقيفهم سابقا بجرائم سرقة وتعاطي المخدرات

أن يقوموا بصرف الناس والطلب منهم العودة إلى منازلهم.
قام بالفعل بعض الأشخاص بذلك، الا أن (أبو شادي) ممثل منظمة الجهاد الإسلامي[1] في اللاذقية بدأ بالصراخ بوجهي وقال لي : «هؤلاء يريدوننا أن نخرج في مظاهرات ضد الرئيس ونحن لا نريد»، وتبعه في اعتراضه بعض الأشخاص من عملاء للأمن العسكري والسياسي وأمن الدولة ، وبدأوا بالهتاف:

(بالروح بالدم نفديك يا بشار، الله سوريا بشار وبس).

أجابهم البعض، وآثر الأغلبية التراجع والذهاب إلى منازلهم.
طلبت من أبو شادي الصمت والذهاب إلى المنزل لحل الخلاف، لأنني كنت أعرف أنّ أبا سويدان وأبا شادي عملاءٌ للأمن السياسي .

تم وضع دورية من حفظ النظام التابعة للشرطة في المكان لمدة ساعتين كحاجز للفصل بين المتشاجرين، ومن ثم أنفضت المشاجرة ورحل الجميع، ولم نستطع إلقاء القبض على أحد، ولم يسألني أي من رؤسائي أو ضابط الأمن عن موضوع المشاجرة وماذا حصل فيها فيما بعد!!.
بعد انفضاض الجميع فكرت في المشاجرة بأبعادها ، وكيفية تدخل الأمن السياسي وعملاء فروع الأمن الأخرى، والقصة لو جلس أي عاقل وفكر فيها لوصل لنفس النتيجة، وهي لا تحتاج إلى خبير لفهم ما جرى.

ذهبت إلى مكان تجمع الفلسطينيين داخل المخيم ، وانفردت ببعض أصدقائي، قلت لهم : "هل تعرفون كيف ولماذا حدثت هذه المشاجرة".

قال لي أحدهم: "من أجل أن يعرفوا ردة فعلنا".

---

١ منظمة إسلامية فلسطينية لها ممثلين في سوريا، تنادي بتحرير فلسطين.. ويكيبيديا

ابتسمت ابتسامة الرضا وقمت بهز رأسي موافقاً، وابتسم الجميع ابتسامة العارف بالخطط.

***

كان واضحاً وجلياً أن النظام يحاول افتعال مشكلة، ونشر كل هؤلاء العملاء، حتى يعرف ردود فعل الفلسطينيين حول الثورة، وحتى يقوم بتهديدهم أيضاً، في أنه قادرعلى الوصول إليهم عن طريق العملاء، لكنهم كانوا الأذكى والتقطوا الإشارات تلك، فكانوا حذرين جداً في تعاملهم مع أحداث الثورة.

ولكنهم ومع التطور الرهيب للأحداث ، لم يستطيعوا ترك السوريين وحدهم في جهنم هذه، فشاركوا في جميع مراحل الثورة، و النظام اعتقل وقتل وشرد منهم الكثير.

*****

كانت أصوات التكبير تملأ السماء ، بعثت في نفسي حالة من السكينة و بدأ قلبي يخفق معها .

الله أكبر تأخذك خارج جسدك، تسبح في فضاء غير الذي تعيشه هنا، لحظاتٌ معجونةٌ بمشاعر مختلفة لاتبلغها كلماتي أو لغتي، يكفي أنها أنستني حتى اسمي، كانت بدايات الثورة نقية لم يلوثها النفاق بعد، كانت كلمة الله أكبر تهز حتى الصخور ويضطرب لها البحر شعرنا وكأن الملائكة بسطت أجنحتها في اللاذقية وهزتنا هناك.

تكبير...
٢٠١١/٤/٢١الخميس.

رغم اختلافي مع الشيخ عدنان العرور[١] وكرهي لأخطائه التخريبية غيرالمسؤولة، إلا أنه أحد مؤججي الثورة في اللاذقية، فبعد واقعة بانياس الشهيرة بتاريخ ٢٠١١/٤/١٢ أضحى الشيخ العرعور المُتابَع الأول على شاشة التلفاز، وبدأ بالدخول إلى العقول والمشاعر الملتهبة أصلا، وتزامن ذلك مع المظاهرات التي كانت تعم كل سوريا ومنها منطقة عملي.. الرمل الجنوبي.

بتاريخ ٢٠١١/٤/٢١ كنت أنا وصديقي -الذي يقطن بالقرب من دوار الزراعة[٢]- في الكورنيش الجنوبي كعادتنا طيلة الست سنوات الماضية، كعاجزين مقهورَين نتبادل التحليلات والأحلام والعواطف الفارغة التي لا تقدم ولا تؤخر. الساعة قرابة الحادية عشرة ليلاً، انتهينا من عجزنا الذي نلوكه، وانطلقت من الكورنيش الجنوبي فساحة

---

١ عدنان بن محمد العرعور هو عالم دين مسلم سني سوري (ولد في حماة ١٩٤٨)) كذلك اشتهر في دوره الإعلامي في تغطية المظاهرات السورية، حيث أنّ العرعور من المعارضين للنظام السوري.ويكبيديا

٢ إحدى مناطق اللاذقية ويسكنها غالبية علوية.

العمود مشروع صليبة [1]، وعند دخولي إلى شارع ساحة العمود كانت كل الشوارع فارغة و صمت يسكن المكان. فجأة ودون سابق إنذار، انطلق صوت هادر(تكبير) كان الصوت من شدته قد أيقظ روح المدينة التي كانت مسكونة بالصمت قبل قليل ، مرة أخرى (تكبير) يالله ما هذا؟!!

وكأن ذلك الصوت هو مفتاح التشغيل لجوقة واحدة، الكل بدأ «الله أكبر.. الله أكبر» كانت أصوات التكبير تملأ السماء ، بعثت في نفسي حالة من السكينة و بدأ قلبي يخفق معها.

الله أكبر تأخذك خارج جسدك، تسبح في فضاء غير الذي تعيشه هنا، لحظاتٌ معجونةٌ بمشاعر مختلفة لا تبلغها كلماتي أو لغتي، يكفي أنها أنستني حتى اسمي، كانت بدايات الثورة نقية مخلصة لم يلوثها النفاق بعد، كانت كلمة الله أكبر تهز حتى الصخور ويضطرب لها البحر.

كنا قد وصلنا إلى شارع ٨ آذار[2] حين أشار لي صديقي بالمرور من الشارع الفرعي إلى ساحة الشيخ ضاهر[3]، كانت التكبيرات تملأ المكان، والساحة مشرقة، وتشعر ولكأنها مزدحمة،بالرغم من عدم وجود شخص واحد فيها باستثناء عناصر الجيش والأمن، الذين احتلوا مدرسة جول جمّال المُطلة على الساحة وبدأوا يطلقون النار في الهواء لتغطية أصوات التكبير، فما أشد سخف عقولهم!. هناك في الساحة شعرت ولكأن السيارة قد رُجّت من صوت التكبير.

---

١ أحياء من مدينة اللاذقية تابعة لقسم صليبة.

٢ أحد الشوارع الرئيسية في اللاذقية ويمتد من نهاية مشروع الصليبة وحتى بناء الأوقاف ويتفرع إلى ساحة الشيخ ضاهر

٣ الساحة الرئيسية في مدينة اللاذقية وتتوسط المدينة

مررنا على أصوات التكبير في كل مكان حتى وصلنا إلى دوار هارون، فدوار[1] الزراعة حيث عالم آخر عالم (شركاء الوطن)، تصحو فيه من غفلتك على واقع بغيض يملأ المكان، قال لي صديقي : «أقسم بالله خفت من التكبير، شفت كيف رجت السيارة ؟».

قلت له: «كمان أنت لاحظت».

هذه الهزة ربما هي خيالنا أو موروثنا الديني والثقافي، لكننا شعرنا وكأن الملائكة بسطت أجنحتها في اللاذقية وهزتنا هناك.

وصلنا إلى دوار الزراعة، وبعد محل الشاورما[2] دخلنا الطريق الفرعي، كان فرع المخابرات الجوية قد نصب حاجزاً أمام قسم الشرطة الشرقي، وقفت أمام الحاجز حيث عادت أصوات التكبير لتملأ المكان هنا ومصدرها حي بستان الريحان وحي قنينص القريبين[3]، كان أحد عناصر فرع المخابرات الجوية واقفاً أمام الحاجز مشدوهاً، قلت له : «افتح الحاجز»، فالتفت إلي، كانت الدموع في عينيه.

-ما بك شو صاير معك؟

-"يا سيدي عم يُكبّروا"!.

لا أعرف بماذا أجيب ولم يخطر في ذهني شيء!

---

١ دوار هارون ودوار الزراعة هي ميادين رئيسية في مدينة اللاذقية

٢ الشاورما نوع من أنواع المأكولات الشرقية التي تعود جذورها إلى بلاد الشام، وهي عبارة عن لحم مشوي بطريقة خاصة حيث يشوى اللحم بواسطة الحرارة والأشعاع الناتج من مصدر الحرارة.

٣ أحياء شعبية تسكنها غالبية سنية تابعة للرمل الشمالي

- طيب افتح الحاجز. ففتح الحاجز ومررنا.

قلت لصديقي : «شو صاير معه هذا؟».

قال لي : «قال لك إنهم يُكبّرون يُكبّرون»، وأشار بيده بحركة الذبح.

قلت له وأنا اضحك: أقسم بالله لم يخطر ببالي.

ثم قلت له: هل التكبير يُفهم هكذا؟.

قال لي: هكذا أفهمهم النظام!

قمت بإيصاله وعدت إلى القسم من طريق الزراعة حيث اللاشيء سوى قطعان فواز وكمال الأسد والشبيحة.

ومع تطور الأحداث ، استخدمت قطعان الأمن موضوع (التكبير) لاعتقال الأشخاص، فتقوم دورية من الأمن بارسال أحد عناصرها ويتجول في الشارع ويطلق صيحة التكبير ليرد عليه بعض أفراد الشعب البسيط، مما أدى إلى اعتقال عائلات وشباب ورجال ونساء ذنبهم الوحيد أنهم أجابوا التكبير بالتكبير.

***

لدى وجودي أمام قاضي التحقيق الثالث غازي أثناء تقديمي كسجين لينظر في الإفراج عني ، أجلسني في مكتبه ثم عرض علي ثلاث دعاوى بحق أشخاص تم تقديمهم عن طريق فرع الأمن العسكري وأمن الدولة بتهمة (التكبير) وقال لي : أقسم بالله لا يوجد جرم في القانون اسمه "تكبير" ، وطلب منا المحامي العام وضع الجرم تحت بند الشغب وإثارة النعرات الطائفية. وقال متعجباً: لأن (الله أكبر) هي اختصاص أهل السنة فقط؟!!.

أما بالنسبة للشيخ العرعور.. والذي كان يُتابع من قبل (شركاء الوطن) أكثر من بقية الشعب، حتى العميد محسن وكل عناصر الشرطة هنا كانوا ولكأن على رؤوسهم الطير حين يظهر برنامجه على التلفاز، «حتى يعرفوا ماذا سيحصل بهم غداً» كما أخبرني أحدهم...كان الشيخ يتسرب إلى عقل الناس ويدغدغ مشاعرهم، وكان اعتقادي أن الشعب السوري قد ملّ من خطيب الجمعة، الذي أعاد علينا خطبة نواقض الوضوء خمسة آلاف وخمسمئة مرة، وهذا الشيخ العرعور يتكلم بلغة حالهم وواقعهم، وكنت أستاء كثيراً من تصرفات اللاوعي التي يطلبها، ككسر البطاقات الشخصية والطرق على الطناجر.. ومع أن هذه الأخيرة كانت إحدى أهم وسائل العصيان المدني المعروفة عالمياً ، إلا أن إتلاف البطاقات الشخصية كانت كارثية! والذي دفع ثمن هذا التصرف الأرعن ، هو شباب وعائلات وطاقاتٍ هُدرت.

***

المتابع لتصرف الشيخ العرعور يعرف أن أغلب كلامه و طلباته كانت من كتاب (من الديكتاتورية إلى الديمقراطية) و(بدائل حقيقية) للكاتب الأمريكي جين شارب[1] وبإمكانكم مراجعة الكتب المذكورة والتأكد من ذلك وخاصةً فقرات إزعاج السلطة.

---

١ جين شارب (Gene Sharp) ولد في (٢١ كانون ثاني ١٩٢٨) لأب يهودي و أم مسيحية وهو أستاذ العلوم السياسية في جامعة ماساتشوستس في دارتموث ومرشح للحصول على جائزة نوبل للسلام. ارتبط اسم جين شارب بالكتابة والتأليف في الموضوعات الخاصة بالكفاح السلمي، وقد استقت من كتاباته العديد من التحركات المناهضة للحكومات حول العالم. ويكيبيديا

لكن ماكتبه «شارب» كان يتعلق بمجتمع مدني منظم غير مخترق بعناصر النظام ، ولايعاني من أمراض النفاق والخوف، وليس في مواجهة قطعان من الوحوش المفترسة التي لاترقب في الناس حقوق الإنسان، ولا حتى حقوق الحيوان.

يارب كم ديكاً في بلادي صدّق أن الشمس تشرق بصياحه.

*****

أيقنت بأن النظام قد أنهار، وسجن الخوف الذي أسكنونا
إياه
قد انتهى

تاكسي في البحر
٢٠١١/٤/٢٨ الخميس

يا صديقي الغارق في رغيف عيشك، يا أيها المسافر في أحلام يقظتك، هل توقفت يوماً وشاهدت هذا الذل الذي نستنشقه في هذا الوطن ، عشر سنوات من عقد الآمال على رئيس مخادع، كان يشتم والده من باب شعار محاربة الفساد ، إلا أن كل شيء تغير حولنا إلا هذا النظام برئيسه وفساده وقبحه.

ازدادت ثقتي بنفسي بعد حادثة المندس، وصرت أتجول في الرمل الجنوبي دونما إزعاج، وقد زال حذري وبدأتُ أتصرف بعاطفتي، إذ أيقنت بأن النظام قد أنهار، وسجن الخوف الذي أسكنونا إياه قد انتهى ، على الرغم من أنني أعيش في محيط من الوحوش الطائفيين[1].

اليوم ٢٠١١/٤/٢٨ أخبرنا بدخول امرأة إلى المشفى الوطني، وأنها لا تحمل إثبات زواج، فخرجت بدورية للتحقيق بالأمر، وذلك من داخل منطقة الرمل، عن طريق المخيم فشارع البحر المتعرج، وعند وصولي إلى ساحة مسبح الشعب، رمى أحدهم إصبعاً من الديناميت باتجاهنا، انتبه له السائق بسرعة وقام

١ كانت إحدى تهمي في القضاء ان سيارتي هي السيارة الوحيدة من سيارات الدولة التي تدخل إلى منطقة الرمل الجنوبي

بالتراجع، كانت أمتارٌ قليلةٌ بيننا وبينه، وكانت لتحصل مصيبة كبيرة فيما لو أصاب السيارة لكن الله سلم، خرجت من السيارة وأنا اشتم الجميع، «لك هذا ابن الحرام مَن رمى اصبع الديناميت ماذا يريد ومن هو ؟، لك تريدوننا أن نصبح ضدكم؟، لك مابتعرفوا مَن نحن، بس شو يحكي ليحكي الواحد».. لا أتذكر كثيرا كيف انفعلت وبماذا تفوهت من مفردات.

عدنا أدراجنا من حيث أتينا، تعلقت بباب السيارة وقلت لنفسي: «اذا رأوني لعلهم يبتعدون من تلقاء أنفسهم»، وهذا ما حدث، لكن وما كدنا نقطع بضعة أمتار قليلة، حتى بدأ القناصة (قناصوا المخابرات الجوية) المتمركزين في طريق الحرش بناية آل خيربك[1] المطلة على منطقة الرمل، بدأوا يطلقون النار على سيارة الشرطة التي نستقلها، كنت لا أزال متعلقاً بباب السيارة ، ويشهد الله إني لأسمع أزيز الرصاص يمر كطيفٍ من حولي، وكأنني فقدت الذاكرة هناك، وبقيت في مكاني متعلقاً ، ربما هي عدوى حب الموت أصابتنا جميعنا، فكنا نفعل أشياء لا يفعلها عاقل.

أسرع أحد عناصر الشرطة وجذبني من يدي وقام بإدخالي: «سيدي سيدي ادخل»، فدخلت، السائق كان يقود السيارة بجنون كالذي أصابه المسّ، فقمت بضربه على يده وصرخت فيه : إهدأ شو أصابك .

أجاب والرعب بلغ منه ما بلغ: «ما شفت يا سيدي كنا سنموت».

أجبته: «لا تخف لاأحد يموت حتى يستكمل عُمْره».

هذه الحادثة ليست إلا دليلاً آخر على محاولة النظام قتل عناصر وضباط يقدمهم قرابين ليظهر أن الثورة ثورة تخريبٍ

---

١ إحدى عائلات اللاذقية أصولها من القرداحة وهي إحدى العائلات الرئيسية للطائفة العلوية..

منذ البدايات، وقد رأيتُ وخَبرتُ كيف قتل قناصوا المخابرات الجوية عناصر أمن سياسيَ، وكيف ردّ الأخير بقتل عناصر المخابرات الجوية.

وصلنا إلى القسم، وتم الذهاب إلى المشفى من الطريق الآخر الطويل طريق سوق الجمعة الخارجي. وكأنها قصة ليلى والذئب عشنا تفاصيلها هنا «اذهبي من الطريق الطويل لا تذهبي من الطريق القصير لأن هناك ذئبٌ متربص بك»!

في المشفى، تبين أن الولادة شرعية، بعد إظهار وثيقة الزواج من قبل زوجها الذي حضر متأخراً .

في اليوم التالي ٢٠١١/٤/٢٩ الجمعة ، سائق تكسي من حي الدعتور[1] أحد شركاء الوطن. وعلى الرغم من الشحن الطائفي والرعب الذي كانت تعيشه اللاذقية، وخوف الشعب وخوف الأمة و الطوائف الدينية ومختلف الأعراق من بعضها البعض، قام السائق بالحضور إلى ساحة القدس، مدعياً أنه كان يقوم بإيصال امرأة إلى الساحة، وصل في نفس توقيت خروج المظاهرات من المساجد ، وعند مشاهدته للمظاهرة من بعيد وسمع المتظاهرين يهتفون (أبو حافظ يلعن روحك[2])، أخرج مسدساً حربياً وقام بإطلاق النار على المتظاهرين بشكل عشوائي، لكنه لم يصب أحداً، لم يدرك الجاهل أن المداخل يحرسها شبان في تنظيم مدهش أنشأه الشعب هنا.

قام أحدهم بالهجوم عليه وتخليصه المسدس، وتكفل البقية بإلقاء القبض عليه، واستمرت المظاهرة كما قُدِّر لها.

---

١ حي الدعتور من الأحياء الشعبية المنشأة عشوائياً في مدينة اللاذقية في سوريا تسكنه غالبية علوية .ويكبيديا

٢ أحد هتافات الثورة في سوريا، وأبوحافظ كنية بشار الأسد

بعد الفراغ من التظاهر، اجتمع هؤلاء الشباب مع بعض نشطاء الحراك، وبدأت جلسة التحقيق والاستماع وتقرير المصير، الصقور تطالب بالقصاص والحمائم تطالب بإطلاق سراحه كتعبيرٍ على أن ثورتهم سلمية، قرر كبيرهم مايلي: رمي السيارة في البحر كنوع من القصاص، والتفاوض على مصير السائق مع الأمن، قال:" نتركه بشرط عدم قيام الأمن بالاقتراب من المنطقة". بالفعل تم رمي السيارة التكسي في البحر، والاحتفاظ بالشاب السائق.

في لقطة إنسانية، قام بعض الشباب باستضافته في منزلهم والإحسان إليه، وقام بعضهم بمحاورته وسؤاله عن سبب حقده عليهم وأنهم:"واحد واحد الشعب السوري واحد"[1] ونحن لا نكرهكم وهذه شعاراتنا، كان بعض الشباب المحاور لا يتقن الكتابة ولا القراءة ، لكنهم لم يعرفوا الكره والحقد ولم يتربوا عليه، بغض النظر عن أخطائهم و مشاكلهم الأخرى.

بعد احتفاظ الشباب بسائق التكسي، تم الاتصال بأبيه وإعلامه القصة، وبدأت المفاوضات- هاتفياً- مع أهالي الرمل الجنوبي.

***

رئيس فرع الأمن السياسي (طه) "اللص المكسيكي" كما كنا ندعوه، قام بالاتصال ببعض رجال الدين في المنطقة، والاتصال ببعض الوجهاء، لإعادة السائق حتى لا تحدث فتنة.

تجمع بعض الحاقدين الطائفيين في منطقة اليهودية المجاورة لقسمنا، وهدد أهالي الدعتور (شركاء الوطن) بالهجوم على منطقة الرمل.

١ أحد أهم شعارات الثورة السورية ويعني أنه لايوجد فرق بين كل مكونات الشعب السوري.

طلب مني قائد الشرطة الاتصال بمعارفي في المنطقة لحل الخلاف، وبالفعل انصاع أهل الرمل الجنوبي لمطالبنا جميعها ورضي الجميع بإخراج السائق.

في يوم الأحد الساعة الثانية عشرة ظهراً كان موعد إطلاق سراحه، لكنهم أطلقوا سراحه في الساعة ١٢,٣٠ لسبب يبدو كوميدياً نوعاً ما ، كان الشباب الذين يحتجزونه قد وعدوه بتناول الغداء سويةً (أكلة سمك)!

وبعد اتصالات خلال النصف ساعة والكل على أعصابه،شوهد السائق وحيداً يحمل كيساً أسوداً وهو يهتف بأعلى صوته: (الشعب يريد إسقاط النظام)، وهو يسير من باب المفرزة في آخر نزلة الرمل وحتى مدرسة ٦ تشرين أول النزلة حوالي ٢٠٠ متر[١]، حتى وصل إلى حاجز الجيش الذي استقبله، وقام بتسليمنا إياه.

كنا قد نظمنا ضبط تغيب بعد معروض شكوى بالخطف قدمه والده الذي كان حاضراً.

قام والده بصفعه حين شاهده: "يا ابن الكلب شو نزلك لعندهم".

قال السائق:" لكن معقولة في حدا يطلع ضد الرئيس؟!! وما فينا نكسر رأسه"؟!

الأب :" لك مَن أنت، شو أنت جيش أو أمن"؟؟

كان السائق الحاقد من قطيع (سيادة الرئيس)، لا يريد أن يرى أحداً إلا خروفاً في مزرعة الرئيس!!

تم أخذ أقواله ورواية القصة السابقة، وأخبَرَنا أنه لا أحد تعرض له بالضرب أو الإيذاء ، وأنهم قاموا بإعطائه كيساً

---

١ نزلة الرمل : المدخل الرئيسي لمنطقة الرمل وتمتد على طول حوالي ٢٠٠ متر نزولا.

يحوي السمك أحضرها معه لأنهم وعدوه ب (أكلة السمك).

بعد يومين طُلِب مني إحضار سيارة التكسي حيث كانت ملقاة في البحر إلى جوار الشاطئ الصخري، وحضرت رافعة كبيرة لإخراجها.

حين وصلت بسيارة مدنية، اجتمع كثير من الشباب وقال لي أحدهم: "والله لو غيرك جاء..فلن يأخذها" طلبوا من الجميع الابتعاد عن مكان السيارة، ونزل أحدهم إلى البحر وأزال الديناميت الذي وضعه فيها. قال لي الشاب السابق:" سيدي أريدأن أخبرك شيئاً بيني وبينك" .انزوينا بعيدا قلت له:" تفضل".

قال لي: "رجاءً، اغفرللشاب الذي رمى إصبع الديناميت عليك، البارحة استشهد، قال لنا:

أنه عندما رماها ما كان يعرف أنك في السيارة".

أطرقت قليلاً وقلت له : "أقسم بالله أني سامحته من وقت الحادثة" .

قاموا بتسليمي كل متعلقات السيارة بدون نقص حتى برغي واحد.

فاجأني هذا التصرف، لأن بعض من رمى السيارة كان موقوفاً لدينا بجرائم سرقة متعددة.

لقد تعزز مفهوم التضامن بين أحياء و مواطني الرمل، وبتنا لا نرى أي مشاجرة أو مشكلة أو جريمة، كنت أقف طويلا على مفهوم استخدام النكتة والمزاح في تحدي السلطة، في احد المرات أقاموا مسرحية كوميدية هزلية قصيرة حول الرئيس وكيف تعامل مع الأحداث، حيث ألبسوا حماراً ملابساً رسمية وقام أحدهم بتقليد أحد مساعدي الرئيس وكان يسأله: ماذا

سنفعل مع هؤلاء ، فكان الحمار ينهق والضابط المزعوم يقول: أعرف أنك حمار لكن ماذا سنفعل، ثم هتف المتظاهرون جميعاً الذين مثلوا دور شبيحة بشار" بالروح بالدم نفديك ياحمار يا بشار".

***

لقد ابتدع المتظاهرون كل شيء يعبرون فيه عن رفضهم للنظام بكل اركانه، فمسرحيات هزلية وقصائد شعرية وخطابات بلاغية وهتافات حماسية ورسومات تعبيرية ويافطات تحفيزية، لقد تجلت عظمة الشعب السوري في الرمل وانفتقت عن عبقريةٍ كانت تائهة في لقمة العيش، وأعيد صقل العقل السوري، وبرزت الثقافة والحضارة التي كانت مغيبة في مايقوله الرئيس ومايفعله الرئيس، هناك في الرمل الجنوبي كان كل واحدٍ منهم يُنبئ بمستقبلٍ مشرق لأمة أرادوا لها أن تظل نائمة وألا تستفيق، لكن الرمل الجنوبي قلب معادلتهم تلك واستفاق الشعب أخيراً.

*****

بدا لي أنهم سوف يقومون باستبداله أو سيغتالونه
أو يكيدون له مصيبة،
لأن النظام الذي يمثله لا يشبهه!!

رياض حجاب[1] محافظا لمدينة اللاذقية
نيسان ٢٠١١

أحد أيام كانون الأول ٢٠١٠ أخبرنا حوالي الساعة العاشرة صباحاً بأن شركة القطن تحترق، وهي شركة للغزل والحلج، تقع بالقرب من المنطقة الصناعية باللاذقية، فخرجت بدورية إلى المكان المذكور.

كانت قد حضرت إلى المكان كل أقسام شرطة اللاذقية وفرع الأمن الجنائي وكذا كل فروع الأمن،وكذلك الدفاع المدني و سيارات الإطفاء وسيارات الإسعاف، وطائرات الجيش تشارك بإخماد الحريق.

المعمل بإختصار تصميم أوروبي ويتألف من عدة مستودعات ، انطلق الحريق من المستودع رقم (٣)، حيث لا وجود لكهرباء أو أي مسبب للحرارة أو الاشتعال، والمستودع مجهزٌ بكل أدوات الطوارئ والإنذار في حال حدوث أي خلل. المدير العام كان سامر كمال الأسد[2] وهو شاب قميئ طويل

---

١ رياض فريد حجاب (1966 -)، رئيس وزراء سوريا منذ ٦ حزيران / يونيو ٢٠١٢. يحمل شهادة الدكتوراه في الهندسة الزراعية. شغل عدة مناصب منها رئيس فرع الاتحاد الوطني لطلبة سورية بدير الزور منذ عام ١٩٨٩ ولغاية ١٩٩٨، ثم عضو قيادة فرع دير الزور لحزب البعث العربي الاشتراكي من١٩٩٨ حتى ٢٠٠٤، ثم أمينًا لذات الفرع من عام ٢٠٠٤ حتى ٢٠٠٨ ثم محافظا للقنيطرة من ٢٠٠٨حتى ٢٠١١. ثم شغل منصب وزير الزراعة في حكومة عادل سفر والتي شكلت في نيسان / أبريل ٢٠١١، واستمر وزيرًا حتى ٦ حزيران / يونيو تاريخ استقاله الحكومة وتكليفه بتشكيل الحكومة الجديدة. في ٦ أغسطس ٢٠١٢ انشق رياض فريد حجاب عن النظام وغادر سوريا مع عائلته إلى الأردن. رياض فريد حجاب متزوج ولديه أربعة أولاد .ويكبيديا

٢ سامر ابن كمال الأسد أحد أبناء عمومة بشار والمتهم بالفساد، مدير المعمل الذي أحرقه ثلاث مرات. راجع الصفحات٦٤ و٦٥

يبدو مصاباً بالهبل بكل ما للكلمة من معنى.

حضر قرابة الساعة الثانية عشرة مع مرافَقَة من أربعة أشخاص، ألقى نظرة آل الأسد المتكبرة خمسة دقائق ثم غادر.

بعد إخماد الحريق الذي أتى على المستودع الثالث وجزء من المستودع الثاني، تم تحميل الماس الكهربائي -الذي كان غائباً-مسؤولية الضرر.

تم نشر مقالات في الصحف في اليوم التالي تسخر من الماس الكهربائي، وقالت أنها عملية تهرب من جرد آخر العام، و انتشرت شائعة تقول أن سامر وأبيه كمال يملكون معملا ومحلجاً للقطن في قبرص ويقومون بتحويل سرقاتهم من المعمل المحترق إلى هناك[1] .

---

١ ممانشر في بعض الصحف كجريدة وطن يفرد خارج السرب وجرائد زمن الوصل وصحيفة أخبار السوريين والشام اليوم

http://www.alshamtoday.net/read/post/6800

سامر الأسد غير مؤهل قطعياً لأن يكون مديراً عاماً على مؤسسة إقتصادية إنتاجية كلفت الشعب المليارات لينهبها ويفلسها وينشر خبر إفلاسها في الصحف الرسمية السورية دون أن يحرك أي ساكن. وكان إفلاس هذه المؤسسة سببه تصدير الخيوط إلى خارج سوريا والى قبرص خصيصاً وبيعه بأقل الأسعار .. وبأسعار أقل من الأسعار التي تباع في السوق السورية وهذا المعيار الإقتصادي الذي كان يعتمده مدير هذه المؤسسة بحجة تامين قطع أجنبية إلى سوريا. الحقيقة بأن المنتجات التي كانت تصدر كانت تباع إلى شركة أوربية في قبرص يمتلكها أيهم إسماعيل الأسد شقيق كمال الأسد الذي يملك شركة تجارية في قبرص ومجموعة الفنادق واسهم في البنك العربي الأوربي في قبرص وهذه الشركة كانت تشتري هذه المنتجات بأسعار منخفضة بالنسبة لأسعار الخيوط القطنية في العالم وتبيعه بأسعار اكبر من الأسعار التي تشتري بها هذه الخيوط هذه هي حالة اقتصادنا وسرقة مؤسساتنا الاقتصادية من قبل آل الحاكم . وهذا الإفلاس الذي أذهل الشعب والإقتصاديين كون معمل غزل الخيوط القطنية في جبلة وهذه المنشأة تعتبر رابحة مئة بالمائة كون هذه الخيوط لها طلب عالمي وسوري وكان التجار السورين والصناعيين في مجال تصنيع الأقمشة قدموا عرض للحكومة بعد إفلاس هذه المؤسسة بأن يديروا معمل غزل جبلة أو يستثمروها بمئات الملايين وكان إستغراب الصناعيين «مؤسسة لها طلب على منتجاتها علمياً « كيف لها أن تكون خاسرة؟ وراجع العربي الجديد

https://www.alaraby.co.uk/blogs/28/2/2017/

الزعيم-أول-مسؤول-سوري-يقتله-بشار-الأسد وجريدة طريق النزهة

http://www.integrity-way.info/wp/?p=6396

على أثر الحادثة وبعد عدة تجاوزات، وبعد انطلاق الثورة السورية في اللاذقية، وعدم قدرة المحافظ القديم على إخماد الثورة، تم تعيين الدكتور رياض الحجاب محافظاً جديداً في بداية نيسان٢٠١١.

بدا الدكتور رياض وكأن لديه الضوء الأخضر في فعل مايريد، فقد قام باستبدال سامر الأسد ومدير المرفأ ومدير الصحة، والتشديد على عناصر المحافظة ، ووقع في صدام مع مدير الزراعة من آل تجور من القرداحة، ولكنه لم يستطع أن يقوم باستبداله.[1]

في أحد أيام شهر نيسان، حضرت على متن سيارتي إلى القسم ، فشاهدت على طريقي ،آلياتٍ جديدة وكأنها خارجة من المعمل مباشرة، وكان جمعٌ غفيرٌ من العمال أمام القسم على بعد ثلاثين متراً وباتجاه منطقة الرمل، مررت بالقرب منهم باتجاه القسم، هذه المرة الأولى منذ ست سنوات من تاريخ وصولي لهذه المنطقة أشاهد آلية للمحافظة هنا!!

كان المحافظ رياض حجاب يقف مشرفاً عليهم جميعاً، كل الذين حوله عمال ومهندسين، لاحظت أنه يقوم بتأنيب أحد المهندسين لتقصيرٍ في عمله " أعد العمل من جديد هذا ليس جيداً" . قمت بأداء التحية له ودخلت إلى القسم.

طلب مني العميد أن آخذ دورية لمرافقة المحافظ.

فأخرجت دورية ورافقتهم إلى المحافظ رياض، وعند وصولي أعلمته أني هنا لمرافقته.

لكنه رفض وطلب مني العودة إلى القسم "سيادة النقيب إرجع إلى القسم لا أريد من أحد أن يرافقني".

قمت بالانصراف إلى القسم وإعلام العميد.

---

١ –تم تعيين الدكتور رياض الحجاب وزيراً للزراعة فيما بعد وأول عمل قام به هو تغيير مدير زراعة اللاذقية

المحافظ الجديد بعث الطمأنينة والسكينة في نفسي وعند أغلب مواطني اللاذقية، متفهمٌ ويخدم المواطن كانت هذه هي النظرة العامة للرجل.

في إحدى مظاهرات صليبة، نزل إلى المتظاهرين وقام بمحاورتهم، وصعد أحد الأبنية وخاطب الجميع ووعدهم خيراً، كان متواضعاً جداً، حتى بدا لي أنهم سوف يقومون باستبداله أو سيغتالونه أو يكيدون له مصيبة، لأن النظام الذي يمثله لايشبهه!!

من الطرائف أن رياض حجاب في هذه المظاهرة نزل يسلم على المتظاهرين ويسألهم عن طلباتهم ، فقام أحد البسطاء بإمساك المحافظ من ربطة العنق. قال له: "بدي حرية".

ضحك المحافظ وقال له: "في أكثر من هيك حرية، تشد المحافظ من ربطة عنقه"!

بعد شهر تم تعيين الدكتور رياض وزيراً للزراعة في حكومة سفر[1] وبعدها رئيسا للوزراء.

بتاريخ ٢٠١٢/٨/١ تم الاتفاق بيني وبين صديقي الرائد محمود على الانشقاق بعد قبض مرتبنا، وتم تجهيز خطة مع أشخاص كمرافقين لنا، وحددنا يوم ٢٠١٢/٨/٥ للانشقاق إلا أنه تم استدعاءنا للتحقيق في فرع الأمن السياسي وبقينا فيه من الصباح وحتى آخر الليل، الساعة ١١ ليلاً تم إطلاق سراحنا.

بتاريخ ٢٠١٢/٨/٦ وبعد عودتي من التحقيق في فرع الأمن السياسي ، دخلت إلى العميد جمال وبدأت بالشتم على النظام والأمن السياسي: "يا سيدي إلى متى بدنا نبقى مثل

---

١ عادل سفر (1953 -) رئيس وزراء سوريا منذ ١٤ أبريل ٢٠١١ حتى ٢٣ يونيو ٢٠١٢.ويكيبيديا

الكلاب يقومون بإذلالنا "؟

أجابني كما العادة بعبارته المشهورة (إن الله يدافع عن الذين آمنوا)[1]:

-يا محمد توكل على الله، أكيد هنالك مخرجٌ ما.

فجأةً، خبرٌ عاجلٌ على قناة الجزيرة:(د.رياض حجاب مختف منذ البارحة، وأنباء عن انشقاقه)، قال لي العميد: «شفت يا محمد ما قلت لك: إنّ الله كبير».

-طيب، ونحن ماذا نفعل، نحن هنا نخدم المجرمين، لن تجدني بعد اليوم.

***

خرجت ولم أعد ... في اليوم التالي، كنت قد تركت اللاذقية ولجأت إلى تركيا.

*****

١ الآية القرآنية ٣٨ في سورة الحج

ملّ الجميع..إلا المتظاهرون فدائماً لديهم جديد، لقد تطور الفكر الشعبي السوري واستحدث أساليبا جديدة في التعبير عن وجودهم المغيب والمنسي في أدراج الدولة لمدة أربعين عاماً.

اليوم الخميس ، ليلة جمعة ، وكلنا بانتظار آخر صيحات الموضة الثورية.

جمعة العشائر
٢٠١١/٦/١١

يكاد التفكير يقتلك قبل أن تقتلك رصاصة قناصٍ يجثم على صدورنا يترقب الشارد من أرواحنا.

لقد جربوا كل الطرق لأنهاء المظاهرات التي تخرج هنا في الرمل الجنوبي، حصار خانق، قناصة، رشوة، جواسيس، اعتقال حاويات، قتل واعتقال أشخاص، قطع الخدمات، غلاء أسعار. كيف يصمت هؤلاء؟!! كل من في النظام لا يعرف إلا لغة النار وارتكاب الفظائع، يظن أنه قادر على إسكاتهم بهذه الطريقة، حتى صرت تشعر أن الحياة هنا صارت نوعاً من روتين وبيروقراطية دوائر الدولة، مظاهرات ثم إطلاق نارٍ من قبل الجيش والأمن ثم تشييع ثم إطلاق نارٍ وهكذا.

ملّ الجميع.. إلا المتظاهرون فدائماً لديهم جديد، لقد تطور الفكر الشعبي السوري، وأستحدث أساليب جديدة في التعبير عن وجودهم المغيب والمنسي في أدراج دوائر الدولة لمدة أربعين عاماً.

اليوم الخميس ٢٠١١/٦/١٠، ليلة جمعة، وكلنا بانتظار آخر صيحات الموضة الثورية!

الساعة قرابة الثامنة مساءً، مناطيد صغيرة مضيئة تثقب الظلام وتتطير فوق الحواجز وفوق مفرزة الأمن العسكري، طارت فوق الجميع في مشهد أسطوري.

أضحى صوت الرمل الجنوبي أعلى الأصوات و تقزمت كل أولئك الوحوش، إنهم الآن ينظرون إلى فوق، لقد قلب أهل الرمل المعادلة وعَلوا وارتفعوا بعد أن شذّرَهُم[1] الجميع ونظروا إليهم باستكبار وغلبة طيلة السنوات الماضية.

-أنظر يا سيدي شو هذا ؟!! مناطيد إسرائيلية؟!!.

قالها عنصر من الجيش .

«لك العمى في عيونهم من وين بيجيبوا هيك اختراعات هؤلاء جِنٌ ليسوا بشراً»، أجابه النقيب عَلِيّ الذي كنت أقف إلى جواره.

كان رد فعل عناصر الأمن على هذا المشهد الجميل المذهل، أن قام كل من يحمل بندقية من هؤلاء الوحوش بإطلاق النار على المناطيد لإصابتها ! وبقيت لأكثر من نصف ساعة تتلألأ بالأنوار في سماء اللاذقية، قبل أن تسقط «وتستشهد» وينتهي كابوس الأمن والجيش!

لقد أصاب الشعب النظام في مقتله، سكن الجميع هنا الخوف والرعب، لقد اعتقدوا أنهم يتعاملون مع شعبٍ لا يفكر، لكن مثل هذه الموضة الثورية غيرت كل شيء!

وحدنا نحن المعتقلون في وظائفنا كنا نبتسم ابتسامة التشفي من هؤلاء ، صحيح أننا كنا كأصنام تحترق وما قدمنا غير الشيء اليسير، لكن المسألة هنا هي مسألة ثأر شعبٍ وأمة .

اليوم الجمعة ٢٠١١/٦/١١ جمعة العشائر، لاأعرف من يطلق تسميات أيام الجمع هذه؟ ومن نخاطب؟، مع

---

١ في المعجم الغني: مصدر شَذَّرَ :- تَشْذِيرُ عِقْدٍ :- : الفَصْلُ بَيْنَ حَبَّاتِهِ بِخَرَزٍ أَوْ قِطَعٍ مِنْ لَوْنٍ آخَرَ .

أني أنتمي لعشيرة عربيةٍ مولداً، لكن الظروف جعلتني لا أنتمي فعلياً لأحد ً ليس هذا الموضوع مهماً، لكن ومن خلال معرفتي بالعشائر ، كان حالها كحال بقية الشعب السوري في تفرقه، وفيهم ما فيه من أشياء جيدةٍ وسيئة، ربما دخولهم إلى باب السلطة أيسر حالاً من بقية الشعب، وأنا كمثال واضح كنت قد قُبلّت في هذه الوظيفة بسبب اللقب الذي أحمله، وليس بسَبب كفاءتي وفكري وعقلي. المهم أن المظاهرات في كل مكان هنا، وأنا أنتمي لهؤلاء البسطاء، ولا يشرفني إنتماء آخر.

في هذه المظاهرة كان الوضع متأزماً والطاقات مشحونة والأعصاب مشدودة، هدف الثورة هو إيصال رسالة إلى النظام ..هي هزه هزاً ، وفي ظل انسلاخ الإنسان عن قوقعةٍ جاثمةٍ على ظهره يحدث الصدام الذي لا بد منه.

-»لازم يعرفوا أننا هنا باقون، ولن نسكت ولن نسامح، لازم يعرف الكلب بشار أنه ما عاد يساوي قرشاً صدئاً». قالها لي صديقي في الرمل الجنوبي.

كان الحماس العاطفي للمتظاهرين قد بلغ حده الأعلى، وكنت أشعر أنه سيؤدي بهم إلى تصرف غير مدروس، فهؤلاء الشباب قد تساوى لديهم الموت والحياةً ، لا بل كان الموت في سبيل ما يؤمنون به أسمى أمانيهم، فهل هم يملكون ما هو أسمى من عقولهم وتفكيرهم.

لا يوجد ما يدل على وجود بشار ونظامه في هذه المنطقة، ولا حتى اسمه الذي كان يُسبَق بشتائم أو ينعت بصفات لاحصر لها (ابن الحرام، اخو بشرى، ابن انيسة، الكلب، البطة)، لقد رفض الجميع وجود النظام بجميع رموزه ورمزياته وكل ما يدل عليه. وبقيت مدرسة "رفعت دحو" ، وحدها، تحمل صورته على لوحتها، بالقرب من معسكر الطلائع الذي يحوي على كتيبة عسكرية وبعض رجال الأمن، وهو الملاصق لمخيم الرمل الفلسطيني.

اتجه قسمٌ كبيرٌ من المتظاهرين في ساحة القدس إلى المدرسة عن طريق شارع المخيم الرئيسي، ووصلوا إلى المدرسة المذكورة، عندها قام أحد الأشخاص بتسلق جدار المدرسة لإسقاط لوحة عليها صورة بشار، موضوعة في أعلى الجدار، وما كاد يصل حتى بدأ إطلاق نار كثيف من معسكر الطلائع باتجاهه وباتجاه من معه من المتظاهرين، وبدأ الجميع يهتف بكل ما أوتي من طاقة (الشعب يريد إسقاط النظام) ويزداد مع الهتاف إطلاق النار.

فجأةً، تم رمي قنبلتين باتجاه المتظاهرين، إحداها قنبلة صوتية، وسقط من حاول إزالة صورة بشار شهيداً مضرجاً بدمائه، فعاد المتظاهرون من حيث أتوا وتمترسوا في الشوارع والأزقة، وسحبوا جثمان الشهيد وطافوا به في رقصة الوداع الأخير.

تم استدعاء زوارق البحرية التابعة للجيش، والتي حضرت بعد نصف ساعة، وبدأ إطلاق النار منها ومن جميع الحواجز ومن معسكر الطلائع، وبدأ هجوم مسلحٌ مريع عل اللاذقية، وانهمرالرصاص من كل حدب وصوب، وسقط ثلاثة شهداءٍ آخرين والعديد من الجرحى.

كانت ليلة من أطول الليالي على الجميع، لا أحد كان يعلم متى تنتهي وكيف ستنتهي.

الجميع يطلقون النار باتجاه كل شيء، كانوا يتعمدون نشر الرعب والهلع، إضافة إلى إطلاق النار على خزانات الماء في حقد لم يمر في تاريخ البشرية إلا لدى أعتى الأعداء وأقذرهم.

هل تخيلتم مشهد الأطفال والنساء والرجال وهم يُنزَوون في غرفة بعيدة كي يتّقوا الموت المحيط بهم من كل الجهات، «تشهدوا يا أولاد، أقرأوا القرآن، استغفروا، ادعوا، قولوا يا رب

سلم سلم»، قالتها الأم لأبنائها الذين تدرعوا بها لقد اعتقدوها ضد الرصاص والقذائف، ما أعظم هؤلاء الأمهات كيف يكون همهن في مثل هذه الساعة تثبيت أبنائهن على الحق ؟!

بعد حوالي الثلاث ساعات هدأ القصف وإطلاق النار، وما لبث أن عاد مع عودة المتظاهرين إلى التكبير(الله أكبر)، لا ينتهي التكبير هنا ولا الهتاف.

ماذا يملك هؤلاء حتى يبارزوا النظام بكل تلك المقدرة وروح التحدي؟!!

أجلس برفقة بعض عناصر الشرطة المقربين مني كاليتامى بين قطيع من الحاقدين، نسمع تعليقات حاقدة غبية لأنهم ببساطة جُبناء، كلما سمعوا صوت تكبير اختبؤوا كالجرذان تحت الأسِرّة، يسكُنهم الرعب والخوف من الشعب الذي بارزوه طيلة السنوات الماضية بكل الآثام والحقد واعتبروه مجرد قطيع من عبيد يعمل في مزارعهم، لقد اعتقدوا أن هذا الشعب قام من بين الأموات ليقتص ويثأر لكرامته وسيحاسبهم، والظالم دائماً يرتعد خيفةً من يقظة المظلوم.

- "خليهم بيستاهلوا قال بدهم حرية، قال لهم سيادة الرئيس اقعدوا أنا بصلح الأمور، بس هم شعب لا يفهم يحتاج دعس" ..يقول أحد العناصر الطائفيين.

تقتلك الأسئلة المتكررة في عقلك من نحن؟!ونحن مع من؟!! ولماذا نقف كالحائط وماذا نفعل هنا؟!! أليس هؤلاء شعبك؟!!...

وألف مليون سؤال .

ينتهي اليوم قرابة الساعة الثالثة فجراً، حيث الشوارع قد أقفرت، ولم يتبق سوى أصداء صوت صرصار ينادي أنثاه ، وكأنه أصمٌ لم يسمع صوت الرصاص المنهمر قبل لحظات.

لقد أشرق الصباح أخيراً، صباحٌ ينبئ بأربعة شهداءٍ بينهم

شهيدٌ فلسطيني هم حصيلة الليلة الطويلة.

صار الموت هنا اعتيادياً كشرب الماء؟!! قَدَرٌ لا بد منه، قدرٌ كالخبز يقدم في طعامنا؟؟

عرس الشهيد صار من طقوس الحياة اليومية لأهالي الرمل الجنوبي، يحملون الشهيد على الأكف فوق الرؤوس ولكأن الشهيد هو من يحملهم ويقودهم في مظاهرة أخرى.

برزت مشكلة هنا في مكان الدفن، فالمقبرة محتلة من قطعان الجيش، وتبقى أجساد الشهداء في منازل ذويها ساعات بانتظار الدفن، ثم قرر الأهالي اختيار حديقة صغيرة أمام فرن يدعى فرن غزال.

الفلسطينيون كانوا أشد المتألمين في الليلة السابقة، لقربهم من معسكر الطلائع ومواقع الجيش والأمن فيه، ولاعتقادهم أن إطلاق النار والقصف تركز عليهم، لكن الوحوش كانت عادلةً فهي لم ترحم أحداً هناك!

الثورة هنا جعلتنا أخيرا شعبا واحدا، الفلسطيني والسوري واحد.دفن الفلسطينيون الشهيد أمام مدرسة الأونروا قبالة المختار، إلى جوار حائطٍ رُسِمت عليه خريطةٌ لفلسطين وعبارات العودة، والشهيد عاش ومات ولم يعرف عن فلسطين سوى لوحة الجدار خلفه!.

جن جنون النظام والأمن، فهو لايريدنا أن نكون والفلسطينيين شعبا واحدا، ولا يريدنا أن نحيا ولا أن نموت ولا أن ندفن إلا بطريقته ،

ويجب أن يضع بصمته الحقيرة في ورقة نعوتنا. بعد مفاوضات شاقة بين رؤساء الفروع الأمنية ولاعقي حذاء السلطان من رجال دين، وبين أهالي الرمل وذوي الشهداء، اتُفِق في النهاية على نقل الجثث إلى المقبرة

وحضور شخص واحدٍ من ذوي الشهداء وعدم التعرض له. كانت تلك العملية ترمي إلى أن لا يتم توثيق شيء بالتصوير ولاغيره، وأن لا يبقى دليلٌ على إجرام النظام ، وحتى لا يكون الشهيد المحرك والمحفز لأهالي الرمل كلما هدأت المظاهرات والغضب.

ولكن هيهات هيهات، كل ما فات فات و ثقب النور في هذا الظلام قد اتسع ولم يعد بالإمكان إغلاقه.

الإثنين ٢٠١١/٦/١٤ الساعة حوالي الحادية عشرة صباحاً، طلب مني قائد الشرطة ورئيس القسم العميد محسن الذهاب إلى المقبرة وحضور الكشف القضائي والطبي على الجثث وتنظيم الضبط الجنائي اللازم.

كان الجو كئيباً جداً على الجميع ، لقد صمت الرمل صمت جبالٍ في جوفها البركان تنتظر الأمر الإلهي لتنفجر.

وجوه الناس لا تخبرك سوى عن مشاعرٍ اختلط بها القهر والحزن والغضب.

وصلت سيارات إسعاف، وأخرجوا جثمان الشهيد الفلسطيني وجثامين شهداء الرمل الثلاثة، وتم إحضارهم إلى المقبرة، يرافق كل جثمان شخص من ذوي الشهداء. قمت أنا ومن معي بتقديم واجب العزاء للجميع، ثم تم وضع الجثامين في غرفة غسل الموتى في المقبرة، كانت جثامين الشهداء ملفوفةً بقماشٍ أبيض وموضوعةً ضمن كيس الجثث.

القاضي والطبيب الشرعي لم يحضرا إلى الآن!، قمت بالإتصال بهما إلا أنهما خائفين ويرفضان الحضور، طمأنتهما أنه لا يوجد غيرنا في المقبرة وحولنا عناصر الجيش.

أذن الظهر ثم مضت ساعة، لكنهما لم يحضرا؟!!، ذوي الشهداء بدأوا يفقدون أعصابهم: "يا اخي قلتم لنا أحضروهم فأحضرناهم أين القاضي والطبيب الشرعي".

-صلي على النبي أخي ، شكلهم خائفين ما عندهم الجرأة حتى يأتوا.

-عليه الصلاة والسلام، لن نأكلهم، يخلصونا والله ما بدنا شيء.

قمت بالاتصال بالمحامي العام سهيلة، وإعلامها عن عدم حضور القاضي والطبيب الشرعي، كونها على دراية بالموضوع وهناك اتفاق مسبق بما علينا عمله.

بعد حوالي ربع ساعة وبسيارة النجدة حضر القاضي والطبيب الشرعي، والخوف بلغ منهما حداً لا يمكنهما إخفاؤه على وجوه مصفرة.

قمت بالسلام عليهما وقام القاضي بإمساك يدي وهمس بأذني "أمان، يستر عرضك نحن بحمايتكم لا نحتمل هزةً واحدة، ليس لدينا القوة".

-أمان أستاذ لا تخاف، الذي يصير علينا يصير عليكم، بعدين نحن بعيدون ما في غيرنا هنا، وهذا الجيش حولنا.

-طيب خلينا نبدأ وخليك أنت إلى جانبي لا تفارقني.

-توكل على الله.

دخلنا إلى غرفة غسيل الأموات، تم إحضار الجثمان الأول والثاني، وخلال عشر دقائق تم الكشف وأخذ أقوال ذوي الشهداء، والإفادة كالعادة كانت: مسلحون مجهولون ولا نعرف من أطلق النار.

أحضروا الشهيد الثالث وقد هالني المنظر كثيراً، فهذا الشاب أعرفه جيدا، قد كان موقوفاً لدينا بجرائم سرقة ولعدة مرات آخرها منذ بضعة أشهر، لقد أصبت بصدمة وخرجت للخارج وعيناي تدمعان، شاهدني أحد ذوي الشهداء وقام بإعطائي منديل وقال :»طول بالك وصلي على النبي سيادة النقيب».

مشيت بعيداً أحدث نفسي عن سبب دموعي وما الذي يجمعني وهؤلاء الشهداء، ربما هي الثورة؟ ربما هو القهر؟

ربما هو الموت؟! الحقيقة الوحيدة المطلقة في أيامنا هذه؟ ربما كقريب تبكيه حين تعلم بوفاته!.. وربما لأنني ماعدت أستطيع احتمال موقعي في هذه الوظيفة، وأنني لست بين أفراد الشعب الثائرين؟!

عدت في نهاية الكشف وبعد إخراج الجثامين الثلاثة إلى القبر.

أما الشهيد الفلسطيني، فقد كانت الجثة في حالة التعفن والانتفاخ لم نستطع فتح الكيس أكثر من دقيقة واحدة، ومضى الكشف على عجل وبعدها تم دفنه مباشرة.

وكأن الشهيد ازدرانا جميعاً، فهو قد أعلن رفضه لأن نطل إطلالتنا الأخيرة عليه، عاش حراً ومات حراً رافضاً لكل من في النظام، حتى الموظفين من أمثالنا.

***

ودعنا المقبرة وعدت إلى مقبرتي في القِسم ورائحة الموتى توقظ في نفسي شعور القهر والخذلان.

الجميع ممن حضر هنا عدا المتوحشون، يقتلهم صمت مطبق ولسان حالهم يقول كأم المسيح: (يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسيا)[1].

****

١ القرآن سورة مريم الآية ٢٣

واحد عمّر غرفتين حتى يسكن وتريد لنا أن نقوم بهدمها؟
وآخر سارق الدنيا ولا أحد يلومه؟!

انتصار المبدأ
٢٠١١/٦/٢٩ الثلاثاء

لقد ولت أيام الوقوف بعيداً، و انقسم قسم الشرطة إلى ثلاثة أقسام، اتضحت التوجهات واصطف كل واحد فينا وانحاز إلى إيمانه وعقيدته ومبدئه، فحاقدون خائفون من ظلهم هنا، و مترقبون لمن الغلبة مؤثرين الصمت في أشد صور ذل النفاق هناك، ونحن.. المحترقون الذين آثرنا أن نفعل أي شيء، ونضع ما أمكن من خبراتنا ومعرفتنا بين أيدي شعبنا الثائر.

العريف محمود يملك سيارةً مدنيةً نوع شيفروليه، كنت استقلها برفقته نتجول فيها بحُرية، على اعتبار أننا نملك بطاقات شخصية مدنية وبطاقات شرطية تخولنا الدخول إلى كل مكان.

كل يوم ننطلق في رحلة لكشف القناصة، وحالة الحواجز العسكرية، ومواعيد تبديل نوباتهم، ونحصي أسلحتهم وما يملكون من إمكانيات، ونبحث عن العملاء والمخبرين و تحركات آل الأسد وأيمن جابر ومن معهم من قطعان الشبيحة[1]

١ **الشبّيحة** ومفردها شبّيح وهو مصطلح عامي يُطلق على الأفراد الذين يستخدمون العنف والتهديد باستخدام القوة لخدمة شخص نافذ وذلك لابتزاز وارهاب الناس،في نهاية الثمانينات انتشرت ظاهرة قديمة المدن الحدودية وهي التهريب بشكل كبير وانخراط الكثير بالعمل في هذه المهنة اللاقانونية ومن أهم المهربات المواد الغذائية والألبسة والأدوات الكهربائية تحديداً الأجهزة التلفزيونية : ذلك أن إنتاج شركة «سيرونكس» كان لا يغطي الطلب والأسعار المرتفعة بالإضافة إلى تهريب الدخان الأجنبي. فانتشار ظاهرة تهريب الدخان تجلى بعصابات مسلحة مكونة من العاملين

وإقاماتهم، يساعدنا في ذلك بعض الرجال الموثوقين، ثم نزود بهذه المعلومات بعض رجال الثورة ومحركي الحراك الثوري في اللاذقية وفي الرمل الجنوبي خاصة، ومن بينهم الحجي الشامي الذي كنا نقابله بمقصف المرعب في جبلة[1] كمكان بعيد لا يعرفنا فيه أحد، وكنا قد مهدنا لمجيئنا إلى هنا بزيارات عادية نشرب القهوة ونتناول الغداء ونلعب الورق الذي لا أتقن فيه غير لعبة الباصرة[2]، كنوع من التمويه إن صحّت تسميته كذلك..

عززت علاقاتي مع كل الضباط من مختلف المشارب، وكان الرابط الأسمى مع الرائد (عدنان من حمص) معاون رئيس قسم الشيخ ضاهر، والذي كان محاطاً بكم هائل من الطائفيين الحاقدين وخاصة رئيس القسم العميد منصور من دروز إدلب.

كان الرائد الرائع كالإعصار الهادر لا يقف في وجهه شيء، رجل بما تحمله الكلمة من معنى في مدلولها السوري، لا يخشى في الله لومة لائم.

أما علاقتي الخاصة جدا، فكانت مع رفيق الدرب الرائد (محمود من حماة) قسم هجرة المرفأ، الدمث المحبوب الإنسان صاحب الأخلاق العالية، كان لا يمر يومٌ دونما لقاء، نتعلل بالآمال نرقبها ونبحث عن فسحة الأمل، نتبادل المعلومات والتحليلات حول الأمن والجيش الذي انتشر في الشوارع كالذباب.

في سلك التهريب وكل مجموعة تتبع شخص معين من أصحاب النفوذ ومصطلح شبيحة أطلق على هذه المجموعات تقريبا في منتصف التسعينات ولاحقاً أصبح مصطلح التشبيح يطلق على كل عمليات التهريب أو البلطجة. بعد الثورة صار مصطلح محلي يطلقه أهل المنطقة الساحلية في سوريا، على مجموعة من القوات المسلحة غير النظامية..المصدر ويكيبيديا

١ جبلة هي مدينة ومركز منطقة جبلة في محافظة اللاذقية في شمال غرب سوريا. تطل المدينة على البحر المتوسط، وتبعد مسافة ٢٥ كم جنوب اللاذقية..ويكيبيديا

٢ الباصرة أو لعبة حرامي هي لعبة ورق وعدد اللاعبين اثنين أو أكثر. هناك أقوال أنها اختراع عربي وأنها تعود للتراث العربي حيث انه ليس لها أي جذور غربية..ويكيبيديا

في أحيان كثيرة كنا نعقد اجتماعنا في مكتب العميد (تركي) معاون قائد الشرطة الذي كان مثلنا في البحث عن كل الوسائل لخدمة الشعب الثائر، ونحاول بكل الطرق لمساعدتهم، فننقل الخبرات والمعلومات التي نحصل عليها من النظام وفروع الأمن ونبين لهم كيفية التعامل مع الأمن والجيش ونقوم بتحليل الموقف العام وغيرها مما كنا نعتقد أنها مساهمات، والتي كانت -في نظرنا على الأقل- نوع من الهروب من تأنيب الضمير، ومحاولةً لإرضاء الوازع الوطني والأخلاقي والديني.

اليوم الثلاثاء ٢٠١١١/٦/٢٩ اتصل بي قائد الشرطة ، وأمرني بمرافقة عناصر المحافظة وشرطة البلدية وشرطة حفظ النظام ، الذين حضروا لهدم مخالفات البناء في منطقة عين التمرة التابعة لمنطقة عملي، فجن جنون العميد محسن رئيس القسم:

- "ماذا يريد هؤلاء ؟!!هؤلاء يريدون أن يشعلونها حرباً، يلعن أبو هكذا عقول وهكذا تفكير، لك شو يحكي الواحد، إخرج يامحمد أمرك لله".

أجبته على الفور:" لا والله لن أخرج ، أنا تشاجرت مع العقيد غياث الذي كان قبلك، بسبب مخالفات البناء، قلت له أنا لن أخرج لأهدم بيوت الناس على طريقة إسرائيل، وافعل ما تريد بي ، واحد عَمّر غرفتين حتى يسكن وتريد لنا أن نقوم بهدمها؟ وآخر سارق الدنيا ولا أحد يلومه؟! ، لا والله لن أخرج، بعدين يا سيدي تعال لأقول لك؟!! كيف سيقومون بالهدم، والدنيا تغلي والناس في حالة غضب وهياج؟!! من قال لك أننا أناس بلا عقل ولا تفكير؟!! لن أخرج ، وافعلا أنت وقائد الشرطة ما تريدون".

قال مهَدئاً:

-يا محمد نحن نعمل في وظيفة الشرطة، وعلينا أن ننفذ الأوامر، ليس الأمر على هوانا ، الأوامر تقتضي أن نرافق موظفي البلدية لنحميهم ونحن مجبورون على ذلك، شو أنت معك بلدوزر أو مهدة؟؟[1]، لاعلاقة لنا بعمل البلدية، عملهم الهدم ، وعملك أن تحميهم.

أجبت جازماً:

-لا تعذب نفسك لن أخرج حتى لو وضعتموني في السجن، أخرج العقيد نضال، فأنا قررت بأنني لن أخرج.

قال في تعاطف وتوسل :

-يا محمد، هذا العقيد جحش، بيروِّح الدنيا، ويمكن يساوي لنا مشكلة نحن بغنى عنها، لن نكون سبباً ليقوم بإيذاء الناس، والله إن الشعب فقيرٌ ومعدم ولاحيلة له، لكن والله ما باليد حيلة .

-سيدي اتصل بقائد الشرطة، أخبره :محمد لن يخرج، اتخذ إجراءاتك ، رفض أمر عسكري.

حوّل جهة الحديث متحدياً:

- شو صار لك يا محمد، هل أنت خائف؟؟، خليك قبضاي[2] كما أعرفك!!

قلتُ متهكماً: خائف؟؟ ولا أريد أن أنفذ الأوامر؟؟ أنت تعرف أني أقف ضد مئة رجل، لا أخاف غير من خالقي، لكن هذه المخالفات لن أقترب منها، حلفت يميناً منذ أيام العقيد غياث.

-يا محمد من أجل الله الذي تعرفه ، اذهب بلا ما يصير مشكلة لها أول ومالها آخر، دائما تدافع عنهم وتقول شعب فقير، اخرج ودافع عنهم و احميهم، بلا ما يدخل الجيش ويبدأ قتل وضرب ويساوي مصيبة.

---

١ بلدوزر Bulldozer. بلدوزر: جَرّافة: جرافة لشق الطرق .معجم عربي إنكليزي.مهَدّة (اسم): كَسّارَة..معجم المعاني الجامع وكلتاهما تستخدمان من قبل البلدية لأعمال هدم مخالفات البناء.

٢ قبضاي : كلمة تركية تعني الرجل الرابط الجأش القوي القلب الشامخ بالأنف، الرجل الجلد القوي القلب، شبان الحي من ذوي الجريمة، متشجع .معجم المعاني الجامع

-لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، طيب رايح وغصباً عني .. لكن قسماً بالله إذا بصير شغلة ما تعجبني، لأساوي مشكلة تسمع فيها سوريا.

ضحك العميد وربت على كتفي وقال: «أقسم بالله أني أحبك مثل أخي الصغير، روح الله يحميك».

تلك الكلمات الصادقة والصادرة من شخص لا ينتمي إلى إنتمائنا الديني، ولكن الوطني والإنساني، كانت كافية لأكِنّ له الاحترام والتقدير ما حييت، بغض النظر عن بعض أخطائه الأخرى، فكم ممن يجمعني الدين بهم وفرقنا المبدأ والأخلاق.

خرجت في دورية شكلتها من كل العناصر الذين يقفون معي في نفس الصف، ووصلنا إلى المكان المذكور، شاهدت جمع غفير من عناصر الشرطة يرأسهم الرائد الطائفي (الحاقد لؤي من طرطوس)، معاون رئيس قسم البلدية، الموصوف بغرابة الأطوار والتصرفات اللامسؤولة، وهو كان يعيش سابقاً في دمشق لذا كان يتكلم بلهجة دمشقية مخلوطة بالجبلية الساحلية.

كان الكل قد تجمع في طريق الحرش مقابل المنطقة المستهدفة في عين التمرة.

تقدمت نحو الرائد لؤي فاستقبلني:

-أهلاً محمد.

-أهلاً معلم.

-كيف سندخل للداخل.

-والله لا أعرف، تفضل أنت، بالأوقات العادية لا نقدر أن ندخل لنلقي القبض على واحد مطلوب، الآن تريدنا أن ندخل؟!...

تدخل مهندس البلدية (وائل) المشبع بالرشوة واللصوصية وقال:

-لا تخافوا اتفقت معهم سنضرب المخالفة ضربتين ونمشي.

-طيب انزل واحكي مع الناس.

تقدم مهندس البلدية من الجمع الغفير، وتكلم مع صاحب المخالفة، فيما يدل على أنه كان قد تلقى رشوة قبل هذا منه، تكلما ثم أشار لنا ولآليات البلدية للنزول.

نزلنا إلى المنطقة كونها أخفض من مستوى شارع الحرش، وهي بالأساس لا تبعد أكثر من ثلاثين مترا عن مكان تواجدنا.

قامت الآليات وكما وعد المهندس بهدم جدارٍ فقط.

لكن الرائد الطائفي لؤي اشتعل غضباً، وطلب هدم المخالفة كاملة، قمت بإمساكه من يده وقلت له : "يستر عرضك مشيها بلا ما تولِّع الناس".

قال وبصوت عال وبلهجة جبلية بغيضة: "بدي هدلهن ياها، وربيهن"

جن جنوني وقلت له: "لا تتحدث بهذه اللهجة هنا، فالناس مشاعرها مؤججة، وهذه اللهجة تبين أن الوضع سيُفهم أنه طائفي".

لكنه لم يستمع وبدأ بالصراخ بصوت عال: "بدي ربيكن بدي هدلكن ياها كلها، بدكم تعمروا مخالفات تتسكنوا، مفكرين آفي دولة".

صرخ أحد الأشخاص من بعيد: "أنتم شاطرين علينا بس، أما الدعتور ودمسرخو[1] فلا تستطيعون أن تقولوا لهم شيئاً»

لاحظت وجوه الناس التي اختنق الدم بها، فأومأت لعناصري الذين تجمعوا حولي وقلت لهم :

- الوضع سوف يشتعل يا شباب، واحد واحد ينسل لفوق لشارع الحرش.

بالفعل بدأ العناصر بالانسلال، وبقي إلى جواري المساعد محمد من إدلب وقال:

-يا سيدي أنا ما بفارقك، سوف أبقى معك.

---

١ أحياء ذات غالبية علوية،وهي مشابهة للرمل الجنوبي كونها أحياء مخالفات بناء وكانت البلدية تتجنب إزالة المخالفات بها كونهم من طائفة الرئيس. راجع ويكيبيديا

لكني رفضت ذلك وطلبت منه الرحيل، إلا أنه أصر وبقي إلى جواري.

استمر الرائد لؤي بإطلاق الوعيد والتهديد والتحدث بلهجته التي يعرفها الجميع وخُزِّنت لديهم كمفهوم للتسلط والإذلال.

بعد قليل حضر أحد أصدقائي من الناس المتجمعين:

-معلم كيفك.

-أهلاً أبو صطيف.

-لِم هذا يهدد ويعوي؟!.

-لأنه ابن حرام وابن ستين ألف صرماية.

-يعني أنه ليس معكم، ما أنتم كلكم بالشرطة؟!!.

-أعوذ بالله ما عنا هكذا حثالة، ما بتعرفهم، نحن طالعين غصباً عنا معهم، وليس العكس.

-الحمد لله أنك أخبرتني، الناس تقول ليش النقيب محمد حضر معهم، يرفضون اتخاذ ردة فعل على هذا الرائد ومن معه، لأنهم فهموا أنك قائد الحملة وأن الرائد تابعٌ لكم.

-وأنا مستغرب لماذا الناس صامتة و تتفرج !، الله وكيلك أنا ما دخلني بالقصة، يلعن أبو هكذا بلدية ومَن فيها وهكذا رائد.

-خير معلم، الله يجعلك بخير، هل تريد شيئاً.

- السلامة، هل هناك شيء ستخبرني به؟

-لا .. ولكن أنت لا تتدخل فيما سيحدث!

-لا تخاف عناصري كلهم فوق بطريق الحرش، وبقيت هنا أنا والمساعد.

-طيب توكل على الله.

بعد قليل حضر أربعة رجال مدنيين في الأربعينيات من العمر وقاموا بتطويقي وقال أحدهم: «معلم يسلم عليك أبو صطيف، لا تتدخل بالموضوع، نحن معك».

-طيب بس المساعد محمد معي هو أيضاً.

أشار أحدهم ، فحضر شخصان وقاما بتطويق المساعد محمد كذلك، وقاموا بمرافقتنا للخروج من المنطقة، ثم بدأت تنهال على الرائد لؤي وعناصر البلدية الحجارة والعصي الخشبية وما خف ثمنه وثقل وزنه.

التفتُّ للخلف فضحكت بمرارة على منظر الرائد وهو يتحرك كحارس المرمى لتفادي الحجارة.

وقلت لأحد مرافقيّ: « لا نريد دماً يستر عرضكم، بلا ما يطلقوا كل كلاب الدنيا عليكم».

-لا تخاف معلم ، فركة أذن وقص لسان لهذا الحيوان، قال «بدي هدلكن وربيكن»، لنشوف مَن سيربي مَن؟!.

كنا فوق، والرائد لؤي وعناصر البلدية الذين كانوا يلعبون لعبة تجاوز الحجارة والعصي الطائرة، كان الجميع حولي يضحك، وأنا ابتسم ابتسامة التشفي.

استطاع جميع العناصر من شرطةٍ وبلديةٍ والرائد والمهندس الوصول إلينا بعد جهدٍ جهيد، كان مصاباً برأسه بحجرٍ صغير، كنت أضحك ضحك طفلٍ بلعبة، قال: «متضحك ؟!كيف هيك تتركونا وتمشوا؟!! خليتهم يضربونا».

أجبته: «قلت لك :أنك تولعها ما صدقت ، قلت لك: لن يسكتوا والجو ملتهب، ما صدقت ، قلت لك: لا تحكي بلهجتك ما رضيت، بدك تساوي رجل، شرف أرينا مالديك؟!»

-لا أنت حرضتهم علينا!!

انبرى مهندس البلدية وقال: «لا والله يا لؤي أنت مَن ولّع الدنيا، أنت تريد أن تهدلهن ياها كلها وتربيهن، حكي النقيب محمد صح».

ضحكت وقلت له : كيف تكذب نفسك أنك لست أنت السبب؟!!.

-سوف ترون!.

قام بالاتصال بقائد الشرطة، وتنحى جانباً وبدأ يهمس بالهاتف.

بعد قليل اتصل قائد الشرطة بي :«كيفك محمد، ماهي القصة».

فأخبرته القصة بحذافيرها وقلت له : «مهندس البلدية يريد مقابلتك، ويحكي لك القصة نفسها».

«طيب تعالوا لعندي». قال قائد الشرطة.

قمنا بسحب العناصر وآليات البلدية من المكان، وتوجهنا أنا والمهندس والرائد لؤي إلى قائد الشرطة.

أحد المخبرين في المنطقة وللأمانة أخبر قائد الشرطة الرواية السابقة، واعتبر الرائد لؤي مسبب الحادثة الوحيد.

قام قائد الشرطة بتعنيف الرائد لؤي ولومه وطلب منا الانصراف،

***

عدت إلى القسم وأنا أتألم من الضحك، أخبرت العميد محسن المرشدي فضحك بدوره وقال:» صار ماتريد، هل فرحت؟».

فقمت بتقليد لهجة لؤي: «لكن بدي هدلكِنّ وربيكِنّ، هذا الرمل الجنوبي ما الدعتور».

فضحك حتى انقلب على كرسيه، ومع أنه يتحدث هذه اللهجة الجبلية -كون الطائفة المرشدية منشقة عن الطائفة العلوية وتسكن بالقرب من مناطقهم الجبلية- إلا أنه لم يظهرها كثيراً هنا، وحاول التأقلم مع لهجة المحيط.

*****

- «ولك جعفر شو مجهز حالك؟».
- «والله حاطط ببالي أقتل مئة كلب من هؤلاء السُّنّة».
- «قرد ما تفلت كتير على نسوانهم»،قالها ساخراً.

ثم بدأوا يقهقهون ويضحكون وكأنهم يعملون في ملهى ليلي.

من هنا من شرفة مكتبي كنت أشاهد عناصراً من الجيش وهم يطلقون النار على أرجلهم، حتى لا يزجوا في المعارك في الداخل.

الاقتحام
٢٠١١/٨/١٥

كعادتي خلال الشهور الأربعة الماضية وصلت مبكراً إلى عملي في قسم شرطة الرمل الجنوبي،وكوننا في حالة استنفار منذ أول أيام الثورة، وقسم شرطة الرمل الجنوبي يملك ساحة ضخمة، والجيش بأمرة العميد (رشيد صافية) في القوات الخاصة فوج (٥٣)،كان قد احتلها واحتل سطح القسم المكون من ثلاث طبقات، أنا أحضر إلى العمل يومياً فألتقي بهؤلاء فأزداد بؤساً على بؤسي، فمناظر السلاح المنتشر ووجوه مقيتة يختنق فيها الحقد وضحكات وحوش بأنياب حادة، وأصوات متعجرفة متكبرة تعبر عن كرههم لكل من لاينتمي لهم، وتنظر لهم بأنهم مجرد قطيع من الحيوانات يجب سحقه، كل تلك المعاني كانت تشعرني بأني في مكان خاطئ وزمان خاطئ.

دخلت القسم وأنا أشاهد اليوم وضعاً مختلفاً،فالجميع هنا قد أتم استعداده وتدرع ولقم بندقيته وتجهز بجهازه العسكري ، قطعان من الوحوش امتلأ بهم المكان، أرى لهاثهم البغيض المقرف، وأسمع عباراتهم الطائفية المقيتة .

- «ولك جعفر شو مجهز حالك؟[١]».

---

١ لهجة ساحلية جبلية تعني ويل لك يا جعفر هل أعددت نفسك ؟

- «والله حاطط ببالي[1] أقتل مئة كلب من هؤلاء السُنّة».

- «قرد ما تفلت[2] كتير على نسوانهم»،قالها ساخراً.

ثم بدأوا يقهقهون ويضحكون وكأنهم يعملون في ملهى ليلي.

صعدت إلى مكتبي في الطابق الثاني والذي يملك شرفة تطل على الساحة، كان صوت العميد الطائفي رشيد عالياً وهو يشحن القطيع (قوات البحرية والقوات الخاصة) بنكات تافهة ويشد عزائمهم بعبارات ساقطة يقول: «بدي تنيكوا أماياتن[3]، ما تخلوا واحد منهم يطالع صوته ضد سيادة الرئيس، بدهم حرية هؤلاء الخنازير» ؟؟

الجميع يضحك أو يتصنع الضحك، أتفرس الوجوه من فوق كان الخوف مسيطراً على الجميع أشم رائحته من هنا. يحضر العريف محمود إلى غرفتي وهو يشتم هؤلاء الطائفيين، النار تشتعل في داخلي وبين عينيه، ربما نحن الوحيدان هنا اللذان لم يطالنا الخوف، وهذا عائد ربما للغضب الذي ملأ قلبينا ، وربما بسبب العجز الذي يسكننا.

ودون سابق إنذار أو ارسال تحذير للسكان، وبعد أربعة أشهرٍ من الحصار الخانق للمنطقة، من قبل الجيش وعناصر الأمن العسكري المنتشرة على الحواجز برفقة الجيش، ومن قبل قناصي المخابرات الجوية المتمركزين حول المنطقة، ومن بقية الفروع الأمنية التي تجيء وترحل بين الفينة والأخرى، وبعد كل مافعلوه بحق المتظاهرين من قتلٍ واعتقالٍ وإطلاق نار أوقع إصابات عديدة، تبدأ عملية الهجوم الشامل على منطقة الرمل الجنوبي لاحتلاله.

١ وتعني قررت بيني وبين نفسي.

٢ وتعني أنه يطالبه متندرا بعدم الإكثار من اغتصاب النساء!..

٣ شتائم تمس الأمهات.

يبدأ الإقتحام برمايات عشوائية من رشاشات (bks) مثبتة على سطح القسم وفي معسكر الطلائع ، تدخل الدبابات من جانب البحر في حي الشاليهات ، تطلق الزوارق البحرية النار من ألسنة مدافع (٢٣)، ويبدأ الجنون الذي لا ينتهي. كانوا يطلقون النار على المنازل والمآذن والمحلات المقفلة في حقدٍ طائفي رهيب، يطلقون على كل شيءٍ في طريقهم، يطلقون النار من أجل إرضاء كرههم البغيض.

«قوِّس[1] لا تخاف كلهم يشبهوا بعض، ما في مدني بين هؤلاء الخنازير، حتى الطفل مشروع خنزير، قوِّس الكل» قالها الضابط الملازم لأحد العناصر قبل الدخول إلى داخل الرمل.

يا لله !!وجدت نفسي كجدار المكتب عاجزاً ، لا أملك أن أفعل شيئاً، الاتصالات كلها مقطوعة لا أعرف ماذا يجري في الداخل، مرت أفكار جنونية في رأسي، سأحمل بندقيتين وأقتل الجميع هنا وليقتلوني بعدها؟ سأبحث عن طريقة للقتل والهروب؟ لكن إذا قُتلت فمن الذي يستفيد؟ هم يحتاجون لمبرر واحد ليظهروا أنهم يتعاطون مع مسلحين، وإذا قتلت منهم سيزيد توحشهم، وهل أديت واجبي تجاه شعبي؟ هل أستطيع مساعدتهم بطريقة أخرى؟! ، يكاد تواجدي هنا يمزقني، في كل نظرة أرى فيها هؤلاء وحقدهم، أنا أختنق في أنفاسي، ودقات قلبي أحسها كمطارق تنخر صدري، ماذا أفعل يارب هنا ولماذا وضعتني في هذا المكان؟!، يارب ألهمني ماذا أفعل ، آلافٌ من الأفكارٌ تأتي وتذهب، آلافٌ من الأسئلة والادعية وحالة الضياع والتشتت تزيد من قهري ودموعي.

---

١ قوَّسَتِ السَّحَابَةُ : تَفَجَّرَتْ عَنْهَا الأَمْطَارُ. معجم المعاني الجامع. وهنا معناه أطلق النار

أصعد أنزل، أذهب يميناً شمالاً، أريد أية معلومةٍ لكن لا أحد يعرف ما يجري في الداخل، لانسمع هنا إلا أصوات رصاص وانفجارات.

بعد حوالي ساعتين ، دخل النقيب في الجيش علي، الذي تعرفت عليه خلال الأشهر الماضية كان أقل المتوحشين توحشا.

-لك شو الأخبار يا علي.

-والله خردقونا يا معلم، ما الكل يشتغل بالبحر و يعرف أن يصنع ألغاما، قتلوا منا مئة عسكري وما قدرنا نتقدم أكثر من معسكر الطلائع.

كانت كلمات علي برداً وسلاماً عليّ.

-يعني شو يا علي.

-والله آبعرف.

نداء على اللاسلكي "يا سيدي إنهم يخرجون من البحر مثل الجن".

-كرر.

-يا سيدي هناك مسلحون يركبون خيلاً،ويطلعون من البحر في نزلة مسبح الشعب.

-طيب خذ موقعك،سنرسل تعزيزات.

-لك شو يحكي هذا يا علي ؟!!، سألت.

- ما في شيء لكنه يتوهم .

يخرج علي من مكتبي بعدها بقليل .

لقد حضرت تعزيزات من قوات البحرية والأمن ودخلوا إلى داخل منطقة الرمل، وفي المقابل كانت تخرج من منطقة العمليات سيارات الإسعاف مسرعةً.

من هنا من شرفة مكتبي كنت أشاهد عناصراً من الجيش وهم يطلقون النار على أرجلهم، حتى لا يُزجوا في المعارك في الداخل.
هدأت العاصفة في تمام الساعة السادسة و لا أعلم السبب! ثم عادت الاشتباكات المتفرقة وحتى الصباح.

***

في اليوم التالي طلب الجيش من جميع السكان الخروج، وقام بسحب كافة الحواجز من الطرف الآخر في حي سكتتوري وبستان الحمامي وبستان السمكة وعين التمرة، وطلب ممن يحمل سلاحاً الخروج و إلا أباد المنطقة عن بكرة أبيها بالطيران والصواريخ شديدة الانفجار.

الجميع استجاب، وبدأ الخروج قرابة الساعة الحادية عشرة صباح اليوم التالي.

وقفت أمام القسم أشاهد شعبي البسيط وهو يحمل أطفاله وحاجياته وينزح، كان المنظر قمة القهر الإنساني.

كان المنظر كئيبا جداً لا تصفه كل لغات البشرية، كان من بينهم سكان فلسطينيون معمرون ، كنت أسمع صوت أناتهم التي خزنوها من نزوحهم الأول في عام ١٩٤٨

الجحيم
٢٠١١/٨/١٦

وقفت أتأمل العائلات الخارجة من منطقة الرمل الجنوبي، وانظر في أعينهم التي تناديني، كانت نظرات الجوع البشري للأمان ، نظرات الخوف حتى من الهواء والشمس، الخوف من كل شيء ، كانوا يتدثرون بأطفالهم معتقدين أن هؤلاء الوحوش يعرفون الرحمة أو يقيمون وزناً لأي مشاعر إنسانية.
كان المنظر كئيبا جداً لا تصفه كل لغات البشرية، كان من بينهم سكان فلسطينيون معمرون ، كنت أسمع صوت أناتهم التي خزنوها من نزوحهم الأول في عام ١٩٤٨، أعينهم تخبرني ما حدث في اليوم السابق والليلة الماضية.
"يا رب أنا لا أنتمي إلى عملي هذا فخلصني"
لقد صمد الرمل الجنوبي الفلسطيني ببنادق صيدٍ وديناميت صنعه البحارة البسطاء، لم يستطع الجيش العرمرم أن يدخل المنطقة إلا بعد أن فتح الحواجز وأمر الجميع بالخروج.
دخل الجيش "العقائدي" بعد خروج الأبطال البسطاء. الجيش والأمن ينهبون كل المحلات والمنازل الفارغة من أهلها، كما أُحرق بعضها كجيشٍ نازي.
قُتِل حوالي ثلاثين شخصاً مدنياً، و ضابطين، و أكثر من مئتي عنصر من الجيش في هذه الحرب العظيمة، علمتُ من خلال بعض المصادر من بين شركاء الوطن، أن الضباط

الطائفيون قتلوا بعض العناصر التي لم تطلق النار، وقاموا بحرق الجثث ورميها في البحر.

كان الجمع الغفير يمر أمامي وكان يصطف إلى جواري قطيع من الوحوش، عطشى لأي تعبير عن كرامة حتى يتشبثوا به، العائلات تخرج ولا أحد يعلم أين الطريق ولا إلى أين تفضي بهم.

- «حَرِّك أنت وإياه على السريع، مثل الغنم تمشوا». قالها مساعد بالأمن العسكري، أشعل فيّ ناراً تحرقني. وقفت أمام جميع الطائفيين، حتى لا أدع أحد يتلفظ أي كلمة تسيء لأحد، وصرت أقول: «أخي لو سمحتم بسرعة»، كانت تلك رجولتي الوحيدة المتبقية لي في هذا الموقف.

فجأةً، ودون سابق إنذار، سمعت تلقيم بندقية، فالتفت سريعاً لأشاهد أحد عناصر الشرطة من (شركاء الوطن) وهو يقوم بتلقيم بندقيته ، سارعت إلى مسكها و أخذها من يده.

-ولاك[1]، ماذا تفعل؟؟ قلت له.

-يا سيدي هؤلاء قتلوا لي أخي بجسر الشغور في إدلب[2].

-ادخل إلى الداخل بلا فزلكة[3]، ماعلاقتهم هؤلاء بهذا الهراء.

إلا أن عينيه اللتين امتلأتا دماً جعلته يقف في مكانه، قمت بضربه على صدره ودفعه إلى الداخل، ثم الطلب من

---

١ أصلها ويل لك، كَلِمَةٌ تَأْتِي لِحُلُولِ الشَّرِّ وَالعَذَابِ : وَيْلَهُ ، وَيْلَكَ ، وَيْلِي ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلاً لَهُ : الرَّفْعُ عَلَى الابْتِدَاءِ ، وَالنَّصْبُ عَلَى إِضْمَارِ الفِعْلِ فَكَأَنَّكَ قُلْتَ : أَلْزَمَكَ اللَّهُ وَيْلاً. معجم المعاني الجامع

٢ جسر الشغور مدينة سورية تابعة لمحافظة إدلب شمال غرب البلاد, تقع على نهر العاصيوكانت من أوائل المناطق التي شاركت في الثورة السورية .. ويكيبيديا

٣ منحوتة عن فذلك يفذلك ، فذلكة . فهو مُفذلك ، والمفعول مُفذلَك

فذلك كلامَه : أجمل ما فصّله معجم المعاني الجامع

وفي معجم لهجات العرب الفَزْلَكَة : تُسْتَخْدَمُ بمعنى الفلسفة بمفهومها السلبي، فَتُقَالُ عندما يتكلم الشخص بطريقةٍ يَشْعُرُ معها السامع بأنه يتكلم فيما لا يعلم، وأنه يطيل الكلام دون حاجة

عناصر الشرطة الدخول إلى داخل القسم فدخل الجميع.
بعد حوالي نصف ساعة وأثناء وجودي في مكتبي في الطابق الثاني، سمعت صراخاً شديداً، نزلت مسرعاً إلى مصدره في الطابق الأول فشاهدت الشرطي الحاقد حسان جديد من جبلة، يقوم بضرب أحد الأشخاص والدعس عليه والأخير يصرخ، فما كان مني إلا أن أبعدته بكلتا يدي، وسحب الشخص ووضعه وراء ظهري وخلفه الحائط.
- ولاك ليش تضربه ؟!ومَن أنت لتضربه وتدوسه بقدميك؟!.
إلا أنه كان في غيبوبة توحشه والدماء تغلي في رأسه، هجم عليّ ليأخذ الشاب، فضربته ضربة واحدة جعلته يلتصق بالحائط البعيد من قوة الضربة! هؤلاء المتوحشون أجبن من أن يقاتلونا وجهاً لوجه ، فمن بعيد قال لي: "أنت تدافع عن المخربين "!
حضر على أصواتنا قطيع الثيران الحاقدين من بقية عناصر الشرطة،فأخرجت مسدسي وطلبت من الجميع الخروج فخافوا وخرجوا.
ثم التفت إلى الشاب المُرَوّع، والذي لا يدل مظهره إلا على شاب عصري بثياب مغبرة وعين متورمة من الضرب
- شو قصتك أنت .. سألت .
أجابني وهو يتمسك بي ويرتعد من الخوف :يا سيدي أبوس يدك ، أنا طالب جامعة كنت أحمل جدتي لأخرجها،فمسكوني وأحضروني قائلين لي :شكلك من جماعة الحريةوالمظاهرات...
-خلاص اذهب. وأخرجته خارج القسم
هنا دخل العميد الحاقد الطائفي رشيد صافية قائلاً:
"هي ثاني ملاحظة عليك يا سيادة النقيب".

كانت الملاحظة الأولى منذ حوالي أسبوعين، حين أحضر عناصر الجيش بعض الشباب من أهالي الرمل ليتسلوا بهم ويضربوهم، وتدخلت لأخلصهم من أيديهم ، حيث تم لي ذلك بعد توسطي لدى النقيب علي، فبلغ ذلك العميد رشيد فاستشاط غضباً.

كانت النيران قد بلغت في داخلي حداً إما أن أحترق فيها أو أحرق الجميع ، أجبته فورا :

-من أنت لتتكلم معي بهذا؟ وما علاقتك بالقسم؟ أنت ضابط جيش وأنا ضابط شرطة!الا أسمح لك أن تغلط بحرف إخرج خارج القسم . كان المسدس لا يزال في يدي..

- أين معلمك مالي شغل معك. قال

-فوق، فيك تطلع لعنده.

أجبت

-صعدنا سوية إلى مكتب العميد محسن المرشدي[1] رئيس قسم الشرطة المغلوب على أمره، قلت له فور دخولي: «خلي هذا يطلع ولا يغلط علي، أحسن ما يصير شيء لا يعجبه».

صار العميد الطائفي المجرم يبربر بكلمات غير مفهومة وأردف قائلاً: ماشي سنتحاسب يا نقيب محمد!

-إفعل ما تريد.

ثم خرج إلى دون رجعة.

بعد حوالي ساعة حضر قائد الشرطة العميد جمال، واستمع لي ولم أترك شتيمة أعرفها للعميد الطائفي إلا وشتمته بها.

---

١ قد لاحظت من خلال صلاتي مع بعض الأصدقاء ومن بعض العناصر المنتمين للطائفة المرشدية وممارساتهم، أن الطائفة المرشدية في بداية الثورة اختلفت مع الطائفة العلوية في رؤيتها للثورة والتعامل معها، ففي حين أن المرشدينن في غالبهم آثروا أن يبقوا إما بعيدين ويلتزموا الصمت أو يقوموا بالنفاق ومسايرة العلويين ، بينما العلويون في غالبهم هبوا للدفاع عن النظام وقدموا الغالي والرخيص في سبيل ذلك.

كان عميد الجيش الطائفي قد اتصل بوزير الدفاع، وبدوره اتصل بوزير الداخلية وهكذا حتى قائد الشرطة.

فطلب مني قائد الشرطة أخذ أغراضي كاملةً، والانتقال إلى قسم شرطة الشاطئ الأزرق، وعلى عجل قمت بتوضيب أغراضي البسيطة، وركبت سيارتي وانطلقت من القسم ولم ألتفت إلى الخلف ولو لمرة واحدة، قطعت الحاجز الأخير وانطلقت في رحلتي إلى الطرف الآخر.

كنت أجِدُّ في سيري كي أرحل بسرعة عن هذا المكان، ربما هو الخلاص والهروب من عجزي، فأنا لن أستطيع أن أقدم شيئاً بعد الآن لشعبي البسيط هناك، هي محاولة للهروب من نفسي، ومن تعقيداتها وأسئلتها التي تنخر عقلي، تركتهم إلى مصير معلوم في ظل هؤلاء الوحوش. خمسة أشهر من العذاب والقهر النفسي، عشتها هناك بتفاصيلها وما تحمله من قهر إنساني، خمسة أشهر وأنا أقف كالأبله أسمع كل زفير وشهيق،أعيش كل ثانية كأنها ألف عام، معارك النفس مع النفس تقضم كل عمرك لقد سُرِقت أحلامنا وتَهَدَّمت آمالنا بعد هجومهم البربري، الذي لم يرحم حتى نسمة الهواء التي لوثوها ببارود حقدهم.

يالله! هل هؤلاء الذين كانوا يقاسمونا رغيف خبزنا ؟!!هل هؤلاء الذين كنا نشاهدهم في مدارسنا وجامعاتنا وأعمالنا؟!!

نعرف حقدهم الدفين ورائحة إبطهم البغيضة، لكن هذا الانفجار الطائفي الفظيع في وجوهنا لم نكن نتخيله حتى في كوابيسنا.

لقد تركت في الرمل الجنوبي، ست سنواتٍ وخمسة أشهرٍ وسبعةً وعشرون يوماً من عمري، تركتها هناك ولا أعلم من الذي ترك الآخر؟!! هل تركت أنا وطني الصغير ذاك وشعبي الكبير هناك أم هو من تركني؟!!

خرجت ملكاً ضليلاً[1] أضاع ثأره، أبحث عن ابن عادياء[2] ينشدني:

إذ المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكل رداء يرتديه جميل
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها
فليس إلى حسن الثناء سبيل
تعيرنا أنا قليل عديدنا
فقلت لها إن الكرام قليل
وما قل من كانت بقاياه مثلنا
شباب تسامى للعلا وكهول
وما ضرنا أنّا قليل وجارنا
عزيز وجار الأكثرين ذليل

فلطالما أعجبتني هذه القصيدة وحفظت أبياتها، لكن من أين أجد سموأل واحد في هذه الوظيفة البغيضة.

لكن هل انتهت هنا مسؤوليتك يامحمد؟! وهل تستطيع الانسلاخ عن واجبك المقدس الذي منحه الله لك؟!

إن للحرية طعم لا تجاريه حتى عذوبة ماء نبع الفيجة في دمشق، وهل يوجد شيء أقدس من الحرية؟! إنها قدس الأقداس جميعها، هي الصرخة الأولى للإنسان حين مولده، وصرخة المحارب حين يبذل روحه.

***

من هذه اللحظة سيطلق عليّ من قبل المتوحشين وضمن سلك الشرطة (الضابط الخائن)!

١ امرؤ القيس بن حُجر بن الحارث الكندي ٥٢٠) م - ٥٦٥ م)
كان شاعرا عربيا جاهليا عالي الطبقة من قبيلة كندة، لقب بالملك الضليل.. لكثرة ترحاله وتنقله بين القبائل العربية مع نفر قليل من أهله وأعوانه .ويكبيديا

٢ السموأل بن غريض بن عادياء بن رفاعة بن الحارث الأزدي. شاعر جاهلي يهودي عربي، ذو بيان وبلاغة، كان واحدا من أكثر الشعراء شهرة في وقته ،. وكان يملك حصنًا في شمال الجزيرة،ضُرب بالسموأل المثل في الوفاء لإسلامه ابنَهُ للقَتْل على أن يُفَرِّط في دروعٍ أوْدعها أمانةً أمرؤ القيس..ويكبيديا

ما أمقتها من تهمة فمن أخون أنا؟! هل خيانة الرئيس والنظام والسلطة والقهر والعذاب والظلم والطغيان والظلمات والوقوف في صفوف الشعب هي خيانة؟!! ما أجملها من خيانة إذن، و مع أني كنت استشيط غضباً عند نعتي بتلك الصفة إلا أن شيئاً من الإنتماء للوطن والشعب يفرز سعادة داخلية، لقد تبدلت نفسي وخُلقت من جديد، وغضبي تحول إلى كاسرٍ مترقب لن يستكين، فقد كسرت جرة الحذر والخوف ولن تعودَ كما كانت.

*****

ذهب إلى قائد الشرطة وقال له :"يا سيدي هو خائن تكافؤنه، وأنا دمي فداءً للرئيس تعاقبونني؟!"
لقد حوصرت، و تمكنوا مني ، قبل أن أتمكن أنا من فعل أي شيء

رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ ..
٢٠١١/٨/١٨

قام قائد الشرطة بالاتصال بوزير الداخلية محمد الشعار[١]، وقرر أن يتم استبدال معاون رئيس قسم الشاطئ الأزرق النقيب فراس زميل الدراسة والعمل، بي، وتم إسالي إلى مكانه، وجيء به إلى الرمل! ومع أنه ابن بيئة دمشقية عريقة، ويقيم في الأصل في حي جوبر الدمشقي[٢]، إلّا أنه توحش أكثر من المتوحشين الذين عاركناهم وخبرناهم.

من الطرائف أنه ذهب إلى قائد الشرطة وقال له :»يا سيدي هو خائن تكافؤه، وأنا دمي فداءٌللرئيس تعاقبونني؟!«.

وصلت إلى قسم الشاطئ الأزرق، وقابلت النقيب فواز من الرقة، وهو من الدورة التي تليني، فواز ابن عشائر عربية، شاب أصيل لم يلوثه العمل في الشرطة، في نفس سني ذو أخلاق رفيعةٍ وأدبٍ عال، تشعر عند لقياك معه للمرة الأولى أنك تعرفه من ماضٍ سحيق، يوصف باللهجة الشامية (شيخ الشباب)، ومع أنه بعيد عن معاينة الواقع الذي عشته في الرمل الجنوبي، إلا أنه كان من أشد المنفعلين بالأحداث، كان «معتقلاً» مثلي في عمله من قبل سجّانه فراس، لقد تنفس الصعداء حين قابلته.

---

١ محمد إبراهيم الشعار وزير الداخلية السوري منذ ١٤ أبريل ٢٠١١ . وشغل عددا من المناصب الأمنية، بما في ذلك رئيس الأمن العسكري في طرطوس، ورئيس الأمن العسكري في حلب، وقائد وقائد الشرطة العسكرية في سورية. ويكيبيديا

٢ جوبر أحدى مناطق محافظة دمشق، تعرضت لدمار واسع.ويكيبيديا

-الحمد لله على السلامة يا سيدي. واحتضنني احتضان ضائع وجد ضالته.

-أهلاً أبو محمد لا تقول لي سيدي وميدي، يلعن أبو[1] هذه الكلمة كم أكرهها، قل لي أبو عدي أو أي كلمة ثانية.

-على رأسي يا معلم، من زمان تعال يا رجل، نشف دمي.

-ليش الحيوان فراس كان كاتم على نفسك؟!، لا تخف سيأتيه يومه، تكون فيه الكلاب أحسن منه.

ابتسم ابتسامة وكأن روحه عادت إليه من جديد.

تابعت كلامي: هات الجهاز لنشوف الجزيرة شو ناقلة. توسعت حدقتي عينيه:

-يا معلم أخفض صوتك هنا كلهم أولاد كلب، ما في غيري وغيرك والعميد جمال من أهل السُنة.

-خائف منهم، لا تخاف لا يغبروا على خذائك، حقهم ليرة سورية.

-يا معلم أنت أعزب لا وراءك ولا قدامك، أنا ورائي امرأة وأولاد.

-طيب هذا من حقك، أين جهاز التحكم؟

-بس أخفض الصوت معلم من شان الله

-تكرم أخي، تابعت الشريط الإخباري ثم قلت لفواز:

-سأدخل وأسلم على العميد جمال ربما اشتاق لي.

دخلت إلى مكتب العميد جمال الذي عملت معه لمدة سنتين في قسم الرمل الجنوبي قبل نقله إلى قسم الشاطئ بتهمة «صلاة الجمعة»!

-أهلاً أبو عدي، أهلاً بأحلى شب بالعالم الحمد لله على السلامة، والله قلبي كان سيقف، عندماتشاجر معك أولاد الكلب، أعرفك قبضاي ورجل لن تسكت وهذا خوفني أكثر.

ثم قصصت عليه كل ما لديّ عن وحشية أولئك الحاقدين

١ «بلعن أبا فلان» ...باللهجة الشامية : لعن الله أباه ، وهي شتيمة عامية مشهورة ومنتشرة، بمعنى الإهانة والذم الشديد.

وما فعلوه من تشريد الناس وترحيل أهل الرمل وإذلالهم ، فصار يبكي، قلت له:

-والله يا سيدي سيصفوننا واحدا واحدا، أولاد ستين ألف كلب، بس ربك يفرجها وسيقلب الدولاب.

قام بمسح دموعه ثم قال عبارته التخديرية، العبارة القرآنية التي يستخدمها للدفع للاستكانة والتواكل على الله

-(إن الله يدافع عن الذين آمنوا)[1]

فأجبته: «لا إله إلا الله، بس ربنا يقول كذلك: (يا أيها الذين آمنوا مالكم إن قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا).[2]

فربت على كتفي وكأنه يقول لي:» توكل على الله، كلٌّ يفهم ما يرضيه على حسب ظروفه.. حتى أنت لم تستطع أن تنفر»!!.

بعد يومين من وجودي في قسم الشاطئ الأزرق استُدعيت من قبل قسم الانضباط لوجود شكوى بحقي، وقسم الانضباط هذا هو للتحقيق في الشكاوى ضد الشرطة، ويقع في مبنى قيادة الشرطة في الطابق الأول، وهو برئاسة العميد آمال، وهي تشكل حالة فريدة بين الضباط من النساء المتوحشات الموجودات في العمل، فهي ليست من «شركاء الوطن» وإن كانت متزوجة من أحدهم، امرأة بسيطة جداً، ذات شخصية ضعيفة غير قيادية ولا دخل لها بهذه الوظيفة، التي تحتاج إلى شخص ينحي عواطفه جانباً ليحكم على الأمور، وهي المرأة الحنون الطيبة البسيطة جدا، كانت العميد لا تلقى احتراماً من أحد ضمن سلك الشرطة ، كون سلك الشرطة لدينا هو سلك الذكورية الشرقية في قمة فحولتها .. فضلاً عن ماكانت عليه من ضعف ورقّة.

حضرت إليها واستقبلتني بحفاوة.

---

١ سورة الحج الآية 38

٢ سورة التوبة الآية 38

«مرحبا سيادة العميد» تحية غريبة عن نظامنا العسكري الشرطي، فالمفروض أن أقول (احترامي سيدي)، لكن هكذا جرت عادتنا في التعامل مع النساء في هذا السلك، نحن في الواقع يجب أن نعترف أننا كنا نمتهن المرأة ولا ننظر إليها -كضابط أو عنصر- إلا نظرةً مملوءةً بالإستصغار، إضافة إلى ريبتنا في سلوكهن عامة وأن معظمهن ينتمين لطائفة (شركاء الوطن).

-أهلاً سيادة النقيب، تفضل

وهي توزع ابتسامات لا معنى لها.

خيرا .. مَن يشتكي عَلي؟!!.

-خذ اقرأ. أجابت

-قرأت الشكوى المقدمة من قبل الشرطي الحاقد حسان جديد، والشرطي فادي، وشهادة المساعد محمود وشهادة شرطيان وكلهم من منطقة جبلة[1]، عدا المساعد محمود فهو من محافظة طرطوس، لكنهم جميعاً من نفس الطائفة الحاقدة. كنت اقرأ في هذه الشكوى وأقلب في عقلي كتب القانون وتشعباته، الجنائية والجزائية والعسكرية وأصول المحاكمات التي تدخل في صلب عملي وأمارسها يومياً، فلم أجد فيها ما يستدعي توقيفي. الشكوى تقول: "أنني منعتهم من التحقيق مع أحد المخربين وأني خلصت مخرباً من بين أيديهم وأطلقت سراحه، وأني قمت بالتهجم على الشرطي حسان ومزقت بزته العسكرية، وأنه لدي تعاطف مع المخربين وأن سيارتي هي السيارة الوحيدة التي تدخل إلى منطقة الرمل الجنوبي المشتعلة من بين سيارات الدولة ولا أحد يتعرض لي، واني أقوم بنقل وتهريب المخربين، وأني دائماً أقول -وهو كذلك، وهو الاتهام الوحيد الصحيح- أن الجيش هو من يطلق النار على الناس العزل.

---

١ منطقة ساحلية سورية تتبع محافظة اللاذقية ويكيبيديا

تم تقديم الشكوى أولا إلى قاضي الفرد العسكري حيث أعلن عدم اختصاصه، وتم تحويلها إلى المحامي العام الذي حولها بدوره إلى النيابة العامة باللاذقية، ثم إلى قيادة الشرطة فقسم الانضباط للتحقيق.

رميت الشكوى وقلت لها:

- طيب ما المطلوب، هذا تقرير وليست شكوى جنائية، هذا كلام فاض[1]، كلام لايُستدعى أحد للرد عليه ،هذا بحاجة لأدلة ووثائق ، لاَ تنسي أن هذه شكوى ضد ضابط حقوقي تابع للدولة، ليس أي كلام!!

-يا محمد تعرف أن هذه شكوى ويجب أن نرد عليها. قاطعتها : ردي أنت ، أنا لن أرد ، الواجب ألا تستدعيني!!.

-لأني نظّمت ضبطاً[2]!!

-ماذا؟؟؟ نظّمت ضبطاً؟ من قال أنه يجب أن تنظمي ضبطاً؟! هذه المرة الأولى التي يتم فيها تنظيم ضبط بضابط قبل استدعائه والسماع منه، هذا عملٌ مقصود، كيف تفعلينه؟؟! هذا اسمه حقد علي، ما قلة العقل هذه؟!.

-لو سمحت

-بلا سمحت بلا بطيخ ، أنتِ ضابط أم شرطي؟!! لم لا تسألين قبل أن تفعلي، لو كنتِ رجلاً لضربته، لك هذه شكوى ضد ضابط، ضد ضابط. وكررتها أكثر من مرة ...

---

١ كلامٌ فاض : كلام فارغ / معجم المعاني الالكتروني الجامع

٢ الضبط القضائي : وممن يقوم به ضباط الشرطة كمعاونين للضابطة العدلية، ويراد به مجموع الإجراءات و التحريات التي تتخذها السلطة الضبطية القضائية في التحري عن الجرائم و المخالفات، بعد حدوثها و القبض على المجرمين المتسببين فيها، فالضبط القضائي تحت إشراف سلطة الضبطية القضائية (القضاة و وكلاء الجمهورية) تتمثل مهمتهم في التدخل بعد وقوع الجريمة لوقف المجرمين و إحالتهم على العدالة مع تقديم الدليل الذي يؤكد إدانتهم قصد محاكمتهم و توقيع العقاب عليهم.والشكوى على ضابط في الأصل لا تتم الا بعد إجراءات معينة ومعقدة، وفي حال الجرائم الكبرى والمثبتة بأدلة قطعية. المصدر قانون أصول المحاكمات الجزائية ونظام خدمة الشرطة.

-والله لا دخل لي، حولها قائد الشرطة لعندي، وقال لي تصرفي..

-فتصرفت بالقيام بتنظيم ضبط؟! لألعنن أبو هكذا قيادة وهكذا شرطة.

-طول بالك، أنا ما دخلني.

-من الذي له دخلٌ في هذا إذن؟!

-قائد الشرطة اطلع[1] لعنده.

-أي طالع.

صعدت إلى قائد الشرطة قمت بأداء التحية العسكرية :

-احترامي

-أهلاً محمد خير.

-سيدي من أجل الشكوى تحت عند العميد آمال.

-أي،أجب عليها.

-أجيب على ماذا؟! نظّمت ضبط.

-مااااذاااااانظّمت ضبط المخبولة ؟!!

-أي والله يا سيدي.

قام بالاتصال بها على الهاتف : «لك شلون بتنظمي ضبط، ما قلت لك استدعي الطرفين واسمعي منهم، تعالي لعندي».

بعد دقائق معدودة دخلت ...

قال قائد الشرطة:

-لك كيف تنظمين ضبطاً؟، ما قلت لك استدعي الطرفين وخبريني، هذه شكوى على ضابط.

-لا يا سيدي أنت حولتها لي، وقلت: تابعيها واتخذي إجراءاتك ضمن الأصول.

لك الأصول أن لا تنظمي الضبط!-

«بس نظمنا شو نساوي»[2]؟!!-

---

١ طَلَعَ الْجَبَلَ وَفِيهِ : عَلاَهُ ، صَعِدَ فِيهِ/ معجم المعاني الجامع

٢ ومعنى الجملة : لقد نظمته وانتهى الأمر فما أفعل لكم؟!

-طيب، خذي إفادة النقيب وخليه يرحل.

تم أخذ إفادتي، ووضعت في الضبط أرقام المواد القانونية والوثائق والأوامر الصادرة عن رئيس الجمهورية وحتى رئيس القسم، ثم عدت لعملي بقسم الشاطئ الأزرق.

في اليوم التالي اتصلت بي العميد آمال، وطلبت مني العودة لأن القاضي أمرها بسؤالي على تفاصيل كثيرة، فعدت إليها وشاهدت حاشية القاضي، دخلت إلى مكتب العميد تركي أولاً، والذي كنت اجتمع معه يومياً، دخلت وأنا أفرغ قاموس شتائمي، بحق النظام والرئيس والطائفة والشرطة والداخلية وقائد الشرطة و المناطق من القرداحة لجبلة

-طول بالك أبو حميد محلولة. قال العميد تركي

-شو محلولة يا سيدي هؤلاء يريدون توقيفي، وأنا أموت ولا أُسجن.

-خلاص لا تخف أنا أحل لك الوضع بس إهدأ، انزل أعطي إفادتك والباقي عليّ.

طيب، نازل والله ليشوفوا أشياء كثيرة.-

-خلاص إهدأ، وهون عليك، لا تدعهم يؤثرون عليك، ولاتكن متوترا.

عدت إلى العميد آمال وعدت لإفراغ كتب القانون التي لا يعرفها حتى هذا القاضي الذي يطلب طلبات عجيبة، ثم تجهزت لأعود إلى عملي، فطلبت مني العميد البقاء لأني بحكم الموقوف، ولا يسمح لي المغادرة!!

فأجبتها ببرودة أعصاب: أنتِ عندك أولاد؟!!..

-نعم عندي ثلاثة وأنت والله الرابع.

-طيب خافي عليهم، أحسن ما أفعل شيء نعيش فيه أيتام أنا وأولادك.

أصيبت بالصعقة "بدك تقتلني يا محمد؟!".

-أنا أقتل كل واحد يقف في طريقي، ما بتعرفيني جيداً، مجنون أنا، أموتُ ولا أحد يوقفني، هل سمعتِ؟.

فبكت ومسكت يدي وقالت: "لك أنا امرأة لست رجلاً لتحكي معي هكذا، أنا مثل أمك لكن ما بيدي شيء لأفعله".

-طيب اتصلي بقائد الشرطة، وقولي له محمد رايح تريد منه شيء، وأخلي مسؤوليتك.

قامت بالاتصال بقائد الشرطة واستهجن تصرفها، وطلب منها أن تدعني وشأني.

فقلت لها: ماذا تفعلين بهذه الوظيفة الممتلئة بالأوساخ، حرام عليك أن تبقي هنا، اذهبي لعند أولادك وزوجك.

فابتسمت وقالت: «مع أنك زعلتني بس يشهد الله أني أحببتك مثل أولادي، لأن سمعتك جيدة وأخلاقك رفيعة وهذا ما لمسته، وأعذرك في غضبك وتسميعي كلاماً بشعا، واليوم أحضرت لك طعاماً من طبخي، قلت في نفسي حرام، هذا أمه بالشام ويسكن لوحده.

-كونك أمرأة فقط، فأنا آسف إذا أزعجتك، بس أنت استفززتني بما فعلتِ، لِماذا تضعين نفسك بمواقف مالها لازمة، لماذا تتظمين ضبطا بحق ضابط قبل استدعائه؟؟ لم يسبقك في هذا التصرف الشائن أحد، إذا كنتِ خائفة من المسؤولية ولا تعرفي كيف تتصرفي فأسألي من كان بها خبيرا، أنتِ ضابط والمفروض أن تعرفي كيف التصرف مع الضباط الآخرين، وأنتِ رئيس قسم الإنضباط يعني أنه يجب عليكِ أن تعرفي: أنه لا يتم تنظيم ضبط بحق ضابط إلا في حالات محددة وشكاوي كبيرة ومثبتة، ثم أحضرتِ طعاماً لتوقفيني، مع أني صائم، لكن لن تحلمي بأنكِ ستدخليننني السجن عندك، وسآخذ طعامك معي ولن أردكِ.

في اليوم التالي عادت لتتصل بي فحضرت، طلب القاضي ضبط إفادة شهود من طرفي، وإفادة العميد محسن رئيس قسم الرمل فضبطتها، وبعدها قرر القاضي تقديمي كموقوف للقضاء، وكان عناصر شرطة الانضباط كلهم من الحاقدين الطائفيين الذين استغلوا وقوعي في يدهم، فأخذوا يماطلون في نسخ الضبط والإجراءات لتقديمي للقضاء، حتى انفجرت في وجوههم فأخذوا يسرعون.

وعدت للعميد تركي الذي طمأنني بوجود محامٍ ينتظرني في القصر العدلي وأن أموري محلولة.

وصلت برفقة العميد آمال إلى القاضي في الساعة الثانية ظهرا من يوم الخميس، وبعد إجراءات بسيطة دخل الضبط إلى عند قاضي النيابة، وكل قضاة النيابة حينها من قطيع الرئيس الطائفيين الحاقدين، تمت المماطلة أيضا حتى الساعة الثالثة وخمس وعشرين دقيقة، قبل إنتهاء الدوام الرسمي بخمس دقائق، حيث قرر قاضي النيابة إحالتي إلى قاضي التحقيق الثالث غازي السني الوحيد بين قضاة التحقيق والنيابة، كان مكتبه في الطابق الثاني.

وصلنا إليه وهو يهم بالمغادرة، أعطاه الشرطي الضبط فأخذه وعاد إلى مكتبه مرة أخرى، حيث قرأه وحده ونحن ننتظر في الخارج.

بعد حوالي خمس دقائق رن الجرس فدخل الشرطي، علمت حينها أني قد أضحيت في قوائم الموقوفين، فقمت بالاتصال بصديقي الرائد عدنان وقلت له ساخراً: «بارك لي وقفني القاضي حتى يوم الأحد القادم، ولن يتمكن من استجوابي لأن الدوام الرسمي انتهى» ترافق اتصالي ذلك بخروج القاضي من مكتبه ولم أجده إلا وهو يصرخ بوجهي: "أغلق الموبايل أنا لا أقبل الواسطة".

أشعل آخر ما بي من غضب –لقد حوصرت، و تمكنوا مني ، قبل أن أتمكن أنا من فعل أي شيء– قلت في نفسي أنا موقوف موقوف إذن، فانفجرت في وجهه: «لم تصرخ وتتقفز؟!! ومن أنت لتصرخ بي؟!! قاضي شغلتك داخل المكتب، لا تصيح بوجه الناس ولا مفكر نفسك قادر أن تخوفنا!!.

أصابته الصدمة من جوابي فالموقوف عُرفاً يجب أن يكون في قمة الذل والخنوع.

–أعطيني الموبايل.

فأجبته: بصفتك إيش؟!! أنت قاضي ولا شرطة ولا جمارك، قلت لك شغلتك بالورق والقانون.

عندها قامت العميد آمال بمسكي من يدي وتقبيلها: "من شان الله[1] أعطيني الموبايل ، ولا تفتعل مشكلة.

تدخل القاضي: «خذي الموبايل، سنتحاسب يا سيادة النقيب.»

أجبته على الفور: «تهددني أنك ستصدر قراراً خارج القانون لأني أغظتك، ماهذا القضاء الذي يحكم بالعواطف؟!!

–استغفر الله العظيم، يا أخي خلاص إذهب من هنا، الأحد يفرجها الله، أنا لا أقبل الواسطة ولا أحكم إلا بما أنا مقتنع به.

***

قمت بمرافقة العميد آمال إلى السجن المدني في اللاذقية حيث أودِعت هناك، دخلت السجن وأنا أردد قول يوسف عليه السلام (رب السجن أحب إليّ مما يدعونني إليه)[2].

*****

١ منشان الله ، تعبير عامي شامي ، ومعناه «لأجل وجه الله»

٢ سورة يوسف ٣٣

دخلت السجن المدني كمقبوض عليه ، وأنا الذي كنت أرسل المجرمين إليه.

حياتنا تتقلب من سجن إلى سجن، قدّر في سوريا أن نكون معتقلين أينما رحلنا وفي أي مكان درجنا .

فإنك بأعيننا[1]
٢٠١١/٨/٢٠

لا أدري ما الذي أصابني هناك ؟!! لحظات استسلام لقدر مجهول ؟!!ماذا كنت أفكر في تلك اللحظة؟!!

لا شك أن النفس تعاني من كثرة التفكير وحرب السؤال والجواب ستبلغ أوجها.

فكرت في كل شيء، العائلة، إخوتي، الله، الدين، الرجولة، الموت، وآلاف من الأسئلة المتراكمة التي لم يسعفني عقلي إلى حلٍ معها، لكن فقه الأولويات ينتصر على الجميع في نهاية الأمر.

دخلت السجن المدني كمقبوض عليه للمرة الأولى في تاريخ هذا العالم المتوحش!وأنا الذي كنت أرسل المجرمين إليه،أو آتيه زائراً لأصدقائي الضباط، لكن اليوم أنا سجين أطلب الزيارة.

هدأت الحرب العالمية في رأسي وأعلنت الهدنة ودخلت السجن.

السجن المدني ملاصق للقصر العدلي، يتألف من عدة أبنية يفصل بينها حواجز وأبواب موصدة ، يبدأ السجن :بالمكاتب الإدارية ومكاتب الضباط ،ثم البناء الخارجي وغرفة الضابط المناوب ،ثم القسم الداخلي ومهاجع الموقوفين.

---

١ القرآن سورة الطور الآية ٤٨

الساعة الثالثة وخمسون دقيقة عصراً، العشرون من شهر رمضان ، شهرنا المقدس.. الشهر الذي جئت فيه إلى هذه الدنيا، وكانت فيه صرختي الأولى في هذا العالم، الجميع من حولي يضحكون على صراخي «ما شاء الله ولد ضاجّ[1]» قالتها الداية[2] آسيا التي سحبتني إلى الحياة، وها أنا ذا أدخل السجن المدني في نفس شهر مولدي القمري، أصرخ تلك الصرخة ،لكنّ هذه المرة لست وحدي مَن يصرخ و لا الذين حولي يضحكون.

تصادف غريب في تاريخي، لكن الأشد غرابة أنه نفس شهر انشقاقي عن النظام وتركي للعمل وخروجي من سجن الوظيفة. حياتنا تتقلب من سجن إلى سجن، قدرٌ في سوريا أن نكون معتقلين أينما رحلنا وفي أي مكان درجنا.

دخلت السجن المدني كمقبوض عليه رهن التحقيق!

التعامل مع الضابط (رهن التحقيق) في السجن المدني يختلف عن التعامل مع بقية المجرمين، هنا كضابط لا تنام في الزنزانة بل في مكتب ضباط السجن، وقلما تختلط مع أحد، وفي أثناء النهار تجلس في غرفة الضابط المناوب إن شئت، ولك احترامك وكل حقوقك وأهم شيء الهاتف يبقى معك.

دخلت غرفة الضابط المناوب فوجدت ضباطاً من مختلف الرتب وغرقنا في الشكليات التافهة، رحبوا بي وتمنوا لي السلامة والخروج الآمن.

النقيب ياسر (الأصل من حلب) الموالي (للنظام والسيد الرئيس كما كان يدعوه) وهو شاب ذو خلق رفيع، مؤدب يهتم بشكله الخارجي بشكل ملفت، وأحد أبناء دورتي في الشرطة، كان ياسر مناوباً يومها.

---

١ ضاجَ من الفعل ضجج وضَجَّ مِنَ الشَّكْوَى : أَحْدَثَ جَلَبَةً وَصِيَاحاً بِسَبَبِ جَزَعِهِ وَمَشَقَّتِهِ.ضجَّ بالشكوى : صاح وجلب من مشقة أو جزع أو غيرهما

٢ في المعجم الوسيط:الدّاية، الدّايةُ : المرضِعُ الأجنبية، و الدّايةُ الحاضِنَة ، والدّايةُ القابلة .

بعد أن رحل جميع الضباط بقينا وحدنا أنا وياسر في غرفة الضابط المناوب ودار الحديث بيننا :

-شو بدك بهي القصة وكبر الرأس يا محمد.

-هذه القصة وكبر الرأس؟؟! صعبٌ عليك أن تفهمها يا ياسر.

-ما هو قصدك ماذا تعني ؟!!.

-قصدي مثل ما فهمت، نحن الوطن وليس هم، ويكفينا ذُلّ ولن تقدر على رُكب الجمل إلا إذا حنى ظهره، ونحن لن ننحي.

-عجبك يعني ؟!! عملت فيها رجل، حطوك[1] بالسجن، الله أعلم ماذا سيفعلون بك! مَن سيبحث عنك! وكيف سيجدونك!

-أنا مقتنع والحمد لله بما عملته، وليفعلوا بي ما شاؤوا، الله وحده يقدر ومايشاء يفعل، وهؤلاء كل مايقدروا أن يفعلوه هو تنفيذ قدر الله وإرادته.

- يا أخي لست مقتنعاً بهذه الثورة.

-أنت لاتريد أن تقتنع فلا تكذب على نفسك، خايف على رُتبتك العسكرية، مليون مرة ناقشتك بالموضوع أنا وغيري لكنك لاتريد حتى التفكير بالموضوع.

- يا أخي هذه الرُتب طلعت روحي حتى أخذتها، وأنا من ضيعة فقيرة وعائلة فقيرة، وليس لنا غير الوظيفة والمرتب.

-وأين الله من كلامك هذا؟!! أخلاقك شعبك وطنك مبادئك ألا يهمونك ؟!!.

-يكفي كلام لن أقتنع.

-طيب لا تقتنع بس فكر ، نحن والحمد لله مقتنعون.

- يا أخي مؤامرة مالك شايف ؟!!

هناك مسلحون يقتلون الناس والجيش.

-إذا بقيت تتابع قناة الدنيا فآخرتك ستأكل البرسيم !

---

١ المعجم: المعجم الوسيط/حط - يحط ، حطا - حط الحمل عن ظهر الدابة : أنزله عنه . حط الشيء : أنزله من علو

أية مؤامرة وأي بطيخ؟!أنا كنت هناك ، وأعرف تفاصيل كل ماحدث، وترتيب المؤامرة، ومن رتبها، هي مؤامرة لكن على الشعب، وعلى فرض مؤامرة على رئيسك، الحمار ما عرف يحلها، و لأنه ابن حرام فهو يذبح الناس، فكر نفسه مثل أبيه، لكن الزمان غير الزمان.

-لا، هناك مسلحون وهم من يقتلون الناس.

-صحيح، أنت ضابط شرطة وتعرف أنه لا يملك أحد السلاح في هذا البلد سوى النظام والجيش والأمن والشبيحة التابعين لآل الأسد، ونحن الذين كنا نلاحق من كان يحمل سكينا في الطريق من الشعب ونعتقله ونقدمه للقضاء، وعندما ثار الشعب بعد كل هذا الظلم خرج رئيسك ليقول أنهم إرهابيون ومسلحون ماهذا الهراء؟!.

-يا أخي مالك شايف كيف كنا نعيش وما أصبحنا عليه.

-نحن كنا نعيش؟! أنت ضابط حقوقي وخضعت لدورات عالية للتدريب ولديك كماً من الثقافة والعلم وفي منصب سيادي، ومع كل ذلك يأتي عنصر من الأمن السياسي لا يعرف حتى أن يكتب اسمه، ولأنه من (شركاء الوطن) ولأنه من الأمن، وبالسلطة الممنوحة له من قبل النظام ،فهو -حتى بدون سبب- قادرٌعلى إهانتك ويسمعك كلاماً دون أن تكون قادراً حتى على إجابته، هم قادرون على إختراع مصيبة وإلصاقها بك فيما لو خالفت عقلية ضابط الأمن أو رفضت له طلبا، ألا تذكر منذ سنوات ابن دورتنا الضابط حسان ذلك الشاب الخلوق المثقف الدمث، كيف ألصقوا به تهمة التحرش بإحدى العاهرات التي أرسلوها له، في خطة لإغوائه وإيقاعه في براثنها لكنه طردها من مكتبه، وقاموا بعدها بتسريحه من الوظيفة، وأنت تعلم وأنا أعلم أنه يخجل حتى من مجرد النظر إلى أنثى، ماهي تهمته، قال تحرش؟! تهمته يا حبيبي أنه لم يكن يلقي لهم بالاً ، ولم يقم لفرع الأمن أي اعتبار، ولدي آلاف من الأمثلة التي

تعرفها، ياحبيبي هم لا يريدون واحداً منا في هذه الوظيفة.

-صحيح لكنها حادثة فردية.

-أما تأصيل المشكلة يا ياسر، فهو أن حكم البعث وحكم آل الأسد الأب حافظ وهذا بشار امتد على خمسين عاما، فماالذي فعلوه في سوريا حتى اليوم، نشروا كل إفساد تعرفه في المجتمع كم من ملهى ليلي شجعوا؟! وكم من منزل دعارة فتحوا؟!، يعني من ولد زمن استلام البعث للسلطة في عام (١٩٦٣)، اليوم هو جد ولديه أحفاد، وانظر كم من الأمراض زرعوا فينا أبا عن جد!

والسؤال لماذا لا يحاسبون المرتشي في الوظيفة العامة؟! لماذا همهم القضاء على الشريف أينما وجد؟!

-هذا ليس صحيحاً فمجتمعنا هو الفاسد، وهذا أنت وأنا كمثال عن النظام فأنا أحلف أنك رجل شريف وأنت تعرفني، المجتمع هو سبب كل ذلك البلاء.

- تعال لنتكلم بموضوعية، صحيح أن لدى مجتمعنا أمراض متأصلة وهو يحوي عادات بغيضة وفهم خاطئ للدين والأخلاق، لكن وكما يقال إن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن هذا أولا، وثانياً يا أخي -وكما تعلم- فرئيسك جاء للحكم في العام ٢٠٠٠ بعد حكم أبيه حافظ، فماذا حدث؟ بشار لا يختلف عن أبيه حافظ في الفساد وتخريب المجتمع إلابالوقاحة، فهو اليوم -وبكل وقاحة-ملك الفساد وملك المشاريع الكبرى والصغرى، هو المرتشي الأول في سوريا، وبكل وقاحة قام بعزل بعض الفاسدين وتحجيم البعض الأخر، ليصبح هو رأس الفساد! عاونته في ذلك عائلته كاملة وبعض الأشخاص المحسوبين عليه، وبفضل عقليته التخريبية ازداد الفقر والضياع في صفوف الشعب أضعافاً، وازداد تردي الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية، وأضحى جيل كامل ضائعا لا يملك أي طموح يرتبط بقشور

تركها لهم النظام، وصرنا نشهد عادات غريبة عن فهمنا الديني والثقافي والاجتماعي، وصار السافل شريفا والشريف منبوذا، لقد غاب مفهوم كل شيء عن كل شيء هنا، وأحلامنا في العيش الكريم والكرامة والعدالة بدأت بالتلاشي واحدة واحدة ، والناس أضحت في قاع السفينة همها الوحيد لقمة العيش لا تعرف من أين وكيف ستأتي بها، وعندما قام الشعب ليطالب بتحسين أوضاعه المعيشية وتخفيف قبضة الأمن، كانوا في البداية ينادون بمجرد الإصلاح إصلاح الوضع العام فقط فلماذا توحش هذا النظام على الشعب و قتله ؟!، لأنه وببساطة نظام قائم على الفساد والرذيلة ويشجعهما ليسيطيرعلى المجتمع وأي إصلاح هنا أو هناك فسينهار النظام.

-يا أخي أنت ماذا تريد من المجتمع والناس، أنت اعمل عملك وهم يصطفلوا.

-وأنا وأنت في وظيفة عامة، وُضِعنا هنا كي نخدم الناس ونكون جزءاً منهم، نحن من الشعب لسنا عبيداً عند السيد النظام.

-يا أخي أنه النقاش ..لن نقدر على الوصول إلى نتيجة مشتركة، ولن أقتنع.

-الله يهديك، لكن فكر بما يحدث وأين ستقف؟!

أنساني الحوار مع ياسر أسوار السجن، بقينا في النقاش العبثي البيزنطي حتى شارفت الشمس على المغيب، حين حضر أحد الطباخين في العشرينيات من عمره، وهو أحد المساجين في الأساس، دخل قائلاً :

-مرحبا سيدي كيفك وماهي أخبارك؟.

أجاب ياسر: "أهلا محمود".

أجاب محمود : يا سيدي، أنت على رأسي ، ولكنني أسلم على النقيب محمد .

أجبت: مَن أنا؟!!

-أي نعم أنت يا سيدي، الله يحميك.

-تسلم، بس مَن أنت؟.

-أنا محمود من صليبة.

- «أي والله على رأسي الرجال، تعال أسلم عليك وأحضنك».

تبادلنا القُبل وياسر يقف كالأبله بيننا، وتابع محمود

-سيدي ماذا تحبون أن تأكلوا اليوم.

-أخي والله على راحتك ،لا تعذب نفسك، لاأشتهي شيئاً.

-أنت معلمنا، ووالله أنت أهل لكل خير، وبعيوننا نخدمك يكفي أنك رجل ابن رجل.

-يا لطيف كل هذا ؟!! ليش وماذا فعلت أنا؟!! حالي كحالك هنا.

- لا أنت معلمنا والشباب كلهم في الداخل يحترموك.

-ماالذي عرّفكم عليّ ؟!!، وماأدراكم أنني هنا؟!!.

-معلم كل الأخبار تصل إلى هنا.

- الله يحميك ويردك لأهلك بالسلامة.

ثم قلت لياسر :"أنا رايح أصلي العصر و راجع، دير بالك على أخي محمود".

أجاب مازحاً:"روح الله يخلصنا منك، وتطلع من هنا، وصلت سلطتك للسجن !! باكرا بتساويلنا تمرد".

ضحكت وخرجت.

بعد عدة أمتار كان هناك حاجز عبارة عن شباك وأسلاك وباب حديدي، ثم شباك وباب حديدي آخر، وبينهما عناصر شرطة ، يفصل الحاجز غرفة الضابط المناوب عن المكاتب الإدارية ومكاتب الضباط.

وقف أحد العناصر الحاقدين ضخام الجثة من(شركاء الوطن) إلى جوار الباب الأول وبيده المفتاح، ومن الأعراف عند سجن الضباط، أن لي حرية الحركة. قلت له : افتح الباب .

نظر إلي وقال: يا سيدي ممنوع.

فجأة اشتعلت في عيني النار وصرخت صرخة مدوية:

-افتح الباب يا حيوان.

لاأعلم ما الذي أصابه؟!! كانت فرائصه ترتعد حتى اصطكت أسنانه،تابعت :" ما سمعت ، وينك يا ياسر ؟".

خرج ياسر من غرفة الضابط المناوب وهو يصيح:

-افتح الباب.. افتح الباب.

بقي لحظات وهو يحاول وضع المفتاح بالقفل أمسكت يده وقلت: "ولاك ما بتعرف مَن أنا؟، والله بحرقك أنت والسجن".

صار يتأتأ ويتلعثم في الكلام : "سي سي سيدي أب أب أبعرف".

تابعت: "افتح الباب الثاني، ودعوا عنكم هذه الحركات،أسمعت؟! حركاتكم ليست علي.

-بأمرك سيدي.

دأب هؤلاء كما خبرتهم في الحياة العامة وفي العمل في الشرطة، أنهم يقومون برفع أصواتهم ويهددون ويعاملونك بفوقية، فإذا رضخت لهم تابعوا أسلوبهم ذاك وصرت خانعاً ذليلاً بين أيديهم، وإذا ما قمت بالرد الفوري ولم تتنازل حتى لحرف مما يقولون، عندها يختلف التعامل وتراهم ينقلبون هم أذلاء راضخون.

خرجت وصعدت الطابق الثاني إلى مكتب أحد الضباط وصليت العصر وعدت.

عند وصولي أمام الباب وعلى بعد خطوات، أسرع الشرطي عينه وفتح الباب، وقام بأداء التحية العسكرية كما لو كنت رئيسا للجمهورية، ثم مشيت مزهواً كالطاووس أمامه دون أن ينبس ببنت شفة!

كان جميع الضباط في الغرفة، ثلاثة من رتبة ملازم أول لا أعرفهم، ونقيب اسمه حسين من الدورة التي تليني، والنقيب حسين هذا من عفرين كوردي متدين ذو خلق رفيع، ومثلي يصنف في خانة المؤيد للثورة، دخلت سلمت على الجميع، وجلسنا ننتظر آذان المغرب.

دخل الطباخ محمود ووضع عدة ألوان من الطعام، وأحضر طبقا خاصاً أخبرني أنه صنعه لي بشكل خاص، قال ياسر: "طبعا دلال لمعلمكم، أليس هو قائد ثورة الرمل الجنوبي" !!

أجابه محمود: "أحلى نقيب محمد، يشرفنا والله أنه قائدنا" ضحكت وطلبت منه الانصراف بعد شكري له.

كنت أتمنى بيني وبين نفسي لو كنت حقاً ذلك القائد الذي يستطيعون الاستناد إليه في ساعة العُسرة، كانوا في حاجة إلى ذلك القائد، وكانوا يتعلقون بأي منا ممن تبدو عليه سمات التعاطف والتآلف والتفهم لآلامهم ومطالبهم، كانوا وكنا معهم أيتاماً نبحث عن أب لهذه الثورة .

تناولنا طعام الإفطار وتركتهم لأداء الصلاة، ثم بقيت في مكتب الضباط.

هل انتهى عذابي وصراعي مع نفسي الذي عشته في الرمل الجنوبي، هل حقاً هذه هي النهاية؟! تراودني الأفكار الكثيرة في هذا المكتب، وتقضم عقلي فكرة التعذيب، يكاد قلبي ينخلع من مكانه وأنا أتخيل نفسي بين أيديهم وحرابهم وأدواتهم، لقد دخلت السجن فماذا سيحدث فيما بعد؟!، ماهي الخطوة القادمة؟! هل سيأخذوني ويعذبوني ويقهروني كما يفعلون مع كلٍّ من اعتقلوه، يارب خذ أمانتك قبل أن يقدروا على هذا فأنا

لا أطيق ذلك، أنا يارب لاأخاف من الموت ولكن لا تجعلهم يكسرونني بالتعذيب، لكن ماذا لو تركوني هنا في السجن؟! هذا عذاب آخر أنا هنا من بضع ساعات فقط وقد أختنقت في تلك الأسلاك الشائكة حولي، أحس أن الجدران تحاصرني وتضيق على صدري، فماذا سأفعل؟ رأسي تصدع من التفكير.

هنا في هذه الغرفة المطلة على الشارع كنت أسترق كل النفحات الإيمانية، وصوت الأذكار من المسجد القريب من السجن أيقظني من تلك الكوابيس التي تمر برأسي، وأنا أفكر بمئات الآلاف من المعتقلين في سجون النظام.

أردت أن أهرب من كل تلك الأفكار التي بدأت تسيطر علي، وألقيت السمع لتلك الأذكار فبدأت تأخذني خارج هذه الأسوار البغيضة، تطيرني إلى مسجد مدينتي وطفولتي وشبابي الذين خلفتهم هناك، تجعلني أمسك يد والدي _رحمه الله_ وهو يروي لي في طريقنا إلى المسجد ومضات من السيرة النبوية أو قصة عن الصحابة، أجول في خيالي في عتبات الماضي لأنسى مكاني اليوم في هذا السجن الخانق.

هنا تسمع كل الأمور على حقيقتها، تعيد اكتشاف ما كنت تمر به دون أن تلقي له بالاً، أذان العشاء من مُسِن يقارع صوته حباله الصوتية ليخرج، وأتساءل بيني وبين نفسي؛ لماذا لا يسمح للشباب بالأذان فصوت هذا المؤذن ليس شجيا؟!! وقراءة القرآن الصادرة عن الإمام تبدو رائعة من هنا، إنها سورة يوسف.

صليت العشاء والتراويح عن بُعد مع الإمام، هذه المرة الأولى لي في هذا الشهر الفضيل التي أستطيع فيها صلاة التراويح جماعة، يالله ما ألذها من لحظاتٍ.

ومن قال أنه لا يوجد فوائد في سجني الصغير هذا ؟!سجني الصغير العادي الطبيعي ، وليس ذلك السجن الجهنمي قيد التعذيب والأهوال وسلب كرامتك الإنسانية وكل حقوقك حتى الحيوانية منها .

يكفي أنه أعاد ضبط حياتي إلى ما قبل الغرق في الدنيا، أعادني إلى خالقي لأناجيه بشكلٍ أكثر صفاءاً، الآن لا أريد من الله إلا السكينة وأن يخلصنا من هذا الطاغية، "يا رب اجعلني أموت على الإيمان الكامل ولا تجعل عينيّ أمي تدمعان، يا رب لا تجعل أحد يتأذى بسببي، يا رب لا تجعلهم يقتلونني قبل أن أرى سقوط الطاغية في دمشق"، آلاف الأماني ، وعواصف الرجاء.

تمام الساعة الثالثة صباحاً أيقظني ياسر لأتناول السحور، استيقظت من نومي وأنا أنظر حولي أكتشف أين أنا؟ ، في أجزاء من الثانية يمر سؤالي الأول، ماذا أفعل هنا؟!! ثم يمر شريط آخر من أيام ثورة الرمل الجنوبي وحتى دخولي السجن، استجمع قوتي وتصارعني نفسي، لن أكون مستكيناً يجب ألا يروا مني إلا عزة وقوة الثوار، ولتكن روحي فداءً لما أؤمن به، لن أحني ظهري ليصعدوا عليه.

قمت من الفراش، وتوضأت، ونزلت وتسحرت، ثم عدت لصلاة الفجر، لقد قررت ألا أحدث نفسي بأي شيءٍ يتعلق بالماضي، يجب أن أبقى قوياً وفوضت أمري لله.

نمت حوالي الساعة الخامسة صباحاً واستيقظت قرابة الظهر، ألم شديد في ضرسي _كنت أقوم بمعالجته عند الطبيب قبل مجيئي إلى هنا بأسبوع تقريباً_ لقد أحسست بأن رأسي سيُقتلع من مكانه، لكني لن أطلب من هؤلاء الذهاب للمشفى، فأنا أعلم كيف ستدخل إلى هناك وحالك سجين، كما أنني صائم ولن أفطر من أجل ضرس حقير، فقررت تطبيب نفسي بنفسي، كسرت الضرس وأخرجت الحشوة

المؤقتة، وكأن بركانا لفظ منه، الحمد لله لقد ارتحت أخيراً!

اليوم يوم الجمعة، وكعادتي طيلة السنوات المنصرمة كنت أنسل من الدوام لأصلي في مسجد بعيد، وألبس أزياء غريبة حتى لا أُعرف في المسجد، لأن عناصر الأمن يكونون متواجدين، حتى يصطادوا كل ضابط وعنصر يداوم على الصلاة في نظامٍ عدوه الأول هو الأديان وطقوسها.

ربما كان نقل خطبة الجمعة على مكبرات الصوت القريبة فكرةً جيدة، فقد استمعت لها كاملة، واستغفرت بين الخطبتين كما لو أني في المسجد، لكنني صليت أربعاً وهذا ما جعل دموعي تنهمر هناك في مكتب الضباط.

مضى يوم الجمعة سريعاً لم أشعر به، وحل يوم السبت بنفس الروتين حتى المساء، من نافذة مكتب الضابط المناوب التي صارت متنفسي الوحيد ومن بعيد شاهدت الرائد عدنان صديقي يلج إلى داخل السجن حيث أنا.

سلمت عليه واحتضنته وكأنني أشاهده بعد فرقة دهر، كان هو الضابط والشخص الوحيد من بين المئات الذين عرفتهم مَن زارني، تبادلنا الأحاديث والتطمينات.

وسألته: «أين بقية الضباط؟!»

فأجاب: «أنهم لا يتجرؤون حتى على التلفظ باسمك فضلاً على زيارتك».

«يا سبحان الله هل أصبحت مرعباً لهذه الدرجة»، قلت له، ضحكت وضحك، كان الرائد يتعرض لمضايقات وتحقيقات من قبل الطائفيين في فروع الأمن وكان يتحدى الجميع ولا يسكت على ضيم، لذا كان نوعي المفضل.

كانت تلك الزيارة بمثابة إعادة تجديدٍ للنشاط، تبادلنا الضحك والنكات وشتم الوحوش كما جرت العادة معنا.

وبعد وصيته لي بعدم الخوف وأن أبقى رجلاً، ودعني ورحل آخذاً جزءاً من روحي معه.

بعد رحيل الرائد عدنان، جلست في سريري أعد نفسي لجميع الاحتمالات، وحضرت خطة الهرب وكيفية الخلاص، وكل ذلك على ضوء قرار القاضي.

حل صباح يوم الأحد أخيراً، موعد تقديمي لقاضي التحقيق الثالث، إنه ذاته "هات الموبايل".

سلمت أمري لله وسأرضى بما يقسمه لي، حضر عناصر شرطة الإنضباط وقاموا باصطحابي إلى القاضي، توقفنا خارج المكتب وقلت في نفسي: "أنت ميت ميت، فمت رجلا واترك بصمتك في صفحة التاريخ"!

بعد قليل رن جرس القاضي، دخل شرطي الانضباط ثم خرج وطلب مني الدخول إلى القاضي.

دخلت وقد عادت ذكرى تصرفه يوم الخميس الماضي، وجاهز لأي كلمة أو إيماءة أو حتى نظرة.

-السلام عليكم. قلت

-وعليكم السلام ورحمة الله، أهلاً سيادة النقيب، تفضل اجلس على الكرسي. قال القاضي

"بسم الله الرحمن الرحيم!! هل هذا القاضي الذي صرخ وصرخت في وجهه يوم الخميس"؟!! قلت في نفسي، ثم جلست.

-أنا آسف على الموقف يوم الخميس. قال القاضي

-ولا يهمك أستاذ، أيضاً أنا آسف على ردة فعلي.

-قرأت الضبط بتفكر وإمعان شديد، ما وجدت فيه سنداً قانونياً للتوقيف، وقرأت الإفادات كلها، فيها أخطاء قاتلة، وما شاء الله عليك إفادتك قانونية، عذبتني معك وأنت تذكر المواد القانونية والوثائق.

قال للكاتب الذي كان يجلس إلى جواره: "افتح الضبط وسجل مُفصل هوية النقيب"، ثم توجه إلي: "تفضل سيادة النقيب احكي ماتريد، سراحك مطلق من الآن".

صرت أسأل نفسي: "معقول! هل هذا هو نفس القاضي!! ماذا حصل حتى ينقلب هذا الانقلاب؟!! وماذا حصل في الخارج؟!!".. إنه رجل ، وإنه إنسان!

قمت بإملاء إفادتي على الكاتب كما السابق مع الإشارة للمواد القانونية والوثائق.

قام القاضي بإعادة بطاقتي الشخصية لي وقال: "بإمكانك الذهاب، لا.. توقف قليلاً"، ثم توجه بالكلام للكاتب: "لو سمحت اتركنا لوحدنا".

-أغيرت رأيك أستاذ، لن تخلي سبيلي؟

- هل تعرف يا محمد لم وضعوا القضية عندي؟!ولم ضربت يوم الخميس؟!.

أطرقت قليلا ثم قلت: "على ضوء تعاملك معي اليوم، وعلى اعتبار أنك أطلقت سراحي سأقول، لأنك السني الوحيد في المحكمة وأنا سني لذا هم يريدون أن يحرجوك ، صح ؟!!".

- صح ومليون صح، بس كيف تعرفت على كل هؤلاء الناس؟ لم يبق غير بشار ليتصل بي!! مظاهرة أمام بيتي بالصليبة طلعت كرمالك!

-والله العظيم لا أعرف غير الله، ولاأعرف غير بضعة ضباط في اللاذقية بحكم الشغل، لكن هو سبحانه يرسل الناس للناس، قبل أن آتي إلى هنا، وكّلت أمري لله، ولكن عن أي مظاهرة تتحدث؟ ومَن هؤلاء الذين تظاهروا إكراما لي؟؟، والله لاأعرف أحداً يسكن إلى جوارك.

- أطلقت سراحك ضمن القانون، لا يوجد ما يستدعي توقيفك، وأنا أعمل بضميري فقط والله يشهد، "دير بالك على حالك[1]»، واترك عنك أولاد الكلب، «هذه المرة ربك ستر، المرة القادمة لايمكن لأحد أن يعرف ماذا يمكن أن يحصل».

تبادلنا بعض الأحاديث وأعلمني بأشخاص وقصص تأتيه من الأمن، لا يفهم أين سيُدرجها، وفي أي باب قانوني يضعها، ومنها قضية (التكبير) الذي جُعِل في بند إثارة الشغب والتحريض الطائفي!

وأعلمني بأن قائد الشرطة أرسل العميد آمال وهي تنتظرني في الخارج، قمت بتوديعه وأخذت بطاقتي وخرجت من عنده.

لمّا[2] شاهدتني العميد آمال احتضنتني ثم بدأت بالبكاء وقالت لي: «الحمد لله على السلامة يا محمد والله خفت عليك كثيراً».

ضحكت، فقلت لها: « أفرحت؟؟ دخلت السجن من وراء ضبطك بس فرجها الله، وسأرد على ذلك قريباً».

-محمد، لا تبدأ...

-أنت لا علاقة لك، أنتِ عفو عام لكن البقية لي معهم حساب!

ثم بادرتها: لِم أنت هنا؟.

-بعتني قائد الشرطة لأرى ماذا تحتاج، وماهي نتيجة محاكمتك ، وعليك أن تعرف أن الكل معك، وقائد الشرطة يريدك عندماتخرج من هنا أن تذهب إليه.

-لا وحياتك أنا ذاهب إلى البيت، أغتسل وأرجع عندما أكون جاهزاً ومرتاحاً.

ودعتها وخرجت واتصلت بأمي وإخوتي وأصدقائي وأعلمتهم بخروجي.

---

١ . اعتنِ بنفسك.

٢ لمّا : في معجم اللغة العربية المعاصر:- ظرف زمان مختصّ بالماضي يقتضي جملتين وُجدت ثانيتهما عند وجود أولاهما بمعنى حين أو حينما

«يالله كن مع المعتقلين، والمعذبين وأخرجهم كما أخرجتني من هذا السجن»... شهيقٌ عميقٌ سحبته خارج السجن أتحسس كل ذرةٍ من ذراته، وكأنني كنت مغيباً عن الحياة مائة عام، أتفرس في وجوه الناس الذين غص بهم القصر العدلي الملاصق للسجن، كلٌ له شأنٌ يغنيه، لا أحد يفكر بأحد.

مناظر تستفرغ فيها شتيمتك الكبرى، الناس في القصر العدلي يكدسون الأوراق في مصنفات بلاستيكية، الكل لايعرف أين الموظف الذي سيوقع الأوراق، وأين يذهبون ومن يدُلهم عليهم، المحامون يمشون وخلفهم أشخاصٌ يتراكضون، وهم لايردون على أسئلتهم التي لاتنتهي، عاهرة تقف الى جانب العمود تتغامز و قاضي النيابة، شرطيٌ يصيح على الناس للابتعاد عن أحد الموقوفين، أصواتٌ لعجوز: «والله دفعنا ما فوقنا وتحتنا للمحامي ليخرج الولد وعلى قول هات لنعطي القاضي، الله لا يشبعه».

تخرج من القصر العدلي لترى واقعاً بغيضاً آخر، أموات لا يعنيهم شيءٌ من هذا، الخنوع والذل هي أنفاسهم اليومية، لا يفكرون أبعد من أن يأكلوا ويشربوا، فمتى سيتخلصون من بؤسهم ذاك؟!

هل هذه هي الحياة التي يجب أن نحياها؟! هل يفكر هؤلاء الناس في حياتهم التي أصبحت حياة الأنعام والبهائم؟! متى سنستيقظ ونفكر كبشر في واقعنا هذا؟! ما تبقى لنا من الشرف والكرامة والإنسانية كانت في الرمل الجنوبي، إن نفساً واحداً تتنفسه وأنت حر يعادل الدنيا ومافيها، فواعجبي كيف يرضى هؤلاء أن يكونوا قطيعاً مطيعاً في حظيرة الرئيس وعائلته وزبانيته؟!.

عدت إلى قائد الشرطة بعد ساعات وهنأني بالسلامة، وأنه لم يتركني ولو للحظة وأرسل محام ومن هذا القبيل الذي لم أصدق حرفاً واحداً منه، وقلت له: «صحيح؟!! والدليل أنكم نظمتم بحقي ضبطاً !!».

-أنا لاعلاقة لي،تلك الغبيةآمال هي التي فتحت ضبطاً من تلقاء نفسها، على كلٍ اعتن بنفسك واذهب إلى عملك.

ودعته وانصرفت إلى العميد تركي معاون قائد الشرطة، الذي أعلمني أنه اتصل بوزير الداخلية محمد الشعار، وأنه تم تشكيل لجنة وزارية للنظر بأمري لإنصافي.

بعد عدة أيام تم استدعائي من قبل وزارة الداخلية بعد تشكيل لجنة للتحقيق بالحادثة كاملة، بالفعل حضرت إلى مبنى إدارة الأمن الجنائي في دوار الجمارك في دمشق، حيث استقبلني العميد الحاقد الطائفي (رائد) وطلب مني أن أكتب ما حدث معي في أوراق أعطانيها لأملائها بما حصل، يتكلم معي بلهجة فوقية ويخاطبني كما لو كنت جاهلاً أمياً، ويطلب من أحد الضباط الأقل مني رتبةً أن يعلمني كيف أكتب، فأجيبه ساخراً: «لاعيب في أن نتعلم من الصغير والكبير»، وكان قد تم استدعاء جميع المشتكين والشهود معي، أحدهم من نفس قرية العميد رائد في جبال الساحل.

كانت إفاداتهم جميعاً متضاربة، رغم محاولة العميد رائد مساعدتهم، أحضرت له إفادتي في سبع أوراق اختفى فيها اللون الأبيض، بمعلوماتٍ وقراراتٍ وقوانينَ يقرأها للمرة الأولى في حياته، لأنه وببساطة كان جاهلاً بالقوانين والأنظمة ، يزداد اندهاشه كلما قرأ الإفادة التي أعاد قراءتها عدة مرات وكان ينظر إلي بين الحين والآخر متعجباً، حتى كسر ذلك الإيقاع وقال: «ماشاء الله متى استطعت حفظ كل تلك القوانين والأنظمة والأوامر الإدارية».

قلت له: «أنا ضابط شرطة أعمل في مجال القانون الذي هو حياتي اليومية فمن الطبيعي أن أحفظ كل ما قرأت».

بعد قليل دخلت إلى اللجنة في مكتب اللواء (محمد من ريف دمشق) رئيس اللجنة، وعنده أربعة ضباط برتبة عميد، من قيادة الشرطة وفرع الأمن السياسي وإدارة الأمن الجنائي

وفرع الأمن الجنائي، يحمل إضبارتي التي تم تقييم عملي فيها خلال سنوات خدمتي.

بعد أداء التحية جلست في أحد الكراسي، سألني اللواء عن سبب دخولي السجن فأخبرته القصة كاملة، وحال العميد في الجيش الطائفي (رشيد) وما قام به وما فعله وما فعلوه، وأنه قام بتحريض عناصر الشرطة، وأنهم ينقمون علي لأني أتعامل مع أهل المنطقة بشكلٍ جيد، وسيارتي الوحيدة من بين سيارات الدولة تدخل إلى الرمل الجنوبي، وأخبرته كل ما جاء في ضبط الشرطة والقضاء.

عندها قام بالصراخ: «أنت من أين»؟؟

أجبته: «ريف دمشق الكسوة».

-يعني أنت سُني ومنطقتك التي تعمل فيها من أهل السُنّة، والشرطة علوية!! وتريد أن تتهمهم بأنهم يشتغلون بطريقة طائفية معكم ، ويتعاملون معكم بطائفية؟؟! أهذاماتريد قوله يا محمد أم لا؟؟!

-أنا لم أقل هذا، قلت أن هؤلاء الشرطة ممن قاموا بهذه الأعمال هم الطائفيون، عندي أصدقاء علوية ينشربون مع الماء العكر!

توجه بالكلام الى الضباط الحاضرين: «شفتوا ضباطنا ماعندهم طائفية، العناصر هم أولاد كلب». ثم أشار علي وقال: « نحن ماذانريد غير أن نتعامل مع الناس بإحترام، نريد ضابطاً مثل محمد يقدر يتكلم مع الناس، نحن ما أتينا لنقتل الناس»!

طلب من الشرطي حسان المشتكي الرئيسي الدخول، وقام بسؤاله عن الموضوع، فتلعثم بالكلام وروى روايته.

وبعد انتهائه، قال له اللواء: «يا طائفي يا حقير تشتكي على معلمك، والله لأخرب بيتك، معلمك من أكفأ ضباط الشرطة في سوريا».

أنظر إليهم وأحدث نفسي ماذا يحدث؟!! ولماذا يتحدث عني بهذه الطريقة؟!! سبحان الله، أنالا أعرف أحداً خارج محيطي في اللاذقية.

بعد خمسة أيام عدت إلى اللاذقية بعد أن طلبت اللجنة منا العودة إلى أعمالنا، كان الجميع يتهامس فيما بينهم، عمن كان واسطتي فأخرجني من السجن ، وعاد بي إلى الديار؟!!

تم استدعائي إلى فرع الأمن السياسي، بعد عودتي بأيام وتم التحقيق معي من قبل المقدم رئيس قسم أمن الشرطة بكل أدبٍ واحترامٍ في نفس الحادثة، وكان جوابي متطابقا لما قلته سابقاً.

في اليوم التالي صدر عن اللجنة مايلي: يعاقب بعقوبة مشددة العميد محسن لعدم قيامه بالدفاع عن النقيب محمد فيما هو محق فيه وينقل خارج المحافظة، يعاقب بعقوبة مشددة العناصر المشتكون والشهود وينقلون خارج المحافظة لإقدامهم على الشكوى على رئيسهم النقيب محمد، يعاقب النقيب محمد بعقوبة بسيطة لعدم الشكوى على العميد محسن ويثنى عليه لتصرفه وتقديره الصحيح في التعامل مع الوضع في منطقة عمله.

عند قراءتي لهذا القرار، سجدت لله وبكيت وأنا أحدث نفسي: «ماالذي يحدث يارب! سبحانك هل أستحق هذه الرحمة وهل أنا مؤهل لأنال عطفك؟!، يارب مالي متكأ أو مَن أستند عليه غيرك، فكن معي دائما يارب»

***

لقد حدث تحول تاريخي هنا في اللاذقية!فالجميع بات يخطب ودّي ويعتقدون أن ورائي (واسطة) كبيرة جداً ، ولكن

في الجانب الآخر توسعت عليّ عيون فروع الأمن وكانت تراقبني من بعيد.

لكني كنت أشعر بعين الله تحرسني، وتنتشلني من كل مصيبة أقع فيها، ولا زلت أدعو: «يا رب لك الحمد فكن دائماً معي، وكن واسطتي دائماً».

*****

اتجه باتجاهي العجوز قائلاً: الله يحميكم اقتلوا أعداء الله واعداء الوطن.

فقلت له: من تقصد ياعم؟

قال لي: هؤلاء الذين يخرجون ضد سيادة الرئيس وبدهم حرية.

قلت له: طيب تابع مسيرك.

اقترب مني أحد عناصر الشرطة من (شركاء الوطن) الذين كانوا تحت أمرتي وكان بيننا مودة، قال لي مازحاً وهامساً بأذني: يا سيدي لو يعرف هذا أنك من جماعة الحرية، لقام بقتلك.

فضحكت وقلت له: أترى؟! نحن نقول الشعب السوري واحد، وأنتم تقولون نريد أن نقتلكم، فكيف سنحلها بيننا؟!

أنقذني العلوي وخانني السني
٢٠١١/٩/٥

بدأت الأسئلة تطاردني بعد رؤية مايفعله النظام في الشعب بعد قيام الثورة، وبعد نقلي إلى قسم الشاطئ الأزرق والعيش في منطقة غالبيتها من طائفة النظام (شركاء الوطن) وكيف يفكرون، أسئلةٌ باتت لا تفارقني:

فإلى من ننتمي وما هو شكل هذا الإنتماء ومن هو عدوي وأي أساس أعتمده لتحديد العدو؟!!، الانتماء والهوية ومفهوم العدو، هي أسئلة وجودية يجب أن نسألها في سورية كثيراً، وعلى ضوء الإجابة على هذه الأسئلة، نبني وطننا ونحدد شكل ومضمون العقد الاجتماعي الذي يربطنا كأفراد شعب .

لدي صديق مقرب من طرطوس من «شركاء الوطن»، تصادقنا من أيام الجامعة ودخلت قبله بعام في سلك الشرطة، وجمعنا القدر في عملنا في نفس المحافظة، هو الصنف النادر وربما الوحيد الذي قابلته من طائفته، الغير المقتنع بشيء مما نعيشه ، لا بالنظام ولا بالثورة.

عندما كنت اختنق اذهب إليه وأشتم بشار ونظامه وأقول له « متى ستنزلون عن ظهورنا» .

فيضحك ويقول «أنتم تقومون بثورة ،أرونا مراجلكم ؟!!».

عندما استُدعيت إلى فرع الأمن السياسي بتاريخ ٢٠١١/٩/٥ وبعد خروجي من السجن المدني.

سألني المقدم سامر رئيس قسم أمن الشرطة في فرع الأمن السياسي، عن أهم أصدقائي من الضباط ، فقلت له: كلهم أحبابي ، وعمار أقربهم لي.

قام بالاتصال به أمامي وفتح سماعة الهاتف قال له: " شو رأيك بالنقيب محمد من الرمل ".

قال له: أنا أؤمنه على نفسي وامرأتي وابني.

-لكنهم يقولون، أنه خائن ومعارض.

-يا سيدي والله هو وطني ،ويحب البلد، لكن مشكلته أنه مندفع كثيراً ولا يسكت عن الغلط، و أؤمنه على امرأتي وابني كما قلت لك.

أغلق المقدم سامر سماعة الهاتف ثم نظر إلي وهو يبتسم

- "لك شو مساوي للضباط حتى يحبوك" .

- بشرفك يا سيدي هل أنت تكرهني؟

- شغلي أن أحقق معك، لا يهم أن أكون أكرهك أو أحبك .

-بالله عليك، ماهو رأيك حول الموضوع ؟

- دير بالك على شغلك وحالك، وهدىء أعصابك،لن يفهمك أحد بهكذا ظروف، ربك سترها معك هذه المرة.

ثم تركته وعدت إلى قسم الشرطة بعد أن اتصلت بصديقي وشكرته.

من الجهة الأخرى ،أغلب عناصر السنة رفضوا الإدلاء بشهادتهم حول حادثة الرمل التي أودت بي إلى السجن والتحقيق الوزاري، خوفاً وجبناً، باستثناء المساعد محمد والعريف محمود واللذان كانا خير معينٍ لي بعد الله في تلك الفترة.

مرة قبل أحداث الثورة السورية، استدعاني معاون قائد الشرطة العميد علي (من شركاء الوطن)، الذي كان معجباً بي لأسباب إلهية كما أخبرني!

قال لي :"شو يا محمد في شكوى عليك".

-خير يا سيدي والله لم أفعل شيئاً.

- في شكوى من شرطي ومعه واسطة كبيرة، قال أنك تعامله بطائفية.

-طائفية مرة واحدة يا سيدي ، بالله ماهواسمه.

-خذ اقرأ. أعطاني شكوى، نصها التالي: " أنا الشرطي محمد من مرتب قسم الرمل الجنوبي ، إن النقيب محمد يقوم بالتضييق والتدقيق علي ، ويحقد علي كوننا من منطقتين مختلفتين ومن طائفتين مختلفتين»، وكثير من هذه الترهات...

-ولكن يا سيدي من أين هو؟ هو من إدلب خان شيخون!

- صح .

-وأنا من ريف دمشق.. كملت معنا، ولكن مايقوله صحيح، فنحن من دينين مختلفين ، دينه الرشوة والسرقة وابتزاز الناس.

قال العميد عليّ الذي لا يقل فساداً عن المشتكي: صحيح كلامك فكيف جعلها هذا"طائفية" ؟

ثم أدخله العميد عليّ إلى مكتبه وحاول ضربه بعد أن أشبعه شتائم وسباباً.

وهذا خير دليلٍ على أن الخير أو الشر ليس مطلقاً في جماعة دون غيرها ، المسألة ليست شخصية، فأي إنسان يحوي كمّاً من التناقضات في داخله، فهو يحوي الخير والشر والصراع بينهما حتمي ولايكاد يهدأ، فإما يسمو بخيره وإما يهبط إلى أسفل السافلين بشره، عوامل الحقد والغضب تعين الشر لينتصر ويتخلى عندها الإنسان عن إنسانيته ويتحول إلى مجرد وحش متعطش للدماء ، وعوامل الهوان والخوف تدفع أحياناً بالخير إلى الإختباء والهروب كما في حال صديقي.

لقد حاورت صديقي عمار كثيراً حول موقف الطائفة من الثورة، ولماذا اصطفوا في أغلبهم مع النظام، ووصلت لفهم كيف يفكر أبناء الطائفة من خلال حوارنا، وهو أن النظام في بداية الثورة قد ورطهم في تلك الأحداث واستغل جهلهم وخوّفهم من السنة، إضافة إلى أنهم أنفسهم متخوفون من سلب الإمتيازات التي منحهم إياها النظام في التسلط على البقية-كان يكفي أن تقول "أنا علوي" حتى تفتح لك الأبواب-.

إنهم يعلمون علم اليقين أن الشعب لا يكرههم لإنتمائهم الديني بل يكرههم لفكرة التسلط وتمييز أنفسهم عن البقية.

و مع تطور الثورة إزداد تورطهم حتى أوغلوا في الدماء والقتل و استمرأوا ذلك، وسدوا باب التوقف ولو للحظة للتفكير فيما يفعلونه، وأنا أتكلم عن الغالبية العظمى وهذا يعني أنه لايشمل الجميع.

من الأمور التي توقفت عندها في بحثي عن هويتي وإنتمائي، هي شعار (واحد واحد ..الشعب السوري واحد) شعار أطلقه المتظاهرون من بداية الثورة السورية واستمر حتى مراحل متقدمة منها، ولقد لمست من كل مَن قابلتهم من متظاهرين ومن أفراد عاديين، رغبةً حقيقيةً في أن ينضم لثورتهم كل أبناء المكونات وخاصة الطائفة العلوية،نعم خاصة العلويين، كانوا ينادونهم في كل المحاور ويناقشونهم كلما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، يريدونهم أن يفهموا أن ثورتهم لا تستهدفهم كطائفة وأنهم جزء من الشعب السوري، هم لايريدون من العلويين في أضعف الإيمان غير أن يقفوا على الحياد وألا يكونوا أداة في يد النظام لتفريق الشعب السوري عن بعضه، كانت الرغبة الصادقة من المتظاهرين نابعةً من قلوبٍ لم ولا تعرف الكره أو الحقد، لكن العلويون في معظمهم خذلونا جميعاً، وكأن نداءً من مكان ما قد صدر لهم وتطوعوا لخدمة النظام وفروع أمنه بكل ماأوتوا من قوة، كم آلمني مشاهدة رجال ونساء

من الطائفة وهم يحضّون أولادهم على الذهاب للقتال في صفوف النظام لقتل المتظاهرين ويشحذون عزائمهم بعبارات طائفية، شاهدتهم في قسم الشاطئ الأزرق وشاهدتهم على التلفاز وسمعتهم في المسيرات المؤيدة التي كان يخرجها النظام ويضعنا كشرطة في حراستها، كنت أسمع فيها هتافات وعبارات طائفية.

في إحدى تلك المسيرات المؤيدة، وبناءً على الأوامر الوزارية تم تمركزي برفقة دورية أمام مدخل أحد الشوارع الرئيسية التي ستمر منها المسيرة ، حينها مر من أمامي عجوزٌ سبعيني من أبناء الطائفة (شركاء الوطن) وحوله أشخاص كثيرون يهتفون بالولاء للرئيس ويطالبونه بلبس البزة العسكرية ليقتل الخونة في إشارة للمتظاهرين.

فجأةً اتجه باتجاهي هذا العجوز قائلاً: الله يحميكم اقتلوا أعداء الله واعداء الوطن.

فقلت له: من تقصد ياعم؟

قال لي: هؤلاء الذين يخرجون ضد سيادة الرئيس وبدهم حرية.

قلت له: طيب تابع مسيرك.

اقترب مني أحد عناصر الشرطة من (شركاء الوطن) الذين كانوا تحت إمرتي وكان بيننا مودة، قال لي مازحاً وهامساً بأذني: يا سيدي لو يعرف هذا أنك من جماعة الحرية، لقام بقتلك.

فضحكت وقلت له: أترى؟! نحن نقول الشعب السوري واحد، وأنتم تقولون نريد أن نقتلكم، فكيف سنحلها بيننا؟!

***

تلك الواقعة بما تحمله من مزاح وضحك، كانت تثير في نفسي أسئلة لم تفارقني من بداية الثورة ومازلت أبحث عن إجابات لها:

إلى من ننتمي نحن السوريين؟ وهل نشعر أننا أبناء وطن واحد؟! من هو عدونا ، ومن هو صديقنا؟! ومن هو عدوي على المستوى الشخصي، ومن هو صديقي؟! .

هل كلنا نشعر بنفس الانتماء؟ أم أن الثورة فجّرت حقائق مخيفة بشعة كانت نائمة فيما بيننا ونحن لاندري؟!

*****

وسألت:

-يعني ندمان الآن يا أبو محمد؟!! ألم تكن ذليلاً عنده من قبل الثورة؟ ألم تكن تخافه وتترجّاه وتدفع له من قبل؟؟! كيف تندم الآن؟!

نظر إليّ نظرة استنكارٍ قاتلة، وبعيني صقرٍ يتأملني من الأسفل للأعلى، ثم استدرك على ماتفوه به للتو:

«والله لا يكسر يدي عن الفعل غير الأولاد، والله لو بقي في عمري يوم، لألعنن أبا أباهم أولاد الستين ألف صرماية».

اللقاء المرير

٢٠١١/١٠/٢٠

التقيت اليوم صديقي من حي الرمل الجنوبي في أحد مقاهي المدينة، كان اللقاء لقاء عاشقين بعد غياب سنين،

كانت عيناه الدامعتين المملوءتين بالقهر، عينا الانكسار تخبراني كل شيء، لم أشاهده قبل اليوم إلا رجلاً صلباً مرحاً، بدا وكأنه قد تحطم كل ما فيه، كان يختنق بكل نفس و شهيق، وينفث زفيراً قاتلاً.

أهلاً أبو محمد شو أخبارك؟ الحمد لله على السلامة»«

احتضنني بكلتا يديه، وكأنه يراني للمرة الأولى منذ سنوات طويلة

"خرجت من السجن! الحمد لله على سلامتك ، شفت شو عملوا فينا؟!! تبهدلنا يا معلم"! قتلونا وشردونا و بهدلونا ثم أخرجونا من منازلنا وديارنا.

سادت لحظات صمت رهيبة، خيالات الناس وأيام جميلة قضيناها، وكل ما عشناه مر في ذاكرتي في تلك اللحظات القاهرة، ثم كسرت الصمت الذي ساد، فقلت له :

"الحمد لله على السلامة أنت، لكن ربك سيفرجها، وربك لا يقبل بالظلم، وبالنهاية لن يصح الا الصحيح"

توقفت، هل كانت تلك الكلمات كافية لقول ما أود قوله؟!

أجابني: "لكن يا معلم أي صح وأي صحيح ، الغلط والظلم هو الذي يفوز بالنهاية ، على كلٍ الله موجود".

وفي محاولة لعدم الاستطراد وكي لايتطور لسب وشتم النظام في مكانٍ عام، فنحن في دولة أمنية للحيطان فيها آذان ولا تعرف المخبر من الشريف، ناديت النادل:

-أبو سعيد أحضر لنا اثنين قهوة سادة، أبو محمد قهوتك لازالت سادة؟!

أي سادة لم يتبق شيء حلو في الحياة يا معلم. -

-وحد الله يا رجل.

لا إله إلا الله-

أنت شو اخبارك معلم، شو صار معك.-

- والله بقسم الشاطئ عند عمك العميد أبو علي جمال العميد أبو علي؟

-الله رحمك.

-الحمد لله على كل حال ، بس والله ما لي مبسوط.

-طبعاً مارح تنبسط، الكل عندكم رأسه كبير، غير الرمل الجنوبي ذو الشعب الفقير المُعتر.[1]

-شو بدنا نساوي خليها لربك

- شو بدك تساوي؟! قرقع متة متلهم.[2]

---

١ مُعتَر: مسكينٌ فقير ، يتعرَّض للمسألة ولا يسأل. معجم المعاني الجامع

٢ مشروب المتّة هو مشروب ساخن من فئة المنبهات يعود منشأه إلى دول أمريكا الجنوبية وفي الوطن العربي ينتشر في عدد من مناطق سوريا ولبنان على وجه الخصوص ويكيبيديا.قرقع الشّخصُ : أحدث صوتًا جافيًا كصوت وقوع الحديد على الحديد ونحو ذلك. معجم المعاني.

(يتم استخدام مصطلح قرقع متة في سوريا في إشارة ساخرة عن طائفة الرئيس ومن ينتمون له، لأن المتة هي المشروب الأساسي عند أهل الساحل عامة ، والعلويين منهم خاصة)

قال ساخراً ضاحكاً.

فضحكت حتى كدت أنقلب عن الكرسيّ.

كانت تلك أول ضحكة من القلب أضحكها منذ خروجي من الرمل الجنوبي ومن السجن.

-أي والله يا أبو محمد سقى الله، والله من زمان ما ضحكت.

-كيف حال العميد أبو علي. سألني..

-تمام، الحمد لله، ما في منه.

صمتنا ونحن نرتشف القهوة ونتبادل أحاديث الإطمئنان، ثم سألته: "احكي لي أبو محمد، كيف طلعتوا من الرمل؟"

فأجابني:"والله يا معلم بعد ما فتحوا الحواجز بسكنتوري وبستان السمكة، طلعنا ومعنا العائلة والنساء والأولاد ولانعرف إلى أين نذهب، مثل المجانين، الكل مرعوب وخائف، قول يوم القيامة يا رجل، كل واحدٍ همه أولاده وعياله، الله وكيلك ما في مجال تنظر بوجه أحد، ربك الحميد عندي أخي ساكن بصليبة قلت بروح لعنده، ومسكت يد ولديّ، وامرأتي حملت الصغير متل النّوَر[1]، لا والله النّوَر أحسن منا، المهم طلعنا بطلعة الرمل، ووصلنا عند مدرسة٦ تشرين».

عندما حاولنا قطع الشارع، رأيت عناصر أمن عسكري يُعبئون الناس بباصات و يأخذونهم إلى المدينة الرياضية، كل شابٍ أو شخصٍ لم يعجبهم شكله يأخذوه، حتى أنهم أخذوا نساءاً، نظر إليّ بغلٌ من بغال الأمن قال لي: «وقفوا على جنب»، أوقفوني على جنب أنا والعيلة، قلت لنفسي والله راحت علي، وصارت الأفكار تأخذني وتأتي بي، معي امرأتي والأولاد، قلت في نفسي: والله الموت أرحم من أن يفعلوا معنا

---

١ النّوَر: الغجر، والمعنى توصيف النزوح كنزوح قبائل الغجر وتنقلها.

شيئا من أفعالهم وفظائعهم.

«إذا حضروا ليأخذوننا، سأضرب واحداً وآخذ منه البارودة وأقوسهم وأهرِّب عائلتي، وخليني أموت ساعتها»..هكذا كنت أحدث نفسي!

لحظات قاتلة بكل ما للكلمة من معنى، يدك مربوطة وحاكمك ظالمك، فماذا ستفعل يا مسكين؟!!

ثم ارتشف قهوة وسحب نفساً عميقاً كعمق البحر الذي أمامنا، نفس يسحبك إلى عوالم القبر المجهولة،حيث تكون وحيداً وحولك الذئاب تتربص إغفاءة حتى تنقض عليك.

. أكمل يا أبو محمد

أي والله يا معلم، على فكرة القهوة طيبة.

-لا تلعب بأعصابي أكمل.

هذا تشويق يا معلم.

لا تؤاخذنا نسيت أنك تحب التشويق أكمل رجاءً.

هل أمورك إن شاء الله تمام؟

.لك أكمل فقعت مرارتي

-ماذا تريديني أن أحكي؟؟ أقسم بالله قمة الذل الذي لن تلقاه إلا هنا، أخوات الشرموطة حولك وأنت وحدك، وكل واحد يأتيك فينظر إليك ويزَوَرَك[1] ، ويقعدوا يحكوا مع بعض ويسألوا بعضهم: مَن هؤلاء؟، فيجيبه الآخر:لا أعرف، بتلاقيه أخو شرموطة من جماعة الرمل.

بعد قليل حضر مساعد بالأمن العسكري، كانت بيننا مودةٌ تعرفه سامي؟! ، قبل الثورة أخذ مني أموالاً يمكنه بها شراء بيتين، رشوةً وابتزازاً أعطيتها له كي أتجنب شره ، تعرف كيف

---

١ في معجم المعاني الالكتروني الجامع: زَوَرُ العَيْنِ : أَيِ النَّظَرُ بِمُؤْخِرِهَا

كانوا يتصرفون حينها، لكنه شهادة لله لم ينس وقد ساعدني عند خروجي من الرمل، وإن كان لم يساعدني من أجل سواد عيوني.. ولكن بسبب ماكان قد أخذ مني في حينه.

قلت له: أبو حيدر كيفك أنا أبو محمد.

-أهلاً أبو محمد شو موقفك هنا؟

-ما بعرف واحد قال لي وقف فوقفت.

-تعال إمشِ معي، فمشيت معه.

قال للضابط الموجود أمام محطة القطار: سيدي هذا قريبي لاعلاقة له بشيء، هل تريد منه شيئاً.

-يعني أليس من المسلحين؟ قال الضابط

ضحك أبو حيدر: «هذا يخاف من خياله، لايستطيع حمل بيضاته حتى يحمل سلاح».

- كلهم أولاد عاهرة. قال الضابط

قال أبو حيدر: هذا غير يا سيدي.

-على كفالتك ؟!

أي نعم يا سيدي.-

- "طيب قلعه[1] وخليه ينقبر[2] يروح»، قال الضابط .

صرت أتشكره وكنت سأقبل يده، وقلت له:» تفضّلت علي، وما في منك وكثر خيرك»

وحتى في ذلك الموقف المهول ، لم ينس ، إذ قال لي : «أي بقى لا تنسانا»[3]!!

قلت له: معقول يا أبو حيدر؟!! أنت معلمنا وغالي على قلبنا،

---

١ قَلّعه: اطرده

٢ ينقبر: ليفتح خبراً ويدخله

٣ أي لاتنسنا من دفع مايجب عليك دفعه مقابل هذا المعروف!

ولا يهمك ما أنساك، ومتى نسيتك أنا، وتعرفني لا أقصر.

وتشكرته، وحملت نفسي وامرأتي والعيال وقلنا يا رب، وقعدنا عند أخي بصلية.

ثم تابع شرب القهوة وتوجه إلي بالكلام :

-لك شايف[1] معلم، لقد أذلونا، شقفة عرص[2] ثمنه نصف ليرة صرت تترجاه، «الله يلعن أبو الحياة وأبو الدنيا وأبو الحرية، شو كان بدنا بهذه القصة؟!! إلّتعن أبو أبونا».

ارتسمت على وجهي علامات الاستغراب والاستفهام و الاستهجان والألم وسألت:

-يعني ندمان يا أبو محمد؟!! ألم تكن ذليلاً عنده من قبل الثورة؟ ألم تكن تخافه وتترجّاه وتدفع له من قبل؟؟! كيف تندم الآن؟!

نظر إليّ نظرة استنكارٍ قاتلة، وبعيني صقرٍ يتأملني من الأسفل للأعلى ، ثم استدرك على ماتفوه به للتو:

- «والله لا يكسر يدي عن الفعل غير الأولاد، والله لو بقي في عمري يوم، لألعنن أبا أباهم أولاد الستين ألف صرماية[3]،

١ شافَ الرَّجُلُ : أشْرَفَ ، نَظَرَ/ معجم المعاني الجامع

٢ *في المعجم الوسيط: عَرَّصَ اللحمَ : ألقاهُ في العَرْصَةِ ليَجِفَّ / عرصت السماءُ ـ عَرْصاً: دام برقها ـ(عَرصَ) البَرْقُ عَرْصاً: اضطرب.

*في معجم الصحاح: العَرْصَةُ: كل بُقعةٍ بين الدُّورِ واسعةٍ ليس فيها بناءٌ، والجمع العِراصُ والعَرَصاتُ

*صفحة سين جيم المعاني/ الجواب «عاطف شرايعة» - موقع معجم المعاني الالكتروني الجامع: وكانت تستعمل في مصر للشرطي الذي يفتش دور البغايا ليتأكد من حملهن الوثائق،واشتُقت من هذه الصفة لفظة التعريص وهي ممارسة مهام الشرطي العرص من دياثة أو تكسب من الحرام والتماهي معه بوجه عام

*وتستعمل في العامية في مختلف بلاد الشام بمعنى الديوث.

٣ في معجم المعاني الالكتروني الجامع:الصِّرْمُ : الخُفُّ المُنْعَلُ، الصِّرْمُ : القطعةُ من كل شيء. الصِّرْمُ : الجماعة المنعزلة.

وفي المعجم الرائد/التهذيب: التهذيب : الصَّرْمُ الهجْرانُ في موضعه .

وفي الحديث : لا يَحِلُّ لمسلم أن يُصارِمَ مُسْلِماً فوقَ...

لم يشبع هو وأبوه، يكفي.يكفي مانهبوه حتى الآن وما قتلوا ونكّلوا، ليرحل و ينقلع[1] ابن الكلب، لن نتخلى عن حريتنا، الله موجود ولن يتخلى عنا وغداً سوف نرى».

قبل أن ننهي حديث الأرواح والأماني وتقليب المواجع والأوضاع والمواقف على أوجهها ، في ذبذبة الإنسان الممتحن الموجعة مابين الرجاء واليأس ، والإقدام والنكوص، وحب الحرية ولعنها في آن، وفي تشبث السوري بأهداب الكرامة ومهما كانت الحال التي هو فيها مزرية مأسوية، قال لي:

«لا تخف معلم إلا ممن خلقك، ما كتبه ربك لن يغيره العبد، أمانة هل ينقصك شيئاً، هل تريد شيئاً، نحن إخوة... أمانة برقبتك قل ماتريده».

-لاأريد إلا سلامتك، الله يحميك ويسلم لك العيال، إذا احتجت أنت لأي شيء خبّرني، ورقمي عندك، إذا احتجت إلى أي شيء اتصل بي.

الله يسلمك .. سلام

***

رحل مخلفاً روحه المشوشة المتناقضة ، روح كل سوري مزقته المحنة، تسبح معي في كل زاوية وزقاق أينما حللت.

*****

وتستعمل في لهجات أهل بلدان الشام بمعنى «الحذاء البالي» كشتيمة وإانة.

١ المعجم: اللغة العربية المعاصر: القلعُ : انْتزاعُ الشيء من أصله.

المعجم الوسيط:انقلع فلانٌ من مكانه : عُزِلَ منه .

حارب النظام كل ظاهرة قيادية ظهرت منذ بداية الحراك الثوري، وركز جُلّ إهتمامه على كل ذي شأن في المظاهرات، لاحقهم، وقتلهم، واعتقل الكثير منهم، وهرب كثيرون ناجون بحياتهم كذلك، حتى تعم الفوضى ويسهل له السيطرة على الشعب الذي لايجد قيادة ولابوصلة في قلب جهنم .فكيف سيتركك وشأنك بعد كل الذي جرى وأنت تتمتع بمحبة واحترام الناس ، ولاتنتمي إلى طائفة النظام!؟؟

في وكر العقارب

٢٠١١/٨/٢٠

تأقلمنا على بعضنا البعض.. فروع الأمن وأنا، فدورية أمنٍ سياسيٍ دائمةٌ أمام منزلي في حي المشروع العاشر، عيونهم ترقبني في كل مكان، تم تفتيش منزلي والقادمين لزيارتي لعدة مرات، آخرها تفتيش لفرع أمن الدولة وبوجود شقيقي لكنهم لم يجدوا شيئا، كنت مؤمنا أن تلك الأعمال هي لمجرد عزلي مع نفسي وإبقائي وحيداً ، فماذا يعني أن تكون ضابطاً قياديا تتمتع بمحبة واحترام الناس في ظل نظام أمني قمعي تتمرد عليه؟، هذا يعني أن خطرك أضعاف ما لغيرك! وهم يظنون أنك ستؤذيهم أيما إيذاء.

فأنت كضابط –من غير شركاء الوطن- تعرف مداخل ومخارج النظام وكيف يفكر، وتملك تحليل المعلومات والخطوات التي يقوم بها النظام، وأنت كرجل قانون مؤهل لتقوم بعمل منظم-كما يتصورون- ! وربما ستقود الناس! والنظام يحارب كل ظاهرة قيادية ظهرت منذ بداية الحراك الثوري، وركز جُلّ إهتمامه على كل ذي شأن في المظاهرات، لاحقهم، وقتلهم، واعتقل الكثير منهم، وهرب كثيرون ناجون بحياتهم خائفين من بطشه كذلك ، حتى تعم الفوضى ويسهل

له السيطرة على الشعب الذي لايجد قيادة ولابوصلة في قلب جهنم...فكيف سيتركك وشأنك بعد كل الذي جرى؟!

قسم الشاطئ الأزرق الذي تم نقلي إليه، مشرفٌ على منطقة عمل تمتد على طول الساحل الغربي للبحر الأبيض المتوسط، وتتكون من عدة مناطق وأحياء وهي دمسرخو وحي شاليهات المنتجع وحي شاليهات المريديان وحي المشروع العاشر، وتحوي على أمكنة حيوية أهمها منتجع اللاذقية والمريديان ونادي الضباط وقصر جميل الأسد[1] وأولاده ومسجده «الإمام المرتضى» و«إقامة-فيلا» رفعت الأسد[2] ومنتجع روتانا، وكلها

---

١ ولد جميل علي سليمان الأسد في بلدة القرداحة1933، وهو أخ حافظ الأسد وعم بشار الأسد هو الشقيق الأوسط لحافظ الأسد وترتيبه الثانية بعد حافظ الأسد وقبل رفعت الأسد من أبناء سليمان الوحش، تزوج جميل مرتين المرة الأولى وانجب منها فواز الأسد ومنذر الأسدوتزوج جميل الأسد للمرة الثانية وأنجب حيدر الأسد.أصبح عام ١٩٧٣ عضوا في مجلس الشعب السوري

١. عام ١٩٧٥ عضوا في المؤتمر القومي الثاني عشر لمنظمة الحزب الحاكم حزب البعث العربي الاشتراكي

٢. عام ١٩٨١ أسس جمعية المرتضى وهي جمعية طائفية تصبو إلى تنصير أبناء السنة (أي دعوتهم لاعتناق النصيرية) في الجزيرة وبادية حمص وحماة بحجة أن فلاحي هذه المناطق كانوا نصيريين وأجبرتهم السلطات العثمانية على اعتناق المذهب السني

٣. عام ١٩٨٤ ايد رفعت الأسد في محاولته الانقلابية على حافظ الأسد ولذلك قرر حافظ حل«جمعية المرتضى» ومنع جميع أنشطتها

٤. عام ١٩٨٤ تحول جميل للتجارة فأسس مكتباً للاستيراد والتصدير

❖ وفاته ٢٠٠٤ عن عمر ناهز ٧١ ...المصدر ويكيبديا

٢ رفعت علي سليمان الأسد (مواليد ٢٢ أغسطس ١٩٣٧) هو الشقيق الأصغر لحافظ الأسد وجميل الأسد وعم بشار الأسد.شارك في انقلاب ٢٣ شباط ١٩٦٦ وفي انقلاب ١٩٧٠ بقيادة شقيقه حافظ ونائبه في رئاسة الجمهورية.لعب دورا رئيسيا في الحياة العسكرية والسياسة في سوريا منذ تولي أخيه السلطة التنفيذية في العام ١٩٧٠. وظل يقودالفرقة ٥٦٩ ويشرف على سرايا الدفاع حتى العام ١٩٨٤، وكان العديد يرون فيه الخليفة المرجح لأخيه الأكبر حافظ الأسد في قيادة البلاد.حاول أن يقود محاولة إنقلابية لعزل شقيقه حافظ الأسد إثر دخوله في غيبوبة مرضية عام ١٩٨٤،وقد تطور الأمر إلى نزاع بين القوات التابعة له والقوات الحكومية، وكان رفعت الأسد يهدد بإحراق العاصمة دمشق، إلا أن حافظ الأسد، تمكن من احتواء الأمر، وقام بإرغام شقيقه على مغادرة سورية بعد إعطائه مبلغا كبيرا من المال، تكفل الزعيم الليبي معمر

تقع تحت إشراف القسم الذي أعمل فيه الآن أمنياً وجنائياً، جميع السكان هم من الطائفة العلوية ويوجد بعض الأقليات من الطائفة المرشدية وبعض المسيحيين.

كان نقلي إلى قسم الشاطئ الأزرق، بمثابة محاولة إخضاع وتكسير رأس، فسكان هذه المنطقة في معظمهم هم من طائفة الرئيس، وهم يتعاملون مع الجميع وكأنما كل واحد منهم هو الرئيس ذاته، وينظرون بإحتقار وفوقية الى بقية الشعب والطوائف.

وجودي هنا يعني أن الصدام قادمٌ لامحالة بين نقيضين، هذا هو الدواء الذي يعالج به النظام ضابطاً مثلي! إضافة إلى أن وجودي هنا سينسيني إنتمائي وأنشغل بنفسي، حتى تحين ساعتي ويتم التخلص مني برصاصةٍ مجهولة.

كنت أقيم في منزل استأجرته بالقرب من مكان عملي في الشاطئ الأزرق بين (شُركاء الوطن)، حيث كنت كالمنبوذ بينهم فأنا أتجنب الجميع وهم يتجنبونني ولم أحاول أن أبني أي علاقة معهم لإيماني بأنهم مغيبون في حقدهم على كل ماهو ليس من طائفتهم، جميع السكان بلا استثناء تطوعوا لخدمة النظام ونصبوا أنفسهم كمراقبين لتحركات كل غريب عنهم ومنهم أنا، كانوا يخبرون فروع الأمن عن أي حركة لاتعجبهم أو يعتقدونها مشبوهة في فكرهم القاصر.

القذافي حينذاك بدفعه، بسبب خواء خزينة الدولة من السيولة النقدية المطلوبة.. ليقيم بعد ذلك في منتجعه الخاص في (ماربيا) بإسبانيا.يُعد المتهم الأول في العديد من الجرائم الكبرى والمجازر الجماعية التي حدثت في سوريا في ظل حكم عائلة الأسد، مثل مجزرة حماة ومجزرة سجن تدمر، كما أن تهم الفساد المالي والاختلاس تلاحقه باستمرار [٢]، والتي كان آخرها الشكوى القانونية التي تقدمت بها منظمة شيربا والفرع الفرنسي لمنظمة الشفافية الدولية واللتان تعملان في مجال مكافحة الفساد وتتهمانه بأنه حصل على بعض ممتلكاته في فرنسا بطريقة غير قانونية. وقد بدأ القضاء الفرنسي بالنظر في هذه الشكوى..المصدر ويكبيديا

فالأمن داهم منزلي ثلاث مرات بحجة أن أحد الناس قد بلغ بوجود أعمال مشبوهة في شقتي، وتكتمل المسرحية حين يعتذر لي قائد دورية الأمن بأنه لايعرف أني ضابطا في الشرطة، لأنه في ظل النظام فإن لبيوت الضباط حصانة أدبية ليست قانونية، فهم لا يملكون دخول منزلي كضابطٍ إلا إذا سمحت لهم أو كان هناك مسوغ كبير ومعلومات أكيدة بوجود وضع فيه خطر على النظام، وحتى لا أضع نفسي في هذا الوضع المشبوه ، كنت دائماً أسمح للأمن بالدخول وتفتيش المنزل.

حتى انتهت المشكلة أخيراً بوضع دورية أمن سياسي دائمة بالقرب من منزلي فأراحوا أنفسهم وأراحوني من البلاغات الكاذبة.

لا أعرف على وجه الدقة، لماذا يعاملوني بتلك الرحمة الغريبة عن طباعهم؟ ربما بعد خروجي من السجن واعتقادهم بوجود واسطة كبيرة تقف ورائي هي السبب، أو ربما لعلاقتي الجيدة والمتينة مع ضباطٍ كثر في اللاذقية- كانت مع أكثر من عشرة ضباط - واعتقادهم أن أي محاولة للتخلص مني ستستثير هؤلاء الضباط، ويؤدي إلى انشقاقهم عن النظام وتركهم العمل، والشرطة تختلف في هذا عن الجيش، لأن ضابط الشرطة هو ضابطٌ قانوني حقوقي إداري وخضع لدورات تأهلية وهو خبير في عمله، وفي حال تركه للعمل لايوجد من يسد الفراغ[1].

كان وقت النوم لدي عملية مجهدة، أغلق الأبواب جيداً وأقفلها وأتفقدها عدة مرات، ومسدسي صار جزءاً لايتجزء

١ كان تعداد ضباط وزارة الداخلية السورية في العام ٢٠١٠ حوالي ٢١٠٠ ضابط فقط يعملون في كل سوريا بمختلف المجالات من مرور لأمن جنائي إلى أمن سياسي و أقسام ومناطق ونواحي الشرطة.

من حياتي حيث كنت أضعه تحت وسادتي، ثم أنام بعين نصف مفتوحة تحسباً لأي حركة فأنا لا أعلم ما تدبر لي فروع الأمن أو شبيحتهم، وخاصة بعد وضعهم دورية أمام منزلي وفي ظل وجودي في هذه المنطقة المنتمي كل فرد فيها للنظام قولاً وفعلا ، كم عانيت من عقدة النوم الذي لم أعرف له طعماً أو لذةً حينها، كنت أحسد الأطفال الذين ينامون بعمق لا يخشون فيه أحد، يا لله كم استيقظت فزعاً من كابوسٍ يدخل فيه علي عناصرُ الأمن ويضربوني ويعذبوني، كم قرأتُ المعوذات وأذكاراً دينية، وتمنيت لو كنت جاهلاً وغير رافضٍ لموروثاتنا وعاداتنا الشعبية وأشرب من «طاسة الرعبة»[1] التي كانت تحتفظ بها جدتي، لكن عقلي يأبى.

ومع كل ذلك سارت الأمور بشكل جيد نسبياً في قسم شرطة الشاطئ، وخاصة مع وجود العميد جمال والنقيب فواز ، وبسبب علاقتي مع أكثر من عشرة ضباط في أقسام وفروع مختلفة، كلهم شباب مثقفون ومن نفس انتمائي.

اجتماعي اليومي مع بقية الضباط يكون في مكتب أحدنا، وفي بعض المقاهي، ووجودي بينهم كوني (الضابط الخائن للنظام)، أدى إلى استدعائنا للتحقيق في أكثر من مرة حول سبب هذا الإجتماع، لكنه تحقيقٌ بلا فائدة لأنهم لم ولن يجدوا شيئاً ليعولوا عليه..

---

١ لا أحد يعلم حتّى الآن الأصل لهذا الموروث الشعبي المسمّى «طاسة الرعبة». أو إذا ما كنّا قد أطلقناه اسماً لعادة علاجية قديمة ما زال البحث عنها جارياً في كلّ مكان. استخدمت على ممر الزمان في علاج ظاهرة الخوف الشديد عند الكبار والصغار هي عبارة عن وعاء معدني صغير كتب على حوافه الداخلية آية الكرسي، وفيه أيضاً بعض الزركشات الجانبية بحيث يبدو منظرها مثل نافورة قديمة من تلك النوافير التي كنا نراها في البيوت الشامية القديمة. مجلة العربي الجديد

فمجرد اجتماعنا حتى لأكلٍ أو شرب شايٍ يعتبر تهمة في ظل هذا النظام، ومجرد توادّنا وعلاقاتنا الجيدة مع بعضنا جريمة!

فيلا[1] رفعت الأسد المجرم في منطقة عملي وضمن إشرافي لوجود مفرزة شرطة دائمة فيها حيث تحوي خمسة عشرعنصراً يقيمون في غرف مسبقة الصنع داخل الفيلا، حيث يتوجب علي تفقد العناصر كل يومٍ ومعرفة أوضاعهم والإشراف عليهم، دفعني فضولي لزيارتها لرؤية أموالنا المنهوبة وحجتي موجودة بأنني أتفقد العناصر.

الفيلا تقع إلى جوار منزل ومسجد جميل الأسد بالقرب من جسر المدينة الرياضية، ولها مدخل مستقل طويل كانت الغرف مسبقة الصنع على طول الطريق، كان عناصر شبيحته ومرافقته وحراسه يتمركزون فيها، قبل أن يطردهم بشار عام ٢٠٠٣ فيما يعرف بتمرد سرايا رفعت[2]، وتمركز فيها بعد ذلك العام عناصر من كتيبة الأمن المركزي التابعة لوزارة الداخلية، ويشرف عليهم ضباط قسم الشاطئ الأزرق الذين صرت أحدهم.

آثار إطلاق النار على الفيلا واضحة من الخارج، تدل على أن معركةً صغيرةً قد حدثت هنا، والفيلا تقع على خليج

---

١ فيلّا: منزل ريفيّ عادة ما يكون كبيرًا ومترفًا لشخص ثريّ.معجم المعاني

٢ سرايا الدفاع كانت قوة شبه عسكرية في سوريا تولى قيادتها رفعت الأسد. وكانت مهمتها الدفاع عن حكومة الأسد والعاصمة دمشق من هجوم خارجي أو داخلي. وارتكبت جرائم كبرى في سوريا كأحداث حماة ومجزرة سجن تدمر، في ١٩٨٤ تم دمجها في الجيش العربي السوري تحت اسم الفرقة الرابعة والحرس الجمهوري بالإضافة إلى الفرقة المجوقلة التي تتكون من ٥٥ أفواج قوات خاصة..المصدر السابق

اصطناعي صغير تم إنشاؤه لها، وتحوي الساحة أشجار نخيل كبيرةٍ وألوان مختلفة من الأشجار والزهور، وفي الخارج إلى جوار الفيلا، منازل صغيرة تحوي غرفاً صغيرةً مصنوعةً من الخشب كانت مخصصة للخدم، وبالنظر الى داخلها تبين أن الأثاث والملابس مبعثرةٌ على حالها منذ عام ٢٠٠٣، ويحوي قبو الفيلا على مخازن ضخمة للتزود بالوقود ، ومواقف كبيرة للسيارات.

لم أستطع الدخول إلا إلى الطابق الأول من مكان الإقامة هذا، حيث شاهدت الأثاث الفاخر والتحف الفنية واللوحات التي تبدو أصلية لكني لست خبيرا حتى أتأكد إن كانت كذلك أم لا، كانت عدة أوراق مبعثرة على الأرض بلغات مختلفة، قرأت بعضها حيث شاهدت دعوة لمنح الدكتوراة الفخرية للدكتور رفعت الأسد من إحدى جامعات شرق أوربا -جامعة بلغارية على ماأذكر-.

كنت أتجول وحدي في هذه الفيلا كالملسوع ، مما أشاهده من بذخ وترفٍ، لايخطر على قلوبنا حتى في أحلامنا، تدور في فكري ألف شتيمة وشتيمة على هؤلاء، وقلبي يتقطع من رؤية كيف يعيشون ، وكيف يرمون أموال الشعب في الزبالة، امتصوا دماءنا وأرواحنا ونهبوا خيرات وطننا، وقتلوا وعذبوا وقهروا شعبنا طيلة السنوات الماضية، ثم عاملوننا وكأننا أغنامهم وعبيدهم!

هل كانت تلك الفيلا وكل ماتمثله من استئثارهم بثروات البلد، واستعباد الناس والتنمر والاستكبار عليهم ، سبباً رئيسياً لتوحشهم عند مطالبتنا بأبسط حقوقنا؟!!

الفيلا وما تحمله من معنى في نهب ثروات سوريا، هي واحدة فقط من ممتلكات وأمكنة إقامة رفعت التي لا تحصى ولا تعد في سوريا-فضلاً عما هو خارج سورية-، عرفتني جانباً بسيطاً من عقليتهم المتوحشة، ولماذا يتشبثون إلى هذا الحدّ المستميت بما نهبوه ومامكوه، فكيف بي لو شاهدت قصور ومنازل وفيلل حافظ وبشار وبقية العائلة والطائفة والمتدثرين بعباءتهم؟!!

استمرت خدمتي في قسم الشاطئ الأزرق عاماً كاملا، كنوع من الروتين للوظيفة العامة، آثرت أن لا أدخل في صدام مع أحد، وترك الأمور تجري كما هي وخاصة أني أقيم بين هؤلاء الوحوش.

استمعت لأمور كثيرة وتعرفت على أشخاص كصداقة مؤقتة، وعرفت جوانب مختلفة من كيفية تفكيرهم.

يعيشون ومرض الاستعلاء وتمييز أنفسهم عن الآخرين، يستحوذ على كل نواحي حياتهم، لا يعتبرون بقية السكان خارج محيطهم إلا مجرد عبيدٍ لا يحق لهم سوى الأكل والشرب وتمجيد القائد الرئيس وشكره على فتات عطاياه، وعلى الشعب الصبر على كل الأزمات ونقص الحاجات الأساسية لأننا -كما يقولون- دولة مواجهة مع إسرائيل! ويجب تبرير أخطاء الرئيس والنظام كون الفسادً في سوريا موجوداً في كل دول العالم! وأن الوقت ليس مناسباً لنقد أي شيء لأن سوريا تتعرض لمؤامرة كبيرة!

في عقولهم كانت سورية هُم ، وهُم فقط ، ولاأحد غيرهم. وقيام الثورة ، كان يعني عندهم ، أنهم يتعرضون لمؤامرة ،

تنزع الحكم والسلطة والثروة والسيادة من بين أيديهم الملوثة بدماء الشعب وأمواله.

وهذه هي الأفكار التي يعيشونها ويسوقونها لنا لنعيش عليها صامتين خانعين منذ سبعينات حافظ الأسد.

تلك الفيلا «إقامة رفعت الأسد» ، وعشرات الإقامات المماثلة في المنطقة الخاصة بطائفة النظام، كانت أكبر دليل قاطع على إعداد النظام واستعداده للمواجهة القادمة مع ... إسرائيل، كما يدّعي!!!

من إحدى الأشياء التي جعلتني أشعر بالغثيان هي زيارة المراقبين العرب[1] وفد الجامعة العربية لحل الأزمة السورية، أقاموا في فندق المريديان في منطقة الشاطئ الأزرق حيث كُلِّفت بالتواجد هناك أمنياً.

وكان ذلك بتاريخ ٢٠١٢/١/٥ بعد تعرضهم لاعتداءات من قبل الموالين العلويين (شركاء الوطن) أمام مبنى المحافظة حيث تم حشدهم من قبل فروع الأمن، مما أدى إلى إصابة اثنين من المراقبين و خسائر مادية في السيارات.

عند الدخول إلى ساحة المريديان الذي تحول إلى فندق الديدمان، شاهدت جمعاً غفيراً من رجال الأمن والمخابرات وفرع الأمن الجنائي، وعند الدخول إلى الفندق، كان المراقبون العرب يتناولون طعام العشاء برفقة المحافظ وقائد الشرطة

---

١ بعثة المراقبين العرب إلى سوريا هي بعثة مراقبين أرسلتهم الجامعة العربية لمراقبة الوضع الإنساني في سوريا على خلفية حركة الاحتجاجات ضد نظام بشار الأسد فيها. دخلت طلائع البعثة البلاد في يوم الخميس ٢٢ ديسمبر عام ٢٠١١ بعد توقيع سوريا على المبادرة العربية قبل ذلك بثلاثة أيام، وانتهت أعمالها فيها في ١٦ يناير عام ٢٠١٢.

وضباطاً من الشرطة، ولِحَظي الجيد انضممت إلى طاولة قائد الشرطة والمحافظ كون كل الطاولات ممتلئة.

جلست إلى الطاولة، كان رئيس وفد الجامعة العربية ومراقب عراقي، يتبادلون الأحاديث مع المحافظ وقائد الشرطة، كان الحديث وديّاً للغاية، قال فيه رئيس الوفد: أنه مسرور لوجوده في سوريا وأنه يحبها ويحب دورها التاريخي وحرب تشرين، وكان المحافظ يشرح حجم المؤامرة المزعومة على سوريا وعلى القيادة.

بعد أن أنهينا تناول طعام الغداء والحلويات تنحيت جانباً لشرب كأسٍ من الشاي، حضر المراقب العراقي برفقة مساعدٍ في الأمن السياسي وجلسا بالقرب مني، انضم إليهما بعض العناصر من فرع الأمن الجنائي وأمن الدولة والأمن العسكري، كانوا يتبادلون الابتسامات والسلامات والتحيات والود، سبحان الله كيف قُلِّبت هذي الوحوش حملاناً وديعة مع المراقبين؟!!

قبل صعود المراقب العراقي إلى غرفته في الطوابق العليا ودع الجميع وقال:» أقسم بالله أنها مؤامرة ونحن نعرف بهذا الشيء، وسوف أفعل كل شيء حتى لا تتضرر الدولة السورية، أني أحب الرئيس بشار!!».

أتفرس الوجوه المحيطة بي وهذا الكلام وهذه الأفعال، وأتساءل هل يعلم شعبي ماذا يحدث هنا؟!! وهل يعلقون آمالا على هؤلاء المراقبين الذين يحبون القاتل المجرم؟!!

هل هذه هي الحيادية التي يدعوها؟!.

صعد الجميع إلى غرفهم، وخرجنا إلى خارج الفندق، ثم بقي عناصر فرع الأمن الجنائي وفروع الأمن تحرس المكان، وطُلِب مني المغادرة والعودة إلى القسم، لاكتفائهم بعناصر تلك الفروع، فعدت وأنا أبصق على المكان لأنه جمعني وهؤلاء.

في حادثة أخرى في الشاطئ الأزرق، وفي أحد الأيام،طُلب مني إحضار المدعو حافظ منذر الأسد[1] بعد إطلاقه النار على أحد الأشخاص، وإصابته بقدمه، وكان يتواجد في منتجع اللاذقية التابع لقسم الشاطئ الأزرق، وغير مصرح لنا بالدخول الى المنتجع الا بعد أخذ أذن مدير المنتجع.

ومن سيحضر حافظ هذا الذي لايستطيع أحد في سوريا إحضاره؟!! فرفضت الأمر فأصر قائد الشرطة، فقلت له: إن أحضرته فستتحملون أنتم مسؤولية ما سيحدث!

ولا أعرف من أين أتتني تلك القوة على قول ذلك.

فقال لي: أحضره دون مشاكل.

أجبته: أحضره أنت، أنا لا أستطيع إحضاره، فأنتم جميعاً، تعلمون أنه من آل الأسد ولا يستطيع أن يحضره أحد، وإذا خرجت أنا وقاومني سأستخدم القوة.

قال لي: يا أخي مجرد تواجد، حتى تقول الناس لقد حضرت الشرطة.

ضحكت وقلت له: يصير خيراً، سأخرج ولكل حادث حديث لن أحدث مشكلة لكم.

خرجت، كانت دورية من الأمن السياسي متواجدة أمام باب المنتجع، كانت حضرت لنفس الموضوع، سألتهم:» لماذا لا

---

١ أحد قادة الشبيحة في سوريا، وهو احد أبناء عمومة بشار وابن منذر الأسد بن جميل ، شاب صغير في السن ارتكب جرائم متعددة، ويثير المشاكل بشكل دائم في اللاذقية، في حال ارتكب جريمة كبرى يقوم والده بتسليمه الى أحد الفروع او السجن من قبيل تهدأة النفوس مايلبث أن يخرج خلال أيام. راجع الفصل السادس من الكتاب أيضا

تدخلون وتعتقلون حافظ المذكور»، فأجابني أحدهم: «والله سيعتقلنا ويقتلنا ولن ينجينا منه أحد»، قلت لهم: «لوكان ابن الرمل لَلّعنتم أباه، بس هذا ابن الأسد»، قالوا: «لادخل لنا، ومدير المنتجع لم يسمح لأحد بالدخول».

شاهدت أحد مرافقته من(الشبيحة) وقلت له: «قل لحافظ أن النقيب محمد الذي كان بالرمل هنا وأرسلوه ليعتقلك فأخرج».

بعد خمس دقائق اتصل بي قائد الشرطة وقال لي: «أن تعليمات القيادة: أن أعود، وأن والده منذر الأسد قد اتصل بوزير الداخلية، ووعده بأنه سيقوم بتأنيب ولده حافظ و(يا دار ما دخلك شر)».

عدت وأنا كالمجنون أضحك وحدي من هذه المسرحيات العبثية المعتادة، التي نعرف خاتمتها في سوريا، وكفى الله المؤمنين شر القتال!

مشكلة الناس الذين يقيمون هنا، أنهم جميعاً من طائفة الرئيس، وهذه المشكلة تأصلت في أخلاقهم وعاداتهم ومشاعرهم، وسببت لهم مرضاً لا يمكن علاجه، في إعتبار كل من لاينتمي إليهم دينياً هو من الحشرات، فلا يهمهم إن ماتَ أو عاش أو تألم.

وكمثال على هذا قام أحدهم بإطلاق النار على دورية الشرطة التي كنت فيها، برفقة مأمور التنفيذ لإخلاء عقار، فقتل شرطياً من عناصر الدورية دون أن تهتز له شعرة واحدة، وعند إلقاء القبض عليه، كان يتكلم دون شعور بالذنب أو تأنيب ضمير حول إزهاق روح إنسان ، عند سؤاله بالتحقيق

حول مجريات حادثة القتل، وبدون أي علاقة بموضوع القتل وبكل وقاحة، أجابني: «أنت ضدي لأنك سني»!

هكذا بكل بساطةٍ وبلا وازعٍ أو ذرةٍ من أخلاق ينطقها، لايفكر بجريمته التي ارتكبها قبل لحظات، لايفكر إلا بحقده وانتقامه وطائفيته.

***

يارب مم عجنت هؤلاء؟!! والله إن الواحد منا ليتألم على قطة دهسها خطأ في الطريق، أما هؤلاء فلم أتوصل خلال بحثي في قانون البشر الى معرفة تركيبتهم بعد، فالحقد أعمى قلوبهم وصاروا كالأنعام بل هم أضل منها.

إنهم عبيدٌ أسرى لحقدهم البغيض وحسب!.

*****

رافقتني فكرة الموت خمسٌ وأربعون دقيقة ولم يفراق أصبعي فيها زناد الإطلاق.

...ثم أصبحنا في مناطق الثوار

لاخوف بعد اليوم من صرير باب منزلي ولا من صفير الرياح، لاكابوسٌ يؤرقني أرى فيه نفسي مسحولاً أو مصلوباً يقوم الطائفيون بتعذيبي، لا أمنٌ سياسيٌ أو عسكريٌ أو جويٌ يُعدُّ عليّ أنفاسي،

لا سيدي أو معلم أو إحترامي

سأسمعها أو أقولها بعد اليوم.

في جبال اللاذقية تلك بعد ساعات الخوف والترقب... شعرت وكأن جبالاً انزاحت عن صدري وألقيت عن كاهلي ماكان يثقلني،

لقد ولدتِ من جديد

القيامة الأخيرة

٢٠١٢/٨/٧

ماعاد واحد منا يخفي إنتماءه وولاءه بين ضباط الشرطة في اللاذقية، سقط الخوف هنا ومع تقدم مجريات الثورة، وتأصلها في النفوس ، وإصرار الناس على الخلاص، بدأنا نتعرى من كل لباس نفاقي لبسناه طيلة السنوات الماضية، ربما هو الأمل والثقة بالثورة، ونحن نراها كل يوم وهي تملأ كل شبرٍ في سوريا، بدأ عصر الحقيقة يظهر، فهُم هُم ونحن نحن، الكل يعلم الآن أين مكانه ومع من يسير، وليس هناك داعٍ لإخفاء شيء.

أحد العمداء الطائفيين معاون قائد الشرطة من طرطوس، يجمع حوله العناصر الطائفيين الحاقدين بشكل يومي، ويجعلهم جواسيس على الضباط، ويخطط ويعمل ضد أي ضابط يشتبه في تعاطفه مع الشعب.

بينما كنت أجتمع بشكل شبه يومي، أنا والرائد عدنان والرائد محمود، في مكتب معاون قائد الشرطة العميد تركي، وكنا نتباحث في كيفية خدمة الثورة والناس، أخبرتهم أني سوف أترك العمل وأنشق أكثر من مرة لكنهم رفضوا ذلك

بحجة أن هناك عملٌ علينا إنجازه، وأخبرنا العميد أنهم يحضرون لعصيان مسلح ومحاولةًلتحرير اللاذقية من رجس النظام وأزلامه، وأنه يجب عليّ أن أبقى، وكنا نرقب ساعة الصفر للتحرك بعد توحش النظام المجرم.ووضعنا الخطط والبرامج والمواقع لذلك، لكنها كانت مجرد أفكار وكلمات ذهبت وأدراج الرياح، وذلك لعدة أسباب أهمها: فنحن في بداية الثورة وهناك ضعف في التنسيق مع الثوار في الخارج، إضافةً إلى عدم وُجود مؤهلين عسكريين موالين للثورة في ظل نظام يحسب علينا انفاسنا، ولايوجد دعم لوجستي من أسلحة وذخائر فجهاز الشرطة هو فقيرٌ بهذا، إضافة إلى قيام النظام بتسليح جميع القرى والمناطق ذات الغالبية العلوية، وأي عمل في اللاذقية من طرفنا يعني الانتحار، وسيؤدي إلى صدام يذهب ضحيته الشعب السلمي الثائر، الذي لايملك مايدافع فيه عن نفسه من سلاح، وسيهدموا كل شيء في اللاذقية، لذا اقتصر عملنا على تزويد الثوار بالمعلومات والخبرات للتعامل مع الوضع الأمني...ولاشيء غير ذلك.

بتاريخ ٢٠١٢/٧/٣٠ تفاجأت بانشقاق معاون قائد الشرطة العميد تركي، وبعد يومين أعلمني الرائد عدنان أنه سيترك العمل ويلحق بمعاون قائد الشرطة، وأخبرته أنا والرائد محمود بأننا سنقبض المرتب ونلحق به كونتا مفلسين، وتم الاتفاق مع بعض الشباب كي يرافقونا في الطريق.

بتاريخ ٢٠١٢/٨/٥ تم استدعاءنا أنا والرائد محمود لفرع الأمن السياسي، كانت البرقية للتحقيق معنا في موضوع انشقاق العميد تركي والرائد عدنان، وفي حال وجود شبهة علينا ..أن يتم توقيفنا.

قام بسوقنا الى فرع الأمن السياسي معاون قائد الشرطة الحاقد، وهو يبتسم ابتسامته الخبيثة في أنه أوقعنا في الفخ الذي لن نخرج منه، يظن أنه انتصر على إسرائيل إن كان يعتبرها عدوه، لم تكن «إسرائيل» في الواقع عندهم، إلا الكلمة التي يعنون بها «الشعب السوري».

وصلنا مكتب المقدم سامر (من شركاء الوطن) رئيس قسم أمن الشرطة، وهو رجل مؤدب ويملك خلق راقٍ -على غير عادة هؤلاء-، تم التحقيق معنا من الصباح وحتى الساعة (١١) ليلاً، حوالي ثلاث عشرة ساعة من التحقيقات، كان المقدم فيها قد حضر أسئلة مكتوبةً كي نجيب عليها، عشرون سؤالاً عن رأينا في النظام وما يمارسه وماذا يعني مقتل المدنيين وهل نعتقد أن النظام من يقوم بذلك وماهو رأينا بالإنشقاق والمنشقين ومن بينهم الرائد عدنان والعميد تركي وهل هم خونة؟.

أجبنا كما تعودنا في نفاقنا الوظيفي بكل إيجابية، و كِلنا كل عبارات التمجيد والتهليل للسيد الرئيس وقيادته الحكيمة وأن مايحدث مؤامرة، تم مراجعة الإجابات مع المقدم سامر وسؤالي عنها واحدة واحدة وماتعنيه ،واستوقفته إجابتي بأنني لا أعتبر الرائد عدنان خائناً -لم أستطع الكذب في هذا- وسألني:" لماذا لاتعتبر الرائد عدنان خائنا".

أجبته:"بيني وبينه خبزٌ وملح وأنا أعرفه جيدا، فهو من منطقة ثائرة في حمص وأنتم كنتم تضيقون عليه من أجل ذلك، كأنكم تقولون له ارجع إلى منطقتك واتركنا فنحن لانريدك، فلا أقدر أن أقول أنه خان الوطن" كانت المسألة عندي تكمن في هذا خيانة المتوحشين أو خيانة الوطن.

-كيف لا تقول عنه خائن وهو قد انشق؟

-يعني أنا اليوم عندك وأنا أعرفك وكنا قد شربنا شاياً قبل اليوم سوية فإذا تركت العمل وانشققت عن النظام هل أقول أن المقدم سامر خائن؟!

ضحك وقال: نحن ما بننشق.

فأجبته:" ونحن فداء للوطن ولن ننشق، لاتخاف يا سيدي".

ضحك وضحكنا وقلوبنا تبكي، ثم كتب رده إلى رئيس شعبة الأمن السياسي وهي أعلى جهة في الأمن السياسي في سوريا، يعلمهم بأنه وبعد التحقيق معنا تبين أننا نحب الوطن والقيادة والنظام والرئيس وأننا جيدي السمعة وأخلاقنا عالية وكال المديح لنا، ولقد جعلنا نشاهد رده ذلك قائلا: "حتى لاتنسوا أنني ساعدتكم وكان بإمكاني أن أخرب بيتكم".

تشكرناه وهللنا له، وبقينا حتى أتى الرد قرابة الحادية عشرة ليلاً حيث تم تركنا وإخلاء سبيلنا.

خرجنا وقد بلغ السيل الزبى، لقد آمنا أن عيون الأمن ماعادت ترى غيرنا، وهم يترقبوننا كي ينقضوا انقضاضهم الأخير علينا ليفترسونا، لقد احترقت ورقتنا ولم يعد بالإمكان الصبر ونحن محاصرون ولانملك أن نتحرك في اللاذقية.

قبل يومين من دخول فرع الأمن السياسي اتصل بنا أحد الأشخاص وأعلمنا أنه من طرف الرائد عدنان، فقابلناه وتأكدنا من ذلك عبر كلمات السر التي كنا نستعملها في التوصل بيننا أو بين من نرسلهم.

-بيسلمك عليكم أبو حمص (في إشارة عن الرائد عدنان) وأخبرني أنه متى تريدون لقائه فأنا جاهز لمرافقتكم.

-تمام نحن جاهزون، سنحدد ساعة وزمان التحرك، وسنلتقي بأماكن سنحددها لك لإتمام الأمر

-تمام، توكلنا على الله

بعد يوم من خروجنا من الأمن السياسي رتبنا اللقاء الأخير واتفقنا فيها على خطة الهروب، ومن عجيب مكان الإجتماع-الذي اخترته أنا-أنه كان خلف منزل رئيس فرع الأمن السياسي، كونه المكان الوحيد الذي لن يشك بنا أحد وخاصة أننا ضباطٌ يجلسون في سيارة الشرطة ويتناولون الطعام.

خرجت من منزلي في يوم ٢٠١٢/٨/٧ التاسع عشر من شهر رمضان المبارك ، خرجت وأنا أحمل ملابس السباحة فقط كنوع من التمويه ومفكرتي التي تحوي ماكنت أدونه من أحداث حصلت معي.

استقبلني أسفل المنزل مساعد الأمن السياسي المكلف بمراقبتي.

- إلى أين معلم؟!!

-رايح مع الرائد محمود للسباحة عكس التيار.

-أي والله ، اليوم حلو للسباحة، بس ديروا بالكم تنحرقوا من الشمس.

-طالما هناك هواء رباني ما بصير شيء، خذ أحضر لي علبة دخان من المحل بينما أوصل الأغراض للرائد.

ما أسخف هذا الحوار بين مقصودين ومفهومين مختلفين؟!!، هو يتكلم عن الطقس والجو، وأنا أتكلم عن المصير، مصيرنا الذي تركناه بين يدي الله.

أحضر علبة الدخان دون أن ينتبه إلى أنني صائم، وأني قد تركت الدخان منذ بداية الثورة.

انطلقنا من الطريق الطويل وبيدي مسدس ملقمٌ وجاهز للإطلاق، متحسباً لأي طارئ، فالموت يا صديقي أرحم لي من أن أقع في أيدي هؤلاء الوحوش، رافقتني فكرة الموت خمسٌ وأربعون دقيقة ولم يفارق أصبعي فيها زناد الإطلاق.

كانت هناك سيارة تسبقنا لكشف الطريق يقودها الشخص الذي أرسله الرائدعدنان، أوقفتنا ثلاثة حواجزعلى الطريق للتأكد من هويتنا، كنت أعطيهم بطاقة الشرطة، وهم يؤدون التحية دون أن يسألنا أحد إلى أين أنتم ذاهبون.

وصلنا إلى الحاجز الأخير، حاجز رأس البسيط[1]، وبينه وبين مفرق الطرق التي تؤدي إلى مكان تواجد الثوار مئة متر فقط، كان عقيد في الجيش قد أوقف سيارة الكشف، فلما وصلنا إليه، قلت له: «هذا معنا رايحين بمهة كبيرة سوية» فقام العقيد بتركه، ثم اتجهنا إلى مفرق الطرق واتجهنا إلى منطقة ربيعة[2]وغبنا عن أعين الجميع، صرنا إلى مناطق الثوار في ربيعة في الساعة (١١,٢٠) صباح يوم الثلاثاء.

كم كان الهواء منعشاً في جبال اللاذقية في الصيف حيث لاتعادل لذة الوجود هناك لذة أخرى، خاصة وقد كتب الله لك النجاة بين أنياب الوحوش المتعطشة لدمائك، تنفست الصعداء وسحبت نفساً عميقاً شعرت بكل ذرة من ذراته،

---

١ رأس البسيط مصيف ومنتجع ساحلي في سوريا، يعد من أجمل شواطىء البحر المتوسط يبعد عن مدينة اللاذقية بحدود ٦٠ كيلو متر، المنطقة عبارة عن جرف ساحلي واسع نصف دائري تحيط به الجبال العالية، وتغطي المنطقة بالكامل الغابات من قمم الجبال حتى الشواطئ..ويكيبيديا

٢ ربيعة بلدة سورية شمال شرق مدينة اللاذقية وتبعد عنها بنحو ٦٠ كيلومترا، وهي مركز ناحية تابعة لمنطقة اللاذقية في محافظة اللاذقية. تتميز بطبيعتها التضاريسية المتدرجة وتحيط بها الغابات حيث تقوم على المنحدرات الجبلية عند غابات الفرلق والأحراش القريبة منها ، وتتكون مساكن البلدة على شكل مدرجات جبلية كما تكثر الأنهار بالقرب منها كنهر السامرة ونهر الكبير الشمالي. ويكيبيديا

لا خوفٌ بعد اليوم من صرير باب منزلي ولا من صفير الرياح، لا كابوسٌ يؤرقني أرى فيه نفسي مسحولاً أو مصلوباً يقوم الطائفيون بتعذيبي، لا أمنٌ سياسي أو عسكريٌ أو جويٌ يَعدُّ عليّ أنفاسي، لاسيدي ولا معلم ولا إحترامي سأسمعها أو أقولها بعد اليوم.

في جبالِ اللاذقية تلك، وفي هاتيك اللحظات... شعرت وكأن جبالاً انزاحت عن صدري وألقيت عن كاهلي ماكان يثقلني ، لقد ولدت من جديد.

ياالله ماللحرية من قداسة لاتوازيها نعمة أخرى، إلا نعمة الإيمان.

لقد شتمت بصوت عالٍ هناك بشار ونظامه وفروع الأمن بكل أنواع الشتائم، لم أتركْ أحد منهم إلا وناله نصيب من هذه الشتائم، لقد استفرغت كل ما ابتلعته من نفاق وظيفي ومن ألفاظ أقولها بحكم عملي، رقصت، قفزت، درت حولهم وحول نفسي وأنا أصرخ وأشتم بشار، كان الرائد محمود ومرافقنا يضحكون من الجنون الذي أصابتني به «لوثة الحرية»، لكن لم يكن يهمني ذلك بقدر فرحي وسروري بحريتي، لقد تحطمت قيودي كلها أنا الآن حر وحر.

أقمت في أحد المنازل في الجبال برفقة الرائد محمود وشخص آخر، كنت في أحد الغرف أنزوي مع نفسي أدون فصول حكايتي هذه، يدخل علي محمود بين الفينة والأخرى يقول لي مازحاً:» دوِّن يا جيفارا[1] دوِّن».

فألتفت إليه وأهز له رأسي وأبتسم.

---

١ إرنستو «تشي» جيفارا١٤ يونيو(1928) - 9 أكتوبر(1967) المعروف باسم تشي جيفارا (Che Guevara) ثوري كوبي ماركسي أرجينتيني المولد كما أنه طبيب وكاتب وزعيم حرب العصابات وقائد عسكري ورجل دولة عالمي وشخصية رئيسية في الثورة الكوبية. أصبحت صورته المنمقة منذ وفاته رمزاً في كل مكان وشارة عالمية ضمن الثقافة الشعبية.

بعد يومين جاء مرافقنا الأول، وخرجنا معه إلى طريق التهريب نحو تركيا، وأوصلنا إلى المعبر حيث انطلقت في رحلة طويلة مع صديقي أبو بدر الذي قابلته هناك، وعادت الأفكار والأسئلة تطاردني هناك وأنا أحمل حقيبة صغيرة لايوجد فيها سوى ملابس قليلة، ومفكرتي التي دونت عليها ملاحظاتي وبعض ما ممر معي.

كان شريط العمر يمر أمامي وأنا في جبال اللاذقية أقطعها سيرا على أقدامي إلى تركيا، خمس ساعاتٍ في تلك الطريق الوعرة جدا، وأنا أتذكر صفعتي الأولى التي تلقيتها في الصف العاشر عام ١٩٩٥من شابٍ يكبرني بسنتين ابن ضابطٍ كبير في الجيش من شركاء الوطن، وكيف انتقمت لنفسي وضربته بحزام حديدي، وكيف أخذنا الشرطي إلى المخفر وأبقانا ثلاث ساعات في المخفر قبل أن يفرج عنا بعد اتصالاتٍ وردت إليه من الضابط ومن معارفي.

دخلت السجن فتىً صغيرا، ودخلته شاباً يافعا، وها أنا ذا أرسم حدود زنزانتي في هذا السجن الكبير، وكل تهمتي أني لا أقبل أن أكون في وطني إلا إنسان حراً لايرضى بالظلم ولابالطغيان.

نعم خرجت وأنا أحمل وطني على كتفي، حملته بكل جماله وقبحه، بكل حلاوته وتعقيداته ومشاكله وأزماته، حملته أبحث عن كوثر أغسله فيه وأزيل عنه أدرانه، بحثت عن حلٍّ لكل هذه الملوثات التي انتزعتنا من تاريخنا وحضارتنا وديننا ولغتنا، تلك التي استيقظنا في ٢٠١١/٣/١٨ ووجدنا أنفسنا أمام الحقيقة!

كم من الخراب قد أصابنا، وكم من العفن زرعه النظام في أنفسنا!، رحلت لأكتشف وأبصر حقيقةً أخرى، وسؤالا أشد ألماً:»هل علينا أن ننزف دماءً ودموعاً فسفورية، حتى

يعلم القاصي والداني حجم قهرنا ومايفعله بنا عصبة من المتوحوشين، الذين لاهم لهم سوى كرسي الحكم حتى لو أحرقوا البلد بما فيه».

رحلت باحثاً عن طريق الخلاص، لأجد أنها بعيدة ووعرة وتنتظر منا أن نعبدها بدمائنا وأجسامنا ، ولكن كذلك بعملنا وتفكيرنا وإعدادنا واستعدادنا.

***

رحلت من سجن الوطن لأجد نفسي مسجوناً في زنازين أشد تعقيداً وأكثر رهبة.

رحلت وأنا أردد قول الشاعر[1]:

سُبحانَكَ كُلُّ الأشيَاءُ رَضيتُ سِوى الذُّلْ
وَأنْ يُوضَعَ قَلبيَ في قَفَصٍ في بَيْتِ السُلطانْ
وَقَنِعْتُ يَكونُ نَصيبي في الدُنيا.. كَنَصيبِ الطيرْ
ولكنْ سُبحانَكَ حتى الطيرُ لها أوطانْ
...وتَعودُ إليها....وأنا ما زِلْتُ أَطير
فهذا الوَطَنُ المُمْتَدُ مِنَ البَحْرِ إلى البَحْر
..سُجُوْنٌ مُتَلاصِقَة
...سَجانٌ يُمْسِكُ سَجان

*****

١ الشاعر مظفر عبد المجيد النواب شاعر عراقي معاصر ومعارض سياسي بارز وناقد. تعرّض للملاحقة وسجن في العراق، عاش بعدها في عدة عواصم منها بيروت ودمشق ومدن أوربية اخرى.ويكيبيديا

ربما جربتم خطاب الأرواح، وهو أن تجلس بالقرب من أحدهم وتسمع كلامه الداخلي دون أن ينطق بكلمة واحدة.

كان الجميع هنا سنّة وعلويون ومن جميع الطوائف يدعون نفس الدعاء بالحرف الواحد، وكأننا في مظاهرة دعائية وإبتهال جماعي، كأننا جوقة واحدة قد حفظت جملة واحدة ترددها."اللهم اطفئها، واجعله يجد حلاً".

لكنه أعلن الحرب على سوريا كلها شعباً وأرضاً وتاريخاً! أعلن الحرب حتى على أمانينا، ثم قتلها في نهاية الخطاب.

صوت خفيف وقع في أذني: «يلعن دينه أشعل الدنيا» !

الصورة من مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين بدمشق ونشرها موقع فرانس برس الفرنسي بتاريخ 25/2/2014

الممسوحه ضوئيا بـ CamScanner